الجن ..

الأرباب المُختلَقة

بقلم

عمرو الشاعر

كلمة الغلاف الخلفي

عبر العصور أشرك الإنسان بربه العلي آلهة كثيرة، فعبدها من دونه، ومع مرور الزمان تساقطت أكثر هذه الآلهة المفتراة، فلم يبق منها إلا القليل. ومن القليل الذي لا يزال يُعبد من دون الله –بالادعاء أنه رمز!– الحجر والشجر والإنسان ... وكائنات غير مرئية!

لذا نعرض في كتابنا لتلك الكائنات الأرباب التي عُبدت من دون الله، لنبين أنها لم تزد عن بشر جُعل إلهاً، بإرجاع أصله إلى الرب الأعلى! ولنبين للمسلم، الذي يقف موقف الساخر من أولئك الذين عبدوا مسوخ آلهة، إلى أنه قد وقع في الفخ بشكل مغاير، فهو وإن لم يعبد تلك الآلهة المختلقة، إلا أنه قد استُدرج إلى ساحة قتال وهمية، وبعد أن خرج منها خائر القوى، سلّم للجن ... وعبدهم!

فنكشف له إفك الجن الخرافي المختَلق، وكيف أنه لا ضر منه ولا نفع، لأنه لا وجود له إلا في ذهنه! وأن كل ما حيك حوله فقاعة كبيرة لا تحتاج إلى أكثر من إبرة لتتلاشى! وكيف أنه أساء إلى الله بإيمانه بوجوده، وبوصفه بأوصاف جعلته إلهاً أو يكاد! ثم نعرفه بالجن الحقيقيين، وعندما يعرفهم فسيُقر أن أكثر البشر –وأكثر المسلمين– يعبدونهم من دون الله! فهل سيتبرأ منهم أم يظل على شركه؟!

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، فالله خير مما يشركون ... خلق السماوات والأرض بحكمة، وأنزل من السماء ماء، فأنبت به حدائق ذات بهجة! جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا! فما من إله مع الله! يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويهدينا في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته، يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو علام الغيوب! هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفُوا أحد، تفرد بالجلال والكمال، وتنزه عن الشبيه والمثال، وتعالى عن قيل وقال!

نحمده حمدا يليق بجلاله وعظمته! ونبرأ من الحول والطول إلا به وإليه، ونعوذ به أن نقول عليه ما لا نعلم وأن ننسب إليه ما لا يليق به، ثم أما بعد: تُعد مسألةُ وجود كائنات غير مرئية من الأمور المسلم بها بين جُل البشر، بغض النظر عن انتماءهم الديني أو الفكري وعن مستوى التقدم العلمي للمجتمع الذي ينتمون إليه.

ويختلف تصور البشر لتلك الكائنات ولأدوارها ولمقدرتها من مجتمع إلى آخر بل من فردٍ لآخر، إلا أنه ثمة ما يشبه الإجماع على أن لهذه الكائنات قوى "خارقة" تفوق قوى البشر، ويكفيهم أنهم غير مرئيين وأنهم يستطيعون الانتقال من مكان إلى آخر بسرعة فائقة، لا يعوقهم في هذا عائق. وتبعاً لتصور كل مجتمع لتلك الكائنات ولأدوارها يتشكل مسلك أفراده تجاه تلك الكائنات، بين الخوف والتجاهل والاسترضاء .. بل والعبادة.

ومع الثورة العلمية والفكرية التي استشرت في زماننا هذا، لم تعد الكائنات غير المرئية تحتل المكانة المقدَمة في عقول أكثر البشر، لاكتشافهم أنها ليست هي التي تلعب كثيرا من الأدوار التي نسبها الأقدمون إليها!

وعلى الرغم من ذلك فقد بقي الإيمان بوجودها إيمانا مبهما عند أكثر الناس، حتى الملاحدة، لا يعرفون لها دوراً ولا غاية ولكنهم يقرون بوجودها، تبعا لإقرار القطيع البشري، فالإنسان بطبعه لا يشغل باله إلا بما يشكل فارقا في مسار حياته، وهذه المسألة ليست كذلك، فلماذا يتفكر فيها؟!

ويختلف الوضع بالنسبة لأتباع الأديان، فهم يؤمنون بوجودها وبتأثيرها الفاعل في حياة البشر، لأن كتبهم "المقدسة" الموحى بها من الرب، قد أخبرتهم بوجودها، وعرّفتهم بأدوارها، ومن ثم لا يمكن إنكارها!

ولم يختلف الإسلام عن غيره من الأديان في حديثه عن كائنات غير مرئية، لها دورٌ رئيس في حياة الإنسان، بل وفي تسيير الكون كله، جعل الإيمان بها ركناً من أركان الإيمان، كما تحدث عن كائنات أخرى تلعب الدور الرئيس في التضليل والإفساد والإهلاك.

وهكذا آمن المسلمون بوجود عوالم مختلفة من الكائنات غير المرئية، يلعب كل منها دوراً في هذه الحياة، فهناك عالم الملائكة، وهناك عالم الشياطين وهناك عالم الجن! ومنهم من جعل الشياطين من الجن، إلا أنهم يقومون بأدوار مغايرة. وأصبح الإيمان بهذه العوالم بهذا الشكل من ضرورات الإيمان، ومن لا يصدق بها، أو يفهمها بشكلٍ مغاير، فهو منكرٌ لثوابت الدين بل وخارج عنه.

وعلى الرغم من أن كثيراً من المفكرين عملوا على نقد "الخرافات" التي دُست في الفكر الإسلامي، وعملوا على إبطالها وإظهار زيفها، وكيف أنها ليست من الدين الإسلامي في شيء، إلا أن أكثرهم لم يعرضوا لهذه الكائنات بالقدر الكافي أو لم يعرضوا لها مطلقا! وذلك لظنهم أنها بالفعل كما أخذوها عن سابقيهم، وأنها مما لا يصدق عليها قوانين كوننا، ومن ثم لا يمكن الحكم عليها تبعاً لهذه القوانين، أو لظنهم أنها تحتوي قدرا من الخرافة، إلا أن الأصل نفسه صحيح، وأنها من الأمور التي لا ينبغي للعقل الحكم عليها، ومن ثم تركوها!

ونحن كذلك كنا قد تجنبا الخوض في هذه الغيبيات إلا بالقدر اليسير، وذلك لكوننا اتخذنا البناء منهجاً، بالعمل على مزاحمة الباطل بالجديد الجيد، ونترك للمتلقي الاختيار والموازنة بين الصنفين، فإن تقبّله هدم الباطل بنفسه! بينما لو ركزنا على الهدم، لأضعنا جل جهدنا فيه، لما يعوزه من جهد كبير متواصل، محكوم بأن يُتبَع بالبناء، فلا يكفي أن يُهدم الباطل ليُقبل الحق، وإنما لزام أن يُهدم ويُبنى، فيُقدم لمن هُدم باطله حقا بديلا يستعيض به الباطلَ الساقط، وإن لم يُفعل فلا يزيد أثر هدم الباطل عن إيجاد فراغٍ لدى المتلقي، قد يدفعه إلى الرضا بالباطل، أو التمسك به لأنه لم يجد له بديلا يدافع عنه ويمسِّك به! فارتأينا أن نسبق بخُطوة وأن نبدأ بالبناء مباشرة.

بدأنا البناء معتمدين على أن غيرنا قد فنّد أسس هذه الخرافات والأباطيل، ومن ثم فإن الكتابة حولها تكرار لا يفيد الفكر الإسلامي بقدر كبير، فالفكرة نفسها أصبحت محلَ نقاش، وأظهر المفكرون مواطنَ عوارها، فإن كان القارئ ممن يزنون ما يقرأون ويتفكرون فيه، فسيقتنع بجل ما ورد في تلك الكتابات، وإن كان من أتباع "إنا وجدنا آباءنا على أمة"، من ذلك التيار الذي لا يحترم كتاب ربه ولا عقله، ويقدم عليهما كلَ ما عداهما، فلن يجدي معه دليل آخر يضاف إلى الأدلة السابقة، فلقد أغلق قلبه تجاه أي قول جديد!

فالخير عنده فيما قدّمه الأقدمون، فما تركوا لمن بعدهم مقالا! فلقد نضجت العلوم الإسلامية على أيديهم ... واحترقت! ومن ثم فجهد الأجيال التالية لن يُقدم ... بل ربما يؤخر!!!

ولأن تراثنا الإسلامي نتاجٌ بشري، صِيغ تبعاً للخلفية المعرفية لعصر كاتبيه، عملنا على أن نقدم في كتبنا السابقة بديلاً إسلاميا معاصرا، يعرض لما لم يعرض له السابقون، يقدمه بلسان وفكر يفهمه أهل هذا العصر، يصحح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الأقدمون وتبعهم ثلة من المعاصرين، متخذين كتاب ربنا إمامنا في كل نقد وتصويب،

معتمدين منهجنا الدقيق –الذي أصّلنا له سابقا– في تدبر كتاب ربنا، منتفعين بالاكتشافات والتصورات الحديثة التي وفرها لنا التقدم العلمي والانفجار الفكري!

إلا أننا رأينا أنه من الواجب علينا أن نعرض لذلك الغيب، الذي لا يتناوله متناول إلا لتأكيد وتثبيت وترسيخ ما عليه الأقدمون، بل ويعمل بعضهم على صبغه بصبغة علمية، على الرغم من الإقرار بأنه غيب! ذلك العالم الذي أصبح يحتل مكانة بارزة في عقل المسلم، الذي يرى أنه يلعب دورا رئيسا في حياته! رأينا أن نعرض له لنبين أنه غيب لا يحتوي خرافة، وأن المسلمين أصابوا وأخطئوا في تصورهم لذلك العالم، وأنهم نسبوا إليه ما ليس فيه ولا منه!

فنعمل بذلك على أن نحرر العقل الإسلامي من تلك الأغلال التي أحاطت به ونكشف له زيف تلك الخرافات التي آمن بها، ونحمي ديننا من طعن الطاعنين ونبرأه من شبهات المفترين، ونظهر تميزه واختلافه عن كل الأديان التي أصابها التحريف أو اختلقها الأفّاكون.

وقبل ذلك كله نُبرأ ربنا العظيم الخلاق العليم الرحيم، من تلك الفرية التي نُسبت إليه، من أنه خلق شرا ويخلق عبثا! وأن نقدم للقارئ الكريم فهما دقيقا لآيات كتاب ربه، لا ينحرف عنها، ولا يزيد عليها!

وعرْضُنا لهذه المسألة ليس من باب الترف الفكري، أو الانشغال بما لا ينفع، في وقت تحيط بالأمة المشكلات والمعضلات، ويتربص بها أعداؤها الدوائر، وإنما هو لنقل المعركة إلى ساحتها الحقيقة، بدلا من تلك الحلبة الوهمية، التي يناطح فيها عامةُ البشر أوهامَهم! والتي نجح الشياطين في جذب الإنس إليها، وتعمية عيونهم عن المعركة المستعرة.

فننبه البشر إلى العدو الأصيل، الذي يجب عليهم لقاءه ونزاله، وإلى المعركة التي يجب عليهم خوضها، حتى يتحقق لهم الانتصار في جولة وجولات من تلك المعركة، وحتى لا يظلون يحاربون طواحين الهواء!!

ونأمل أن يصبح القارئ –بعد هذا الكتاب– من الجنود الذين يشنون حرباً ضد الشياطين، لا أن يظل بعد ظهور الحقيقة أمام عينيه، كما كان في عماه.

ولأن الوحي هو مبتدأ معرفة الإنسان بالكائنات غير المرئية، ولأن الكتاب موجهٌ بالدرجة الأولى للقارئ المسلم، ثم لمن يريد أن يعرف عن الإسلام بشأن هذه المسألة، فإن المحور الرئيس للكتاب سيكون كتاب الله العزيز: القرآن العظيم، وسنعرض بجواره –في عجالة– للكتابين السابقين، المسميين بالتوراة والإنجيل، ليبصر القارئ الكريم بعينه، مواطن الاتفاق والاختلاف!

كما سنعرض لتصورات الأمم الأخرى عن تلك الكائنات غير المرئية، لنبين كيف أن الخرافة –كانت ولا تزال– حاكمةً على تلك التصورات.

ولأن الكتاب العزيز خاطب العرب أولَ من خاطب، فإننا سنعرض لأساطير العرب حول تلك الكائنات وموقفهم منها، لنبين كيف أن المفسرين قاموا بإسقاط الآيات القرآنية على الخرافات العربية! ومن ثم اكتسبت هذه الخرافات العربية حصانة ومكانة خاصة، تتميز عن باقي الأساطير! وذلك لإدعائهم أن القرآن قد صدّق على ما يقول العرب! فأصبحت أساطير العرب حقا وصدقا! أما ما عداها ف: حديث خرافة يا أم عمرو!!

نعرض لهذه الخرافات لنبين أن القرآن منها براء، –كما هو من غيرها– ونتناول الآيات التي استند إليها المفسرون، لنبين كيف خلطوا الخيوط ببعضها، فالتبس الأمر على المسلم، على الرغم من جلاءه في القرآن، فوقع فيما وقع فيه السابقون، وعبد الجن بدون أن يدري أو يعلم!

وندعو القارئ الكريم لأن يصطحبنا في تلك الرحلة لفك اشتباك تلك الخيوط، وللتعرف على ذلك العالم الذي كشفه القرآن لنا، للفرار من شراك عبادة الجن، والثبات على عبادة الله وحده!

نعرض لهذه المسألة ونعرف أنها ستجلب علينا من المشاكل والاتهامات الكثير، وربما فُسقنا أو كُفرنا، ولكنه الحق الذي يجب الجهر به، فإذا كان الله قد فتح لنا ومنّ علينا ببعض من علمه، فلا يجوز كتمان هذا العلم حتى نُسأل عنه ونجازى في يوم الدين.

نعرف أن القارئ قد يستغرب ويستنكر، وربما يرفض .. بدون برهان، إلا مخالفة ما نقول لما هو عليه! ونحن لا نتعجل أن يغير القارئ ما يعده من المسلّمات، إلا أننا على يقين أنه سيفعل في يوم من الأيام .. إن هو تفكر!

وكعادتنا نقول لمن يرفض قولنا: سل نفسك، أين موطن الخلل؟ وما هو سبب الرفض؟! فإن استطعت إجابةً فبها ونعمت، وإلا ...!!

نسأل الله أن يجنبنا الزلل والخلل، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلّين، وأن يوفقنا في مسعانا، وأن يجعل الخير والرشاد على ألسنتنا، وأن ييسر لنا إتمام هذا الكتاب على الوجه الذي يُرضيه عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العبد الفقير إلى عفو ربه: عمرو الشاعر

الباب الأول

تصور الجِنَّة قبل الإسلام

الفصل الأول: في الحضارات القديمة

سمعيات!

من الأمور المجمع عليها بين الحضارات المختلفة، وجود كائنات غير مرئية، تعيش في نفس العالم الذي يحيى فيه الإنسان، تستطيع أن تراه ولا يراها، إلا إذا أرادت هي ذلك! فتتجسد لتُظهر نفسها له، وقد تظهر على حالتها "الشبحية" بدون تجسد، ويراها الإنسان كذلك!

ويرجع اختلاف الأمم في تصوراتها لتلك الكائنات بالدرجة الأولى إلى اختلاف "وصفها" في مصادرها الأصلية التي ذُكرت فيها، والتي تتمثل في الكتب المقدسة وفي الأساطير! فهما المصدر الرئيس الذي يستقي الإنسان منه تخيله لتلك الكائنات، ومن ثم يمكن تسمية هذه الكائنات بكائنات "سمعية"[1] وذلك لأنك تجد دوما من يدعي أنه رأى هذه الكائنات، ودائما ما يكون هذا الرائي هو الآخر الذي يحكي عنها وأنت تسمع منه، بينما لا يحدث مرة واحدة أن تراها أنت بنفسك... إلا في وسائل الإعلام المرئية.

وعلى الرغم من أنها من السمعيات، إلا أنه يوجد علمٌ كامل مختص بها، يُسمى (Demonology)، ويعني علم الأرواح، وهو يدرس الأرواح والمعتقدات المتعلقة بها. وتوجد كلّيات عديدة في العالم الغربي تقدم هذا العلم كتخصص من بين تخصصاتها، بل وتوجد مجلات دورية تصدر بهذا الشأن.

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام المرئية قد وجدت في الأساطير والخرافات مجالا خصباً لإثارة المشاهد، ودفعه دفعا إلى الذهاب إلى صالات العرض، إلا أنها لم تقدم

[1] في علم "العقيدة" سمّى العلماء بعض الغيبيات ب: السمعيات، لأنهم رأوا أنه لا دخل للعقل في إثباتها أو نفيها، ويتوقف الإيمان بها على سماعها من الوحي!!

جديدا في ذلك المجال تقريبا، فكل ما فعلته أنها قامت بتحويل الخرافات والأساطير المكتوبة والمسموعة إلى مادة قابلة للمشاهدة، مع كثيرٍ من عناصر الإبهار البصري!

وإذا كان بعض المؤلفين قد قاموا بابتداع بعض الأساطير والشخصيات الخرافية في زماننا هذا، إلا أنها كلها تُعد تقليداً ومحاكاة للأساطير القديمة وإضافة لبعض العناصر إليها، ليس أكثر.

فالمشاهد ينظر إلى المادة المعروضة على أنها أسطورة وخرافة للتسلية والإرعاب ليس أكثر ولا أقل، ومن ثم لا ترسخ في وجدانه، بينما يختلف الحال كثيرا مع الأساطير المأخوذة من الأجداد والواردة في الكتب المقدسة، فلها كلُ الإجلال والتقدير والتصديق!

والعجب كل العجب أنك تجد بعض الأمم تسخر وتعجب من أساطير وخرافات الآخرين! على الرغم من أن لديهم من الخرافات ما يماثلها أو يزيد عليها! إلا أنهم يرونه عين اليقين، لوروده في كتبهم المقدسة، ويتفننون في صبغها بصبغة علمية، وإبعادها عن الخرافة!!

والناظر في الأساطير الموجودة عند الشعوب يجدها تدور في فلك نوعين اثنين:

1- كائنات متحولة، فهي خليط من البشر وغيره من الكائنات، أو أنها كانت بشرا ثم تحولت/حُولت إلى كائنات أخرى.

2- كائنات غير مرئية، والتي هي محور حديثنا، وتُصنف هذه الكائنات أصنافاً عديدة، فهناك الملائكة، وهناك الشيطان والشياطين، وهناك الأرواح الشريرة والأرواح الخيّرة، وهناك العفاريت، وهناك أرواح الموتى التي تعود إلى الحياة!

ويمكن القول أنه -على الرغم من اختلاف الأصناف- يمكن جمعها في صنفين اثنين: الكائنات الشريرة والكائنات الخيرة "الطيبة"!

والمشكلة التي أصبحنا نواجهها في عصرنا هذا، هي تحول تلك "السمعيات" إلى "مرئيات" فبعد أن كان الخيال يسبح وينطلق في تخيل تلك الكائنات الشفافة، تلك الكائنات الفتّاكة المفترسة، أصبحت تُرى أشكالا بشعة ووحوشا مقززة، تثير الفزع والاشمئزاز، وتُوجد "عقدا" نفسية بداخل المشاهد.

وبعد أن ذكّرنا بأن هذه الكائنات غير المرئية، وحتى المتحولة، هي كائنات سمعية لا يراها دوما إلا الآخرون، نبدأ في تقديم تصورات السابقين لها.

كائنات بشرية حيوانية!

من أبرز النقاط الملحوظة بشأن الكائنات السماعية، سواء كانت غير مرئية أو متحولة، أنها كائنات شبه بشرية، فهي كائنات بشرية مُعدلة، فهي خليطٌ من بشر وحيوان أو طير، بشكلٍ من الأشكال.

فنجد أن الملائكة يُصوّرون على هيئة بشرٍ من نور، غاية في الرقة والجمال، لهم أجنحة طيور! وقد يُصورون على هيئة أطفالٍ صغار، ذوي أجنحة! بينما يُصور الجن بشكل بشر من نار، ليس له أرجل، وذلك لأنه يطير فلا يحتاج إليها! وقد ينتهي بأرجل حيوانية!!

ونجد أن الشياطين كذلك مثلُ البشر، إلا أنها قبيحةٌ ولها قرون في رؤوسها وذيول فوق مؤخرتها، كما أنها مكسوة بشعر كثيف يجعلها أقرب إلى القرود!

ولا يختلف الحال بالنسبة للكائنات المتحولة، فهي في الأصل كانت بشراً أو هي مزيج من البشر وكائن آخر، فنجد منها بشراً لهم سيقان الخراف، وكائنات هي خليطٌ من البشر والحصان "القنطور" ... وغير ذلك!

ولا يقتصر التشابه بين البشر وتلك الكائنات على المظهر الخارجي، وإنما يتعداه إلى أساليب الحياة والاحتياجات "الجسدية" بل والطبقات الاجتماعية، حتى أنه يمكن القول أن هذه المجتمعات انعكاس للمجتمعات البشرية في قوالب غير بشرية!

ويعلق فارس خضر على مسألة تشابه عوالم الكائنات غير المرئية مع عالم المتخيلين له، فيقول: "المدهش أن العوالم المتخيَّلة لهذه الجماعة الشعبية، ما هي إلا انعكاس لنظامها الاجتماعي، وتكاد تتطابق تفاصيلها مع واقعها المعيش، مع تحويرات طفيفة؛ تحويرات تبث العقلية الشعبية خلالها أشواقها وأحلامها ورغباتهم الدفينة، فتبتكر أفراداً يماثلون أفرادها، غير أنهم يملكون قوى خارقة، ويعيشون حياة خالدة، ليست كحياتهم التي تنتهي دوما بالفناء.[2]" اهـ

ويحق لنا أن نتساءل: لماذا هذا التشابه بين هذه العوالم وعالمنا؟ هل هو راجع إلى أنها من ابتكار مخيلة الإنسان، والتي لم تستطع أن تتخيل عالما يحوي كائنات "عاقلة" إلا أن يكون نسخة مكرورة من عالمها؟! أم لأن هذا هو الشكل الوحيد الممكن للكائنات العاقلة، والإمكانية الوحيدة للحياة؟! ومن ثم فإن أي حياة ستُخلق في يوم من الأيام ستكون مشابهة لنا!

كما نتساءل: إذا كان الله الخلاق العليم قد مايز في خلقه بين الحيوانات وبعضها، فجعل لكل منها خصائصها المميزة، فلماذا حدث التداخل بين هذه الخصائص في هذه الكائنات تحديداً، أضاق علمه المحيط أن يوجد أشكالا إضافية متمايزة؟! –حاشا لله العليم–، كما أننا رأينا أن الله تعالى يوجد كل كائن على الهيئة المناسبة له، والتي يحتاجها في حياته، فلماذا كانت هذه الكائنات –المفترضة– استثناءً، فجاء تكوينها عبثي، على غير حاجة؟!! –تعالى الله عن العبث–.

[2] فارس خضر، العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة، ص.7.

أرباب وشياطين

بعد أن رأينا أن الكائنات السماعية ما هي إلا كائنات شبه بشرية، نبدأ عرضاً سريعا لتصورات الأقدمين لتلك الكائنات غير المرئية.

ولأن الملائكة ستمثل المحور الرئيس عند حديثنا عن الجن في القرآن، فلن نعرض لها في تناولنا هذا، -وسنعرض لها بتفصيل كبير في ذلك الموضع- وسنكتفي بتناول الكائنات غير المرئية الأخرى في الحضارات القديمة، والتي يمكن تقسيمها إلى أرباب وشياطين!

وعلى الرغم من هذا التقسيم والاختلاف، إلا أنه يمكن أن تُصنف كلها تصنيفاً واحدا، فالتداخل بينهما في تلك الحضارات كبير، والسمات المشتركة بينهما كثيرة، ناهيك عن أن مصدر تلك الشياطين يرجع في الأعم الغالب إلى الأرباب نفسها!

وإذا ذُكرت الشياطين فإن الذهن ينصرف مباشرة إلى رأس الشر ورمزه الأكبر "الشيطان"، ثم إلى الشياطين، وعلى الرغم من أن "الشيطان" بسماته المتعارف عليها في الأديان الكتابية، لم يكن ظاهراً في بعض الحضارات القديمة، إلا أن سيادة وسائل الإعلام الغربية، والمتأثرة كلية بالتراث المسيحي جسّدت للبشرية قاطبة تصورها حول الشيطان ودوره في الحياة، ومن ثم أصبح له الزعامة الروحية على كل الأرواح والكائنات الشريرة في مختلف أنحاء العالم، وإن لم يكن له ظهور في التراث القديم!

وإذا قلنا أن للملائكة دوراً معروفا محددا، وهو تنفيذ أمر الله، فإن لنا أن نتساءل: ما هي علة وجود تلك الكائنات الشريرة؟!

فإذا كنا من المؤمنين بإله خالق، فمن المنطقي أن نتساءل: لماذا خلق الإله العادل تلك الكائنات الشريرة "الخارقة"؟ من المفترض أن الله تعالى لا يخلق الشر، فهل خلق

الله الشر؟! أم أنه لم يخلقها؟!! أما إذا كنا لا نؤمن بإله خالق فلن يكون هناك أي عِلة لظهورها، فكما نشأنا عبثا، كذلك نشأت هي عبثا!

ولمّا كان التوحيد غير متأصل في كثير/بعض الأمم السابقة، وكانت تؤمن بوجود آلهة عديدة، كان من المنطقي أن يُسقط على الآلهة الخصائص البشرية، فتصبح هناك آلهة قوية وأخرى ضعيفة، وآلهة طيبة وأخرى شريرة، تدور بينها الصراعات، ومن ثم ظهرت هذه الكائنات كآلهة شريرة[3]، ومن ثم فلم يتعب القدماء أنفسهم في تعليل وجود هذه الكائنات الشريرة، لأنه سيكون من ضروب العبث، فهي سابقة للإنسان نفسه، إن لم تكن علة وجوده!!

وعلى الرغم من اختلاف الأسماء بين الحضارات القديمة، إلا أن المسمى يظل واحدا، يمكن إدراجه تحت اسم الشياطين أو الأرواح الشريرة، مع الأخذ في الاعتبار ألا ننظر إليها ككائنات مخلوقة مكلفة مثلنا –تبعا للتصور المألوف عند المسلمين–، وإنما ككائنات إلهية!

لذا نعرض في عجالة، كيف صُورت بعض الكائنات غير الملائكية في أهم الحضارات القديمة!

في الحضارة المصرية القديمة

ظهرت في الحضارة المصرية القديمة الكثير والكثير من الآلهة، والتي اختص كل إله منها بدور في هذا العالم، فهناك مثلا: "ماعت" إلهة العدالة، و"أوريسيس" إله الزراعة، و"بتاح" إله الفنون والجمال، وخالق كل الصناعات، و"رع" إله الشمس ... الخ

---

[3] في النفس أشياء من تفسيرات علماء الغرب للنصوص الأثرية القديمة –الشرقية تحديدا– والتي أظهرت أن هذه الشعوب كانت تؤمن بعشرات الآلهة، من بينها آلهة شريرة، وأميل إلى أن الأرباب التي كانت تتحدث عنها النصوص هي الملائكة، وأن الأرباب الشريرة هي الملائكة الساقطة! ولا يعني هذا أننا ننفي انحراف هذه المجتمعات أو تفشي الشرك فيها! ولكن هذا قريب مما يفعله الصوفية، فهم يتخذون الولي "زلفة/وسيط/شفيع" إلى الرب العليم، لا أنهم يقولون أنه هو مدبر الأمور!!

وغالبا ما اتخذت هذه الآلهة أشكال حيوانات، أو خليط من بشر وحيوانات!

والكلمة التي كانت تشير إلى الآلهة في اللغة المصرية القديمة، هي: "نتر"، والتي حيّرت المترجمين المتعاملين معها، وفي هذا يقول خزعل الماجدي: "كانت كلمة (نتر Neter) في اللغة المصرية القديمة تعبر عن الله أو الإله روح أي من الكائنات، وكانت هذه الكلمة تعني القوة أو الطاقة التي تفوق قوة البشر أو الخارقة للطبيعة، أما رمزها الهيروغليفي فكان عبارة عن صورة فأس برأس متجهة إلى اليسار (𓊹)

وقد حيّر العلماء تفسير معنى هذا الرمز ومصدره، فقد رأى البعض أن هذا الرمز يعود للعصور الحجرية حيث استخدم كدال على القوة، حين كانت الفأس أداة للصيد والحفر والبناء. وهناك من رأى أن قداسة هذا الرمز أتت من استخدامه في مراسيم التضحية والقرابين في تلك العصور[4]" اهـ

ويرى الدكتور نديم السيار، صاحب كتاب: "قدماء المصريين أول الموحدين" أن هذه الكائنات الكثيرة التي عُرفت على أنها آلهة، ليست بآلهة، وإنما هي "ملائكة"، وأن تسميتها بالآلهة راجع إلى خطأ المترجمين، الذين ترجموا كلمة "نتر"، أو "نتروا" إلى، God, Gott, Dieu, ومن ثم عُربت ب "إله".

وأنا أوافق الدكتور السيار في أن المترجمين قد أخطئوا اختيار الكلمة، وأرى أنه كان من الأدق اختيار كلمة "رب"، ولو اختيرت هذه الكلمة لاختلف الوضع كثيرا، فلا يوجد أي مانع أبداً من وجود أرباب عديدة، المهم ألا تتخذ هذه الأرباب من دون الله، وألا تُصيّر آلهة!

فالأب رب الأسرة، والعزيز كان رب سيدنا يوسف، ونحن –المسلمين– نتقبل ونقر أن هناك ملائكة للرزق وملائكة للرياح وملائكة لكذا وكذا!

[4] خزعل الماجدي، الدين المصري، ص.163–164.

ولو قلنا أن ملائكة الرياح هي أرباب الرياح لما كان هناك أي حرج، ونفس ما قلناه قاله الأقدمون، فلقد عرفوا من خلال كتبهم أن هناك ملائكة قائمة على كل شيء في الكون، ومن ثم قدموا تلك التماثيل والصور التي نراها في المعابد المصرية القديمة، والتي تخيلوا فيها الملائكة على هذا الحال.

وبغض النظر عن كونها "أربابا" أم آلهة، فلقد آمن المصريون القدماء بوجودها وبتصرفها فيما يخصها ويتبعها، كما آمنت بوجود كائنات غير مرئية أخرى، مثل الأرواح الشريرة، واعتقدوا أن لها تأثيرا عظيما ومباشرا على الإنسان في كل جوانب حياته، لذا حاولوا استرضاءها بجميع الطرق! وبسبب إيمانهم هذا ظهر السحر وعمّ في الحضارة المصرية القديمة، وأصبح للكاهن الساحر دورا عظيما في المجتمع، فهو يقوم بأدوار عدة، فهو رجل الدين وهو الساحر وهو الطبيب ... الخ ويلجأ إليه الناس ليشفيهم أو ليحميهم من أن تعرض لهم الأرواح الشريرة، التي تعمل على إيذاء البشر!

وتعرض حليمة خالد نموذجاً من نماذج التأثر بهذا الإيمان فتقول: "وقد نسب المصريون الأمراض إلى تلك الأرواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الأجسام، فتصيبها الأمراض، وإذا قوبلت بتأثيرات أقوى منها تنهزم أمامها، وتخرج من الجسم فيشفى المريض، وكان ذلك من وظيفة الساحر، إذ يُنظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم، ويركز الساحر عليها إما بالأمر، كأن يقول لها: اخرجي يا كاشرة.. أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة، اختفي أيّتها الميتة، فالمرض هو تقمص الشيطان للجسم، وعلاجه تلاوة الرقي، وقد استخدم المصريون التمائم ذات اللون الأزرق، لطرد الأرواح الشريرة والحماية من الحسد.[5]" اهـ

[5] حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، ص.29.

وأشهر الكائنات أو الآلهة الشريرة في الحضارة المصرية القديمة هو الرب "سيت" رب الليل والصحراء ورمز الشر، ذلك الذي اشتهر بصراعه مع أوزوريس[6]، والذي صورته العقلية المصرية القديمة بصورة عجيبة: "فاتخذ صورة مخلوق غريب أنيق له جسم كلب الصيد، وذنب طويل متصلب مشقوق الطرف، وخطم رفيع مقوس، وعينان لوزيتان وأذنان طويلتان مستقيمتان. وقد تقدمت عدة مقترحات عن شخصيته، هل هو خنزير أم حمار أم زراف أم كلب أم آكل نمل أم أوكابي[7]!" اهـ

وهناك من يرى أن ست هذا هو تجسيد الشيطان في الحضارة المصرية القديمة، ويدلل على ذلك بالتشابه الكبير بينهما في الأدوار، وكذلك في الأسماء، قارن: "سيت" ب "شيط ان".

عند الكنعانيين

إذا تركنا الحضارة المصرية وانتقلنا إلى الحضارة المجاورة، وهي الحضارة الفينيقية، تلك الحضارة التي نشأت في بلاد الشام منذ حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، والتي أنشأت حضارة عظيمة على ساحل البحر المتوسط[8]، فسنجد أن الفارق غير كبير.

فلقد ظهر فيهم الكثير من الكائنات الإلهية مثل الإله يمو وشمتم وشميم وإيل، كما ظهرت فيهم كائنات غير إلهية، والتي تُعرف بالشياطين وما شابه، إلا أنها كانت تنتسب في بادئ أمرها إليهم!

[6] تميز أوزوريس بأنه هو الرب الوحيد الذي لم يصور على هيئة حيوان أو نصف حيوان، وإنما كان يصور دوما على هيئة إنسان، فحتى ابنه حورس صُور على هيئة صقر! وفي هذا إشارة إلى بشريته وأنه لم يكن من تلك الأرباب/الآلهة، وهناك من يرى أن أوزوريس هو إدريس عليه السلام!

[7] جورج بوزنر وغيره، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، ص. 186.

[8] يكفي أن نعرف أن اسم قارة أوروبا، يرجع إلى الأميرة الفينيقية "أوروبا" (عروبا) والتي اختطفها –تبعا للأسطورة– الإله زيوس إلى كريت، والذي كان متمثلا هيئة عجل جميل، وهناك تزوجها وأنجب منها ثلاثة أبناء، والتي ذهب أخوها الأمير قدموس إلى أوروبا باحثا عنها ليحررها!

وفي هذا يقول خزعل الماجدي: "ظهرت الكائنات الأسطورية الأولى، أو القديمة في بداية شجرة الآلهة، ومنذ أول اتصال للسماء مع الأرض فقد ظهر عماليق الجبال وعماليق الحضارة وعماليق الممالك، وظهر أيضا الشياطين وكان على رأسهم (تيفون) (...) ثم ظهرت أنواع أخرى من هذه الكائنات الأسطورية مع ظهور الإلهين ايل وبعل، وكانت لها بعض الصفات الإلهية الشريرة أو الخيرة، ولكنها لا ترقى إلى مستوى الآلهة، ...[9]" اهـ

وكما هو متوقع، فلقد أتت صورة هذه الكائنات خليطا من البشر والحيوانات والطيور، -كما ظهرت في غيرها من الحضارات- مع صبغة خيالية لتغاير بين هيئة البشر وهيئتهم، ولتعطي الانطباع أن هذه آلهة مهابة، تستحق التقديس والتبجيل!

وتعلق حليمة خالد على مسألة التشابه هذه فتقول: "ولم تختلف صورة الجن في المعتقدات الكنعانية عن سابقتها، فقد ظهرت بصورة كائنات مجنحة في نقوشهم وتماثيلهم، وعبرت عن العنف الذي يبدو من شكلها، إذا تبدو بأشكال مختلفة، ومنها الجن الذي يمسك سوطا بيده اليسرى، وكرة بيده اليمنى، وله رأس طير وجسد بشري، ومزود بأجنحة، ومنها الكروبيم أبالسة يقال بأنهم أبناء الإله "إيل" والإلهة "ريا" إلهة الأرض. ويعد الإله "بعل" من وجهة نظر الديانة الإيلية زعيم الأبالسة والشياطين، وسيد الجحيم والعالم الأسفل، يرافقه الشيطان حارس الأموات، ودليل المتوفين، كما يرافقه شيطان علة الموت قابض الأرواح. ويتبع بعل كثير من الشياطين، كلٌ يحمل اسمه الذي يدل على صفاته وأعماله، منها "الذي يعمي البصيرة"، "والذي يجعل الشفاء مستحيلا". وقد ارتبط الإله "بعل" بإبليس، لما له من صفات الدهاء والفتنة والتحالف مع الشر.[10]" اهـ

---

[9] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، 184-185.

[10] حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، ص.21-22.

ويعتبر "بعل" أشهر أربابهم، ولقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، في دعوة سيدنا إلياس لقومه، والذي قال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥﴾ [سورة الصّافّات,١٢٥].

عند السومريين

ونترك الفينيقيين وننتقل إلى الشعب المجاور لهم، وهو شعب السومريين، ذلك الشعب الذي أسس حضارة من أعظم ما يكون في العراق من بداية الألف الرابع قبل الميلاد.

وكغيرها من الحضارات القديمة ظهر عند السومريين العديد من الآلهة/الأرباب، والتي صورت كذلك بصورة بشرية وحيوانية!

ومن أشهر الآلهة السومرية الرب "أنو" والذي يعتبر إله السماء!، وكذلك الإله "إنليل" وهو يعتبر ابن الرب "أنو"، وكذلك الرب "إنكي" رب الأرض والمياة الجوفية، وكان يُعتبر مستشارا للآلهة!!

وكذلك الإله "ننا" رب القمر، وكذلك الإله "أوتو" رب الشمس، وهو ابن إله القمر! وغنيةٌ عن الذكر ربة الخصب الإله "أنانا"، التي عبدها البابليون وسموها "عشتار"، والتي سماها الإغريق أفروديت، والرومان فينوس.

فإذا تركنا الأرباب وانتقلنا إلى الكائنات الأخرى الأقل درجة وجدنا أن هناك خليطاً متنوعا، إلا أن أكثرها ظهورا وتكرارا، هي تلك الكائنات التي اصطلحنا على تسميتها "شياطين".

ويعرض خزعل الماجدي للكائنات التي لا تصنف كآلهة، فيقول: "يتكون عالم الأرواح السومرية (من غير الآلهة) من الشياطين والجن والكائنات الخرافية التي تسكن العوالم السفلى والعليا والأرضية حسب طبيعتها وهي كما يلي:

1- الشياطين: وهم سكنة العالم الأسفل ويصنفون كما يلي:

أ- الشياطين المنحدرون من أصل سماوي وهم (ذرية الإله أن وانليل)

ب- الشياطين المنحدرون من آلهة العالم الأسفل وهم أبناء كور وأبناء أنمي شرّا (السبيتو) بعضهم صالح وبعضهم شرير.

ج- الشياطين المنحدرون من أصل بشري وهم أرواح أو أشباح الموتى واسمهم بالسومرية (كدم Gidim) وهي مركبة من مقطعين وتعني مخلوقات الظلام (...)

د- الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين مثل ليليث وهي الشيطانة التي تطارد الرجال. وتسمى بالسومرية (لوليلا) التي معنى اسمها رجل الريح، ومؤنثة (كسيكيل ليلا) ويعني فتاة الريح.[11]" اهـ

وكما رأينا فالكائنات التي لا تصنف كآلهة هي إما تنتسب إلى الآلهة أو هي خليط من البشر وكائنات أخرى.

عند الإغريق

إذا تركنا الحضارات الشرقية وانتقلنا إلى أصل الحضارة الغربية، الحضارة الإغريقية، وجدنا أن هناك الكائنات غير البشرية عندهم كثيرة، فهناك آلهة وأنصاف آلهة، وآلهة بدائية وهناك حوريات وأشباح وجبابرة وعمالقة وسكلوب!

[11] خزعل الماجدي، متون سومر الكتاب الأول، ص. 135.

فإذا أردنا الحديث عن أشهر آلهة اليونان فإن الذهن سينصرف تلقائيا إلى آلهة الأوليمب الاثني عشر[12]:

- **زيوس: ملك الآلهة وحاكمها، وهو إله الرعد والبرق.**
- **أبولو (إله إغريقي) إله الفنون، بما فيها الموسيقى والشعر. هو الأخ التوأم لآرتميس.**
- **أثينا: إلهة الحكمة، الحرب، والتخطيط. هي ابنة زيوس المفضلة.**
- **آرتميس: إلهة الصيد، الرماية، الولادة، العذرية، حامية صغار الحيوانات والبشر، وفي بعض الأساطير، كانت آلهة للقمر.**
- **آريس :إله الحرب والانتقام. هو أخ آثينا.**
- **أفروديت: إلهة الحب والجمال.**
- **بوسيدون: إله البحار. هو أخ هيدز وزيوس.**
- **ديميتر: إلهة الزراعة والخصوبة.**
- **هيرا: إلهة الزواج، وهي زوجة زيوس.**
- **هيرميس: إله السفر، اللصوص، التجارة، ورسول الآلهة.**
- **هيستيا: إلهة الموقد، والتي تنازلت عن منصبها كإحدى الآلهة الأولمبية الرئيسية لديونيسيوس.**
- **هيفيستوس: إله النار.**

[12] يحتل الرقم 12 مركزا كبيرا في الديانات الشرقية، يكاد يقارب الرقم سبعة، فشهور السنة كما وضعها الله 12 شهرا، والأسباط 12، وحواريو عيسى 12، والنقباء الذين بايعوا محمدا في بيعة العقبة الأولى كانوا 12، في السنة الثانية عشر من البعثة! وغير ذلك كثير!

وعلى الرغم من شهرة هذه الآلهة إلا أنها لا تعد آلهة الخليقة، فهناك "كاوس"[13] الربة الأولية لهذا الكون، وهي الربة التي تجسد المكان غير المحدود والمادة التي لا شكل لها، والتي سبقت كل المخلوقات، ومن هذه الربة خرجت باقي الأرباب، التي عرفت بأرباب الخلق الأول! وغير أرباب الخلق الأولى هناك الجبابرة مثل كرونوس وأطليس وسيلين .. الخ ولقد وصل زيوس إلى هذه المرتبة الكبيرة بالاغتصاب، فلقد اغتصب زيوس الحكم من أبيه كرونوس! ثم قسّم الكون بينه وبين إخوته! فجعل لكل واحد منهم اختصاصا وتصرفا!

والناظر في حياة هذه الآلهة يجد أنها لا تختلف عن البشر في شيء! فلقد صُورت على هيئة البشر، وتصرفاتها بشرية بحتة، وليتها كانت أفعالاً بشرية راقية، وإنما كانت أفعالا دنيئة منغمسة في الشهوات والرذائل، فإله يخون إلها آخر ويضاجع زوجه! وغيره يقتل أمه الإلهة ... الخ ألوان المجون والانحلال!

وهكذا نجد أن اليونانيين قد شوهوا صورة آلهتهم تشويها كبيرا، يعكس الحالة الأخلاقية المتردية لديهم! كما عملوا على إيجاد عداوة بينهم وبين الإنسان، فهم حريصون أشد الحرص على ألا يتقدم الإنسان! وأشهر الأمثلة على ذلك هي عقابهم الأبدي لبروميثوس، لأنه سرق النار وأعطاها البشر، الذين كانوا يحيون بلا نار! كما نجد صراعات كثيرة بينهم وبين البشر! توحي بأنهم كانوا بشرا! بشكل من الأشكال ثم ترقوا درجة ولا يريدون للبشر أن يصلوا إليها!!

ومن ثم فلا حاجة للبحث عن الشيطان في أساطير اليونان، وعلى الرغم من وجود أرواح شريرة تسمى Alastores، تسعى دوما لإضلال الناس والإيقاع بينهم، وهي تعتبر قريبة الشبه بالشياطين في التصور الإسلامي وفي غيره من الأديان، إلا أن التصور الذي قدموه للآلهة تستحق معه عن جدارة أن تكون هي الشياطين!

[13] كلمة "كا أُس" تعني أصلا الفوضى أو العشوائية!

وتعرض حليمة خالد لهذه النقطة فتقول: "وقد آمن اليونانيون كذلك بوجود أرواح شريرة تسمى (Alastores) تتولى أعمال الشيطان، وقد عدتها الأساطير اليونانية كائنات جنية خفية مؤثرة تمتلك طبيعة سرية، جاءت من العالم الآخر، ذات تأثير حسن أو سيء في سلوك البشر، فأضفوا على آلهتهم صفات شيطانية، ودنسوها بالرذائل، إذ يبدو الإله زيوس شيطانا شهوانيا نهما أكولا شديد الطمع (...) أرسل الصاعقة القاتلة على "اسكولاب" أبي الطب، لأنه يشفي المرضى، فهدفه القضاء على الناس. ولا يختلف هذا عن هدف الشياطين عند الأمم الأخرى[14]" اهـ

وكما رأينا فإن الوثنية اليونانية لم تفرق بين الآلهة والشياطين، وجعلتهما عالمين متداخلين تماما، فالآلهة شياطين! والشياطين أبناء الآلهة!

في الحضارة الهندية القديمة

تميّزت الحضارة الهندية القديمة بوجود عدد هائل من الآلهة، يشعر معه الباحث بالحيرة والدهشة، لتلك الفوضى الدينية العارمة المستشرية في تلك الحضارة، وتدفعه للتفكر، هل تستحق تلك المعبودات أن تُسمى بالآلهة؟ بعبارة أخرى: هل تصور الإله عند الهنود القدماء هو نفس تصوره عند باقي الأمم، أم أنه قد أُسيئ فهمهم، وأنهم لم يكونوا يقصدون بتلك "المقدسات" آلهة، وخاصة إذا علمنا أن هناك أنصاف آلهة وثلاثة أرباع آلهة!!

على أي حال، فإنه من المتوقع في تلك الديانة[15] التي وجد فيها آلاف الآلهة –على أقل تقدير– أن يظهر فيها الكثير والكثير من الكائنات الشريرة، ومن أشهر تلك

(14) حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، ص.24.

(15) يمكن التعرف على الديانة الهندية من خلال ملحمة المهابهاراتا، وهي إحدى أشهر قصيدتين في الهند (الأخرى هي: رامايانا) وتعد المهابهاراتا أطول قصيدة في العالم، حيث تتكون من 220 ألف بيت، مقسّمة إلى ثمانية عشر فصلاً. وهي مكتوبة باللغة السنسكريتية (اللغة القديمة المقدسة للهند)

الكائنات معشر "الراكشا"، والذي يفسره بعض الباحثين بالعفاريت أو الشياطين، إلا أن هناك من يرى أنها لم تكن إلا طائفة من البشر[16]، كانت تعمل على مطاردة وإيذاء الحكماء والآلهة!

ومن المنطقي كذلك ألا يظهر "الشيطان" بالتصور المعروف عند أتباع الديانات الثلاثة الكتابية! ولقد أجهد الأستاذ العقاد نفسه في البحث عن الشخصية المماثلة للشيطان في تلك الحضارة، فلم يجد إلا شخصية قريبة منها، فقال: "وليس في الديانة الهندية وفروعها المتشعبة شخصية واحدة تشبه شخصية الشيطان غير الرب الذي يسمونه "المارا" من الموت، ويقولون أنه يسيطر على السماء السادسة وما دونها من العوالم الأرضية، كأنهم جمعوا فيه فتنة الحياة الدنيا مشخصة معروفة باسم واحد بدلا من تعميم القول على الفتن التي تساور النفس ولا تتمثل لها ذات في الحس أو الخيال. وهذا "المارا" هو الذي قيل في قصة "بوذا" أنه وسوس له وألح في وسواسه ليشغله عن النسك ويصرفه عن مسلكه من الحكمة، وهو مسلك الزهد والاعتدال. فالشر الكوني هو الشر النفسي الذي يخامر الضمير ويزين له ترك الحكمة والإقبال على الأوهام والأباطيل.[17]" اهـ

وأنا لا أوافق الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه، وأرى أن الشيطان يظهر بوضوح في الديانة الهندية، إذا نحن ألغينا تلك الأطنان المزعومة من الآلهة! فعلى الرغم من أن هناك آلاف من الآلهة إلا أن هناك ثالوثاً يعلو هذه الآلهة كلها، وهو: "براهما"[18]، وهو الخالق العظيم، الذي خلق الكون، ثم انبثق عنه بعد ذلك إلهان عظيمان هما:

---

(16) يذكر الدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه: "الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان"، ص.43. أن الراكشا لم يكونوا إلا صنفا من البشر، فيقول: "فهناك الـ (راكشا) وهي عفاريت خبيثة ،ينسبون إليها أعمالا كأعمال الشياطين في الأديان الأُخرى والـ(راكشا) كما يقول البعض هو الاسم الذي كان يطلق على الهمج الأوائل الذين سكنوا الهند قبل إغارة الآريين عليها وكانت لهم حراسة على الطرق وينابيع الماء، وقد رسخ في الأذهان إنهم أعداء البشر و إنهم يتربصون بالناس ويؤذونهم" اهـ

(17) عباد العقاد، إبليس، ص.58-59.

(18) يطلق على ذلك الخالق "براهما" و"براهمن"، وأميل إلى أنها مأخوذة من "رحمن"!

"فيشنو": إله الخير، والذي مهمته البناء والتغذية، والذي يخلق كل ما هو نقي وطاهر، من نبات أو حيوان.

"شيفا": إله الشر والدمار، وهو الذي يهدم ويحطم.

فلماذا لا يكون "شيفا" هذا هو الشيطان؟! حيث أن دوره ومكانته قريبة جدا من دوره في الديانات الكتابية الثلاثة —مع عدم اعتباره إلها!– فإذا كان الهندوس يؤمنون بأن "الإله" فشنو في صراع دائم مع شيفا، والصراع بينهما جوالات، فتارة ينتصر فشنو فيعم الخير، وتارة ينتصر شيفا فيعم الشر، إلا أنه سيكون هناك انتصار أخير لفشنو على شيفا، فيعم الخير إلى الأبد، فإن هذا التصور مماثل للتصور المسيحي عن الصراع بين ملائكة الخير بقيادة ميكائيل وملائكة الشر بقيادة إبليس.

وكما هو متوقع فلقد "أُنسنت" و"حُيونت" تلك الكائنات والآلهة المزعومة للهنود، فظهرت في شكل خليط من البشر والحيوانات المقدسة عندهم، أو على شكل حيواناتهم المقدسة مثل الأفاعي والأبقار!!

في اليهودية

ونترك الديانات الوثنية وننتقل إلى الديانات الكتابية، متناولين الديانتين اليهودية والمسيحية،[19] ونبدأ باليهودية باعتبارها الأسبق ظهورا.

وعلى الرغم من تميز اليهودية عن الأديان السابقة بالوحدانية، فالإله والرب فيها واحد، وليس آلهة وأربابا عديدة، إلا أنه لم يرق إلى الصورة المثلى للإله، فهو إله عنصري، رب بني إسرائيل فقط، ويعمل فقط لنصرتهم وتأييدهم، وأعطى بني إسرائيل مكانة فوق

[19] يؤخذ في الاعتبار أن ما سيقال في اليهودية يُعد مسلماً به ومقبولا كذلك في المسيحية، وذلك لأن المسيحية اعتمدت كتب اليهود، وجعلتها العهد القديم، مع الأناجيل والرسائل "العهد الجديد" في كتاب واحد، سموه: الكتاب المقدس!

كل البشر! كما أن كتبها لم تخل من النزعة التجسيدية، والتي جعلت الرب يظهر في بعض الأحيان في مظهر قريب من البشر، كما أنه لم يكن كاملا في كل المواطن[20]!

فإذا بحثنا في كتب اليهود عن الشياطين، لم نجد هناك ذكراً للشياطين –بالاسم–، بل إن صورة الشيطان نفسه لا تظهر واضحة في العهد القديم، فلم يُذكر في الكتب القديمة تصريحا، وإنما إشارة إلى شرور النفس، ثم أخذت صورته في الوضوح والتمييز فيما بعد، كمخلوق ذي كيان خاص.

ويشير الأستاذ العقاد إلى هذه النقطة، فيقول: "ولم يذكر الشيطان قط في كتاب من الكتب قبل عصر المنفى إلى أرض بابل سنة (586 ق.م) ثم كان ذكره فيها على الوصف لا على التسمية، فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب، وأطلق مرة على الملك الذي تصدي لبلعام في طريقه، لأنه كان بمعنى المعترض أو الضد أو الخصم المقاوم، ولم يذكر بصيغة العلم إلا حيث قيل في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الأيام أنه "وقف الشيطان ضد إسرائيل". وقد كانت قرابين الكفارة تقسم على التساوي بين الإله وبين عزازيل رب القفار أو الجني الذي يهيمن على الصحراء، وكان إيمانهم بوجود الأرباب الأخرى التي يعبدها غيرهم من الأمم بديلا من صور الشياطين، لأنها كانت تعمل عمل الشيطان، كلما صرفت الشعب عن عبادة "يهوا" إلى عبادة غيرها تثير النقمة على العصاة، وإنما تأتي النقمة إذن من "يهوا" ولم تأت قط من أولئك الأرباب الأجنبيين، البدلاء من الشياطين[21]" اهـ

وكما رأينا فلم يكن توحيد اليهود خالصا، فهم وإن آمنوا ب "يهوا" فإنهم لم ينكروا وجود "أرباب" أخرى، واعتبرت هذه الأرباب بمثابة "الشياطين"! ويعتبر "عزازيل" أبرز تلك الشياطين –والذي يرى كثيرون أنه إبليس– والذي يمثل لغزا في اليهودية، بسبب تلك المكانة التي احتلها، فلقد وصل لدرجة أن القرابين تُقسم بينه وبين الرب!

---

(20) يؤول علماء اليهودية هذه الآيات ويعدونها من "المتشابهات" المجازية، ويجعلون عمدتهم هي الآيات المحكمات، التي بيّنت تفرد الرب وأنه ليس له مثيل!

(21) عباس العقاد، إبليس، ص.89.

وعلى الرغم من أن العهد القديم لم يذكر الشياطين صراحة، فإن هناك ذكر صريح لكائنات غير بشرية، مثل الجن والتوابع، في آيات عدة مثل ما جاء في سفر اللاويين: "19: 31 لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم... 20: 27 وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه"

ونجد أن الجن في العهد القديم يظهر بنفس الصورة الموجودة في العقلية العربية، فهو يدخل الإنسان –كما في الآيات السابقة–، ويستعين به السحرة في معرفة الغيب، كما جاء في سفر صامويل الأول:

"28: 7 فقال شاول لعبيده: فتشوا لي على امرأة صاحبة جان، فأذهب إليها وأسألها. فقال له عبيده: هي ذا امرأة صاحبة جان في عين دور.

28: 8 فتنكر شاول و لبس ثيابا أخرى و ذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً وقال: اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك ..."

ومن ثم ينهاهم الرب عن اللجوء إلى أصحاب الجن والتوابع لسؤالهم، ويأمرهم بسؤاله هو فقط! وعلى الرغم من اتفاق تصور أدوار الجن عند المسلمين واليهود إلا أننا يجب علينا أن نفرق بين التصورين، فأهل الكتاب لا ينظرون إلى الجن على أنهم مخلوقات مكلفة، فيها الخيّر والشرير، وإنما ينظرون إليها على أنها أرواح شريرة ساقطة تتبع الشيطان، وعُربت ب كلمة "الجن" لكونها أقرب مصطلح لفهم الشرقيين.

ولم تسلم كتب العهد القديم من الخرافة، فظهر فيها الكثير والكثير من الكائنات الخرافية، التي ذُكرت في كتب الأمم السابقة، مثل القنطور والذي هو نصف إنسان ونصف حصان.

وكالعادة تدخلت يد المترجم العربي فعملت على إخفاء تلك الكائنات، بأن عرّبتها بدون الإشارة إلى الأصل الأسطوري لها، أو غيرتها أصلا، وإن لم تقم بهذا مع كل

الكائنات الخرافية، فظهر بعضها في النصوص العربية، ومن ذلك ما جاء في سفر إشعياء:

"27: 1 في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة لوياثان الحية المتحوية و يقتل التنين الذي في البحر"

فهنا نجد حديثا عن التنين! والتنين –لمن لا يعرف– هو حية تطير تنفث النار!

وكذلك ما جاء في إشعياء:

"34: 14 وتلاقي وحوش القفر بنات آوى ومعز الوحش يدعو صاحبه هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلا"

فهنا مثال جيد لتلاعب يد المترجم العربي، فلقد قام بالتحريف في موضوعين، فترجم بترجمة Satyrs –والذي يُعرف ككائن مشعر نصفه الأعلى إنسان ورجلاه أرجل ماعز (الغول)– ب "معز الوحش" بدلاً من "الوحش المعزي" مثلاً!!

كما قام بترجمة "ليليت" والذي هو اسم علَم! إلى: الليل!

فإذا أخذنا نصا محايدا نزنُ عليه هذه التعريب –وهو من ترجمة مارتن لوتر– نجد أن المترجم الألماني كان أكثر صراحة في ترجمته للنص، إلا أنه أخفى "ليليت" كذلك، فلم يذكرها بالاسم وإنما سماها "جنية الليل" فقال:

"... und ein Feldgeist wird dem anderen Begegnen. Das Nachtgespenst wird auch dort herbergen und seine Ruhestatt dort finden."

والذي يمكن تعريبه ب: "... وشبح الغابة سوف يلاقي آخرا، وجنّية الليل سوف تستقر هناك وتجد لنفسها مأوى".

ونطلب إلى القارئ العربي الذي لا يعرف كثيرا عن ليليت، أن يجري بحثا حولها على الشبكة المعلوماتية[22].

ويتكرر ذلك في نفس السفر:

"14: 29 لا تفرحي يا جميع فلسطين لأن القضيب الضاربك (الذي ضربك) انكسر فانه من أصل الحية يخرج أفعوان و ثمرته تكون ثعبانا ساما طيارا"

ويظهر هذا بشكل أوضح في الترجمات الأخرى، فيظهر في الترجمة الألمانية:

"Freue dich nicht، ganz Philisterland، dass der Stock، der dich schlug، zerbrochen ist، Denn aus der Wurzel der Schlange wird eine giftige Natter kommen، und ihre Frucht wird ein feuriger fliegender Drache sein."

والذي لو عُرّب ما تحته خط يكون: "... يكون تنينا طائراً ناريا (وليس ساما، كما أخرجها المترجم العربي)".

وهناك كائنات خرافية أخرى في العهد القديم غير تلك المذكورة، إلا أننا نكتفي بهذا إشارة إلى تأثر كتب اليهود بالأساطير الموجودة في البلاد المحيطة بهم، والتي نزحوا إليها!

[22] ليليت تعني في اللغة العبرية "الليل أو العتمة" .إلا أنها تطلق منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام على "جنية الليل".
وطبقا للتفسيرات العبرية المتأخرة لسفر التكوين فإن ليليت كانت الزوجة الأولى لآدم.، وخُلقت من نفس الطينة الذي خُلق منها! إلا أنها لم تقبل الخضوع لآدم، ثم هربت من الجنة في نهاية المطاف بعد خلافات طويلة مع آدم!! ولهروبها عاقبها الله بأن تظل شهوانية مرعبة تعيش في الأماكن المقفرة، وبعد ذلك اعتبرت ليليت فيما بعد إلهة الإغراء والغواية الجنسية، ويظهر ذلك واضحا في الصور المتخيلة لها! وعندنا في القصص الشعبية المصرية ما يعد تجسيدا مصريا له وهو ما يُعرف ب "النداهة" وهي تلك المرأة الجنية التي تنادي الرجال بالليل فيتبعونها، فتأخذهم إلى مكان مقفر فتقتلهم أو تغرقهم!

في المسيحية

إذا تركنا اليهودية وانتقلنا إلى المسيحية، فسنجد أن الحال لن يتغير قليلا أو كثيرا، فهو يؤمن بوجود الأرواح الشريرة، والتي تسمى بالشياطين، والتي هي في الأصل ملائكة ساقطة تابعة للشيطان في عصيانها للرب.

ويُلاحظ أن تصور الشيطان أصبح جد واضح في المسيحية، وهو أقرب ما يكون إلى التصور الإسلامي، إلا أنه ثمة خلاف مع القول المشهور، فهم يرون أنه كان من الملائكة وليس من الجن! لأنهم لا يقولون بوجود خلق آخر اسمه الجن!

ويظهر ذلك في كثير من النصوص مثل ما جاء في رسالة يهوذا:

"1: 6 والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام"

وما جاء في إنجيل متى:

"25: 41 ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"

كما أن إبليس يظهر بصورة قريبة من الرب! فثمة صراع مرير بين الرب وملائكته وإبليس وملائكته!

ولم ينجح الرب في الانتصار على إبليس وجنوده في هذا الصراع إلا بالخديعة، بأن جعل نفسه يتجسد ليظهر في صورة إنسان، يُقتل على الصليب ليفدي بدمائه خطايا البشرية!!

وفي نهاية الزمان تحدث معركة عظيمة بين ملائكة الرب بقيادة ميخائيل وملائكة إبليس بزعامته، وينتصر جيش الرب ويهزم جنود إبليس، ويأتي الرب ابن الإنسان! ليدين العالم! ويُلقى إبليس الحية القديمة في بحيرة النار الأبدية!

ولأن المسيحية تمايزت عن الديانات التوحيدية بثالوثها! والذي يمثل الروح القدس أحد أركانه، وجدنا أن الروح القدس يؤيد الأخيار، ومن ذلك ما ورد في إنجيل لوقا في حق يحيى عليه السلام:

"1: 15 لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس"

وما ورد كذلك في أعمال الرسل أن الحواريين امتلئوا بالروح القدس وتكلموا بألسنة عديدة!!

أما الأشرار فيمتلئون بالأرواح النجسة والتي يمكن التحرر منها بالصوم والصلاة، كما جاء في إنجيل متى:

"17: 21 وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم"

وتظهر الشياطين بوضوح في الإنجيل، ويظهر لها سلطان مادي وروحي، فإبليس كبيرهم يحمل المسيح ويطير به ليختبره!! كما جاء في إنجيل متى:

"4:8 ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها.
4: 9 وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي.

4: 10 حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد"

كما أن الشياطين تدخل أجساد البشر وتسبب لهم الأمراض العضوية، والمسيح يخرجها فيعُافى المصابون! ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى كذلك:

"32:9 وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه.

9: 33 فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين: لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل.

9: 34 أما الفريسيون فقالوا: برئيس الشياطين يخرج الشياطين"

وكما ظهرت كائنات خرافية في كتب العهد القديم، كذلك تظهر كائنات خرافية عجيبة في كتب العهد الجديد، إلا أن أعجب ما في الأمر أن واحدا من هذه الكائنات الخرافية هو الرب!

فيظهر الرب في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي على هيئة خروف عجيب!!

"6:5 ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض.

5: 7 فأتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش.

5: 8 ولما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخا أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورا هي صلوات القديسين"

ولم نعرض لصفة هذه الحيوانات الأربعة لأنه سيقال أنها رؤيا وأنها كائنات لا تنتمي لعالمنا، ولا لغيرها من الكائنات الخرافية الموجودة في العهد الجديد، مكتفيين بذلك الرب الخروف العجيب، ففيه من العجب ما يكفي!

وكما رأينا من الأمثلة المعروضة فإنه لم يظهر في تلك الحضارات "الإله المتفرد" وإنما ظهرت أرباب عديدة مختلفة الأدوار، لم يتحقق في أي منها الكمال الإلهي وإنما حملت السمات البشرية الناقصة، والممزوجة بالهيئة الحيوانية، مما يدل على أنها

صناعة بشرية، حاول العقل فيها أن يتغلب على نقاط الضعف البشرية بإضافة مواطن قوة وتميّز الحيوانات إلى الإنسان[23].

كما رأينا أن بعض هذه الآلهة! يستحق أن يُنعت بالشياطين! تبعا للأدوار التي يقوم بها، لذلك رأينا تهاوي الحاجز الفاصل بين الإله والشيطان في التصور والأدوار، ولذلك احتل الشيطان والشياطين منزلة كبيرة في معبودات الحضارات القديمة! فلماذا تُفرد الآلهة –أو الإله– الخيّرة بالعبادة، إذا كانوا في نفس درجة الأشرار، وإذا كان في أفعالهم ما يقارب أفعال الآخرين؟!

وإذا كان هناك صراع بين الفريقين فمن الأحوط أن يتقرب الإنسان إلى كليهما، حتى يضمن خير هذا ويتجنب غضب وضر ذاك!!

عبادة الشيطان

رأينا كيف احتلت الشياطين مكانة بارزة في الأديان القديمة، حتى أنها اعتُبرت كآلهة وعُبدت، ومع مرور الزمن توارت تلك الأديان وبرزت الديانات الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية والإسلام.

ورأينا كيف أن الشيطان احتل مكانة بارزة في الديانة المسيحية، تكاد تقترب من مكانة الرب، حتى أن الرب نفسه لم يجد حلاً للانتصار عليه إلا أن يتجسد في شكل بشري ليُصلب، ويفدي البشر بدمائه!

وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الخدعة لا تفلح، وستقوم معركة في آخر الزمان بين الملاك ميخائيل وأتباعه وإبليس وأتباعه.

---

[23] نوصي القارئ الكريم بالإطلاع على كتابنا: السوبرمان بين نيتشه والقرآن، والذي عرض لمسألة "قوة الإنسان"، وبيّن كيف أن التصورات البشرية للقوة تصورات سطحية ساذجة طفولية! وقدم تصورا إسلاميا للإنسان الأعلى!

وبسبب هذه المكانة الكبيرة للشيطان، انبثقت عن الديانة المسيحية بعض الطوائف، التي اتجهت إلى عبادة الشيطان، بحجة أن الشيطان انتصر في تحديه للإله، فالشر هو السائد في العالم، ومن ثم فإن الشيطان هو المستحق للعبادة!

ونشأت هذه الطوائف على استحياء في العالم الغربي في القرون الوسطى، –وهناك من يرى من المؤرخين أنها نشأت في القرن الميلادي الأول بالتوازي مع المسيحية– كتنظيمات سرية، خوفاً من البطش الذي كانت الكنيسة ستنزله بأفرادها، وبالفعل كان يُعدم من يُضبط من هذه الجماعات. ويعتبر الظهور الحقيقي لهذه الجماعات في العصر الحديث –عصر التحرر!– في القرن العشرين، عندما ظهروا على الملأ، وأخذوا يدعون إلى مذهبهم!

والقول بأن عبادة الشيطان في العصر الحديث منبثقة عن المسيحية راجعٌ إلى أنها نشأت في مجتمعات ذات ثقافة مسيحية، من أفرادٍ تمردوا على الرموز المسيحية، فنجد أنها تتخذ نفس الرموز المسيحية ولكن بشكل مخالف، فهناك كنيسة للشيطان، وهناك إنجيل ولكنه أسود، وهناك صليب ولكنه يستعمل مقلوباً أو معقوفاً، كما أنه قد يُهان في تلك الطقوس، فيُحرق أو يُداس!

و"يعد اليهودى الأمريكي أنطون سازاندور لافى Anton Szandor Lavey أول من أسس معبد رسمي للشيطان على الأرض في العصر الحديث بمدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد قام لافي باعتماد هذا المعبد وشهره رسميا في 22 أبريل عام 1966 ميلادية.[24]" اهـ

ولأن عبادة الشيطان أو الديانة الشيطانية ما هي إلا تمردٌ على المسيحية، وجدنا لافي هذه يؤلف كتاباً يسميه بالكتاب المقدس الشيطانى The Satanic Bible! ووضع فيه تعاليم، نسبها إلى الشيطان، وهي مضادة للتعاليم الموجودة بالإنجيل المقدس، كما ضمّن هذا الكتاب شعائر وطرق عبادة الشيطان!!

[24] مجدي صادق، عبادة الشيطان (ضد المسيح)، ص.29.

ويعرض عبد الله كمال النقاط الرئيسة لهذا الدين! والتي تُعد بمثابة الدستور أو قانون الإيمان! الخاص به، فيقول: "والجزء الأول يمثل دستور الديانة، وهو مكون من 9 عبارات، نصها كما يلي:

1- الشيطان يمثل الانغماس في اللذة بدلاً من التقشف.

2- الشيطان يمثل الوجود الحيوي بدلاً من الأحلام الروحية المحدودة.

3- الشيطان يمثل الحكمة غير الملوثة مقابل خداع النفس الزائف.

4- الشيطان يمثل العطف على من يستحقه بدلاً من الحب الذي يمنح للجاحدين.

5- الشيطان يمثل الانتقام بدلاً من إدارة الخد الآخر للضارب.

6- الشيطان يمثل المسئولية للمسئول بدلاً من الاهتمام بمصاصي الدماء.

7- الشيطان يمثل الإنسان، مثل أي حيوان آخر، أحياناً يكون أفضل من الحيوانات، وأحياناً يكون أسوأ من التي تمشي على أربع، وذلك لأنه باهتمامه بالروحانيات الإلهية أصبح أكثر الحيوانات وحشية.

8- الشيطان يمثل كل ما يسمى بالخطايا، حيث إنها تقود إلى الإشباع المادي والجسدي والمعنوي.

9- الشيطان هو أفضل صديق للكنيسة، حيث إنه هو الذي جعلها تعمل طول هذه السنوات.[25]" ا.هـ

وكما رأينا فإن قانون إيمان لافي –والذي كان اسمه: ليفي (لاوي)، فغيره حتى يبتعد عن كل ما له علاقة بالكتاب المقدس– هو قوانين مضادة لما هو موجود في المسيحية، نزعت المسيح من مكانه ووضعت مكانه الشيطان!

[25] عبد الله كمال، تجربة شخصية مع عبدة الشيطان، ص.151–152.

وعلى الرغم من أن أتباع هذا الدين يُسمون عبدة الشيطان، إلا أنهم لا يؤمنون كلهم بالشيطان –كما تصوره الأديان السماوية– وإنما ينقسمون إلى فرقتين:

فرقة الشيطانية الإيمانية (Theistic Satanism)، والتي تؤمن بوجود كائن فوق طبيعي هو الشيطان، يقدسونه ويبجلونه!

وفرقة الشيطانية الإلحادية (Atheistic Satanism)، وهم ملحدون لا يؤمنون بالشيطان كما تصوره الأديان، ولا يؤمنون بإله ولا بيوم آخر ولا حساب، وإنما يؤمنون بالرمز الذي يجسده الشيطان!

وعبادة الشيطان قائمة على إطلاق العنان للشهوات وعدم تقييد النفس أو الرغبات، وإنما الاستجابة لكل ما تطلب، وأن يتعامل الإنسان بواقعية (حيوانية) بدلاً من أن يخدع نفسه بشعارات لا يؤمن هو نفسه بها!

وفلسفة عبّاد الشيطان محورها القوة، فالقوي هو الأصلح، ويرون أن أخلاق الكتاب المقدس –والقرآن– ما جُعلت إلا لحماية الضعف والضعفاء! ومن ثم فعلينا إيجاد نظم جديدة للتربية تعتمد على الوصول إلى القوة، والتحصل على اللذة بأقصى حدٍ ممكن! ولا بأس بخوض الحروب من أجل الوصول إلى هذه الأهداف! ويمكن القول أن مبادئ الديانة الشيطانية مستقاة من فلسفة القوة للفيلسوف الألماني نيتشه، القائمة على عدم المساواة والمناداة بالإنسان الخارق[26]!

وعلى الرغم من تهافت وسطحية أقوالهم إلا أنهم يرون أن ما يقولون به هو الحقيقة، فهم في الواقع يعبدون الحقيقة والواقع لا الأوهام!

وفي هذا يقول حسين عبد الواحد: "وقد أسس ليفي هذه الجماعة تحت شعار عبادة الحقيقة، باعتبار فهم خاطئ يرى أن الشيطان هو الحكمة غير المشوهة، بدلاً من

(26) عرضنا لنيتشه وفلسفته في كتابنا: السوبرمان بين نيتشه والقرآن، ونقدنا تصور الإنسان الأعلى عنده، وبيّنا أنه تصور وهمي لا يمكن تطبيقه على الأرض، وقدمنّا البديل القرآني له!

خداع النفس والآخرين، كما إنه يمثل نقيض إدعاء التسامح حيث ينتقم ممن يعتدي عليه (...) كما إن العديد من أعضائها لا يؤمنون بوجود الشيطان كحقيقة مادية بل كفكرة مجردة، لمثل كل الخطايا أو الآثام التي اختلقتها المجتمعات بهدف حرمانهم من الإشباع العضوي والعقلي والعاطفي.[27]" اهـ

وأفعال المنتمين لهذه العبادة أفعال حمقاء هزلية، نابعة من التصورات البدائية عن الشيطان، والتي تظهره بمظهر كبش له قرون، وأنه كائنٌ أسود قبيح، ومن ثم فإنهم يحرصون على ارتداء الملابس السوداء!

وبما أنها حركة مضادة للأديان فمن المتوقع أن تكون عبادتهم ارتكاب المحرمات التي نهت الأديان عنها لذلك نجد أن طقوس القُداس! الذي يقيمونه يشتمل استدعاءً للشيطان وممارسةً للجنس والشذوذ على أنغام الموسيقى الصاخبة، مثل Black Metal وHeavy Metal وDeath Metal، والتي تكون مصحوبة بالرقص المجنون، الذي يدخل فاعله في حالة من الغيبوبة، لا يدري معها ما يفعل!! وكذلك قتل وتعذيب بعض الحيوانات –بل ويصل الأمر أحياناً إلى قتل البشر!– وشرب دمائها!

ومما يأسف له المرء أننا وجدنا في مجتمعاتنا العربية، من انتسب إلى تلك الجماعات، وأخذ يقلدهم فيما يفعلون، تقليداً أعمى! ظناً منهم أن هذا تمردٌ على المجتمع الذي يقيدهم! فلماذا التمسك بالأعراف، لنتحرر (لنصير حيوانات متوحشة) كما تحرر الأسياد الغربيون!

وظهرت هذه البدعة عندنا في أواخر القرن العشرين، حيث ألقت قوات الأمن العربية القبض على مجموعة من الشباب والفتيات –كلهم من أبناء علية القوم!– في عددٍ من البلدان العربية، مثل مصر والسعودية والكويت والبحرين.

[27] حسين عبد الواحد، عبدة الشيطان على ضفاف النيل، ص.147.

وهناك من يقول أنه قد وُجد بين المسلمين –منذ زمن بعيد– من يعبد الشيطان، وهم الطائفة اليزيدية، وكانت مظاهر عبادته تختلف عن هذه المظاهر كليةً! إلا أننا نرفض هذا القول تماماً ونرى أنه مما تُقول عليهم، لإساءة الناس فهم فلسفتهم، وفي هذا يقول العقاد: "أما النحلة التي ينسبونها إلى الشيطان، ولا تزال لها بقية في العصر الحاضر، فهي النحلة اليزيدية التي تقيم في شمال العراق، وينتمي أبناؤها جميعاً إلى الكرد، ولا يعرف أحدٌ على التحقيق سبب تسميتهم باليزيدية، ولا يعول على أقوال أحد علمائهم أو جهلائهم، لأنهم يحرمون التعليم على عامتهم ويجعلونه وقفاً على أسرة منهم تتولى الكهانة وأمانة الأسرار في هذه الديانة. فمن كان منهم عالماً بتلك الأسرار فهو لا يبوح بها ومن كان من جهلائهم وعامتهم، فهو يتلقى ما يسمعه ويُؤذن له بعلمه (...) وليس فيما رواه الثقات عنهم ما يثبت عبادتهم للشيطان، ولعل القول بعبادتهم للشيطان لبسٌ، جاء من اعتقادهم أن الإله الذي يسمونه "طاووس ملك" نصح لآدم بأكل الحنطة فانتفخ بطنه، وضاقت به الجنة، فأخرجه طاووس ملك العراء وصعد إلى السماء، ولم يكن لآدم مخرج فأرسل إليه طائراً ينقر بطنه فاستراح من أكل الحنطة، وعاش بعيداً من الجنة المطهرة، يأكل هو وبنوه من ذلك الطعام الأرضي إلى يوم القيامة.[28]" اهـ

وهذه العبادة وإن لم تحقق الشرط الرئيس للعبادة، وهو حب المعبود والسعي للوصول إلى رضاه، فإنها حققت أهم شرط فيها وهو الطاعة، والعيش تبعاً لما يريده المعبود، لذا لا يظنن ظانٌ أن عبادة الشيطان ظاهرة محدودة الانتشار والأفراد، فأكثر أهل الأرض يعبدون الشيطان، فهم ينفذون مخططه، ويحققون له ما يريد، فطالما أن الإنسان لا يعبد الرحمن فهو عابدٌ للشيطان، فكما قال الدكتور محمد المسير: "عبادة الشيطان هي المقابل لعبادة الله وعلى النقيض منها، وهي الوصف الجامع لكل صور الشرك والكفر والفساد. ويوم تناست البشرية عهدها الأول مع الله تعالى، بدأت عبادة الشيطان (...)، ولذلك خاطب إبراهيم عليه السلام أباه يدعوه إلى عبادة الله، وترك

[28] عباس العقاد، إبليس، ص.139–140.

عبادة الشيطان، مع أن أباه كان يتخذ أصناما آلهة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤﴾] سورة مريم ,٤١-٤٤][29]" اهـ

[29] محمد سيد أحمد المسير، عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني، ص.36.

الفصل الثاني: الجن في الجاهلية

بعد أن عرضنا لتصورات عدد من الحضارات القديمة لهذه الكائنات غير المرئية، سواء كانت أربابا أو شياطين، ننتقل لنر كيف تخيّل العرب قبل الإسلام هذه الكائنات! ولأن العرب كانوا يعيشون في بيئة صحراوية، ذات طبيعة خاصة مختلفة عن بيئات الحضارات السابقة، فمن المتوقع أن يختلف "جنهم" عن "جن" باقي الحضارات، لأن خصائص هذه الطبيعة ستنعكس لا محالة في جنهم!

ولأننا لم يصل إلينا شيئاً من تاريخ العرب القديم مدوناً، فسنكتفي بما جاء مروياً عن عرب الجاهلية، والذي سنجد فيه آثار تأثر بالحضارات التي اختلط بها، وخاصة اليهودية والنصرانية، لأن أتباعهما كانوا يعيشون بينهم، وكان العرب الجاهليون يعرفونهم ويتعاملون معهم، ولهذا سنجد تشابها خاصاً بين تصور العرب للجن وبين التصور اليهودي له!

احتل الجن منزلة عظيمة في حياة العربي الجاهلي، على الرغم من أن تصوره لهيئة الجن نفسها كان مبهماً، إلا أنه كان يتصورها كمخلوقات عظيمة، ذات قوة خارقة، تميل إلى الشر ومشاكسة الإنسان، لذا عمل على استرضاء هذه المخلوقات وعدم التعرض لها بالأذى حتى لا تؤذيه بما لا يُطيق!

كما نسب كل أمرٍ غريب وشاذ إلى الجن، فالعربي ليس في حاجة إلى أن يتعب ذهنه، فهناك جن! وهو التفسير المُعد لكل ظاهرة لا يستطيع لها تفسيرا!

فمن ذلك أنهم نسبوا بعضاً من أفعال الطبيعة إلى الجن، وذلك لعجزهم عن إيجاد تفسيرٍ لها، فلسيطرة الخوف من المجهول عليهم، بحكم عزلتهم، تحيط بهم الصحراء المليئة بالمخاطر من كل جانب، ولعدم وجود عقلية علمية تحكم على هذه الأمور، فمن المنتظر أن يخرج لنا ذلك العقل الفزِع هذه الخيالات المريضة.

وتذكر لنا حليمة خالد نماذج لنتاج فزع العقل الجاهلي، فتقول: "وهكذا نلاحظ أن الخيال البشري تصور الجن في كل الأشكال والصور، التي يمكن أن يرسمها خيال مليء بالذعر من هذه المخلوقات الخفية، التي لم يرها أحدٌ على التحديد، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الشبلي من أنهم "قوم لهم أجنحة، وخراطيم دقيقة، يمشون على رجلين، أو على أربعة، ويطيرون". وزعم الجاهليون أنهم يسمعون أصواتاً غريبة، نسبوها إلى تلك الكائنات، وأطلقوا عليها عدة أسماء، أشهرها (العزيف)، ولم تأت هذه التسمية من فراغ، لأن العزيف في اللغة صوت الرمال إذا هبت بها الرياح، وعزف الرياح أصواتها، والعزف صوت في الرمل لا يُدرى ما هو، وفي حديث ابن عباس –رضي الله عنهما: "كانت الجن تعزفُ الليل كله بين الصفا والمروة" وقيل هو صوت يسمع بالليل كالطبل، وهو صوت الرياح في الجو، فتوهمه أهل البادية صوت الجن، فالوهم هو الأساس.[30]" اهـ

ونعرض بشكلٍ غير مفصل تصور العرب للجن، وإن كنا نراه كافياً ليبصر القارئ كيف صورت العقلية العربية –المعزولة تقريبا عن باقي الحضارات– الجن، وكيف أنها لم تكن أقل ثراءٍ من الحضارات الأخرى، فلقد أتت بأنواع وأصناف عديدة. وسنترك بعض النقاط في تناولنا هذا لنعرض لها عند تناولنا للجن في التصور "الإسلامي"، لنبصر كيف انتقل تصور الجاهليين إلى المسلمين!

أصناف الجن

إذا أراد أي باحث الحديث عن الجن في العصر الجاهلي، فلا بد أن يرجع إلى كتاب "الحيوان" للعلامة الموسوعي الإمام الجاحظ، وذلك لأنه عرض لهم وأسهب في عرض ما قالته الأعراب حولهم.

[30] حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، ص.82.

ومما ذكره الإمام الجاحظ عن أقوال الأعراب في مراتب الجن: "ثمَّ ينزلون الجن في مراتب فإذا ذكروا الْجِنِّيَّ سالماً قالوا: جني فإذا أرادوا أنّه ممن سكن مع النَّاس قالوا: عامر والجميع عُمّار، وإنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح، فإن خبُث أحدُهم وتعرَّم فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد.

قال اللّه عز ذكره: وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ، فإن زاد على ذلك في القوَّة فهو عفريت والجميع عفاريت قال اللّه تعالى: قال عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقْومَ منْ مقامِك. وهم في الجملة جنٌّ وخوافي قال الشاعر: ولا يُحَسُّ سِوى الخافي بها أثرُ فإن طهَرَ الجني ونَظُف ونَقِيَ وصار خيراً كلُّه فهو مَلَك –في قول من تأول قوله عز ذكره: كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ على أنّ الجنَّ في هذا الموضع الملائكة–. (...) استطراد لغوي وقال آخرون: كلُّ مُستْجِنٍّ فهو جِنّيٌّ وجانّ وجنين وكذلك الولدُ قيل له جنينٌ لكونه في البطْن[31]" اهـ

ومن الأصناف التي ذكرها الجاحظ كذلك في كتابه "الحيوان" وإن لم يعرض لها بتفصيل: "الهاتف" و"الهواتف"، وذلك لأنه رأى أن المدلول واضح من الاسم فلا يحتاج إلى تعليق!

والهاتف هو صوت يُسمع بدون أن يُرى قائله، ومن ثم فقائله لا محالة جني! يريد أن يخبر الناس بشيء ما، ولقد ورد في التراث العربي –قبل الإسلام وبعده– العديد من الأقوال التي نُسبت إلى هواتف الجن، منها ما قيل أن هواتف الجن هتفت بموت المنصور في البصرة في يوم موته في مكة! ومنها ما قيل أن الجن قالت أنها قتلت سعد بن عبادة وأعلمت البشر بذلك في بيتي شعر تفتخر بذلك!

ومن الأصناف التي ذكرها الإمام الجاحظ كذلك "الشق"، فقال: "ومن الجنِّ جنسٌ صورةُ الواحدِ منهم على نصف صورة الإنسان واسمه "شقّ" وإنّه كثيراً ما يعرض للرّجُل المسافر إذا كان وحْدَه فرّبما أهلَكه فزعاً وربما أهلَكه ضرباً وقتلاً. قالوا: فمن ذلك

[31] عمرو الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المجلد السادس، ص. 191.

حديثُ علقمة بن صفْوان بن أميَّة بن محرِّث الكناني جدّ مروان بن الحكم خرج في الجاهلية وهو يريد مالاً له بمكة وهو على حمار وعليه إزارٌ ورداء ومعه مِقْرعة في ليلةٍ إضْحِيانة حتى انتهى إلى موضعٍ يقال له حائط حزمان فإذا هو بشقّ له يدٌ ورجل وعينٌ ومعه سيف ...[32]" اهـ

ولم تقصر المخيلة العربية عن ابتكار مخلوقات هي خليط من الإنسان وتلك الكائنات الأخرى! فوجدنا "النسناس" والواق واق والدوال باي! وغير ذلك!

ويعرض العلامة الجاحظ لهذه المخلوقات فيقول: "وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشِّق والإنسان ويزعمون أنَّ خلقاً من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ والناس والشقِّ ويأجوجِ ومَأجوجِ وذكروا عن الوَاق واق[33] والدوَال باي أنهُمْ نِتاجُ ما بينَ بعض النَّباتِ والحيوان وذكروا أنَّ أمَّةً كانت في الأرض فأمرَ اللّه تعالى الملائكة فأجلوَهم وإيَّاهم عَنَوا بقولهم : ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ... ۝٣٠﴾] سورة البقرة ,٣٠ [، ولذلك قال اللّه عزَّ وجلَّ لآدم وحواء: ﴿... وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾] سورة البقرة ,٣٥[" فهذا يدلُّ على أن ظالماً وظُلماً قد كان في الأرض.[34]" اهـ

---

[32] المرجع السابق، المجلد السادس، ص.206.

[33] سمعنا في صغرنا عن بلاد الواق واق! وكنا نظن أنها بلاد خرافية مختلقة، لما ورد في نعتها من الخرافات، فلقد قيل أنها ستمائة وألف جزيرة وإنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرة لها ثمرة على صور النساء معلقات من الشجرة بشعورها وإذا أدركت يسمع منها صوت واق واق! فلما كبرنا عرفنا أن بلاد الواق واق هي بلاد اليابان! وأن هذا هو الاسم الذي كان يطلقه الصينيون على اليابانيين!

ويوضح الأستاذ نوتوهارا (نابوأكي) –أحد المستعربين اليابانيين– لماذا سمى العرب اليابان بلاد الواق واق: "في اللغة اليابانية القديمة (واكو) تعني قراصنة، وربما حفظ هذه الكلمة العرب من التجار المسافرين في مراكب صينية، على مقربة من الأرخبيل الياباني، وكانوا عرضة لهجوم أولئك القراصنة اليابانيين الذين كانوا رجالاً قصار القامة غلاظ الأبدان، موصوفين بالشدة والعنف، وعندما كان البحارة الصينيون يلمحون أولئك القراصنة، كانوا يصرخون خوفاً وتحذيراً: "واكو واكو.. واكو واكو". ومن هنا، في تقديري، نحت العرب اسم ال"واق واق".. حين سمعوهم يصرخون (واكو.. واكو) **Wakoo**، أي قراصنة، قراصنة..".

[34] المرجع السابق، المجلد الأول، ص. 189–190.

وهناك أصناف أخرى ابتكرتها مخيلة العربي، إلا أننا سنفرد الحديث عن بعضها في عنصر مستقل، لشهرتها في مجتمعاتنا المعاصرة.

الغول

من أشهر الكائنات الخرافية المعروفة عند الإنسان العربي في وقتنا الحالي، وعلى الرغم من أنه من المفترض انتمائه إلى الجن، إلا أن كثيرون يفردونه بصورة خاصة قبيحة! وربما يرجع هذا إلى وسائل الإعلام والتي قامت بتصويره على شكل وحش قبيح مخيف! وربما إلى تشابه اسمه مع كلمة "غوريلا"، مما جعل المتلقي المعاصر يُسقط صورة قريبة من ذلك الحيوان على هذا الكائن السمعي!

فما هو الغول؟

يقول الإمام الدميري: "الغول: –بالضم– أحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، وهم سحرتهم. قال الجوهري: هو من السعالي والجمع أغوال وغيلان، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والتغول التلون. قال كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله تعالى عنه:

فما تدوم على حال تكون بها — كما تلون في أثوابها الغول

ويقال: تغولت المرأة إذا تلونت. ويقال: غالته غول، إذا وقع في مهلكة. والغضب غول الحلم.[35]" اهـ

وعلى الرغم من هذه الشهرة الكبيرة للغيلان، فإن قرناءها من السعالي، لم تحظ بهذا الانتشار، على الرغم من أنها من نفس الجنس، والمفترض أنها أخبث الغيلان!

[35] كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، الجزء الثاني، ص.263.

والغول في العقلية العربية، هو ذلك المخلوق الذي يضل المسافرين في أسفارهم، وهو "يتلون في ضروب الصور والثياب، ذكراً كان أو أنثى، إلا أن الأكثر على أنه أنثى، والسعلاة اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السُفار. قالوا: وإنما هذا منها على العبث، أو لعلها تفزع إنسانا فيتغير عقله. وزعموا أن خلق الغول كالإنسان، ولكن رجليها رجلا حمار. ولا يزال أهل مكة يتحدثون عن "الدجيرة" وهي في سماتها كالغول، فرجلاها رجل حمار، ووجها وجه امرأة، وهي لا تسير إلا ليلا ...[36]" اهـ

ويزيدنا جواد علي تعريفا بذلك الكائن المشهور... المجهول! فيقول: "وذكر بعض علماء اللغة، أن الغول الذكر من الجن، والسعلاة الأنثى. والغول ساحرة الجن، وتقول إن الغول يتراءى في الفلاة للناس فتضلهم عن الطريق. وأما "السعالي"، وواحدتها السعلاة، فذكر أنها سَحرة الجن. وقيل: إن الغيلان جنس منها، وأن الغيلان هي إناث الشياطين، وأنها –أي السعالي– أخبث الغيلان، وأكثر وجودها في الغياض، وأنها إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر، وأن الذئب يأكل السعلاة. وذكر أن "السعلاة" اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفّار. وهم إذا رأوا المرأة حديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة ممشوقة ممحصة، قالوا: سعلاة.

قال الأعشى:

ورجالاً قتلى بجنبي أريك ونساءً كأنهن السعالي

وذكر أن في الجن سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس وتخييل، وهم السعالى. وهم أقدر من الغيلان في هذا الباب[37]." اهـ

ولا يزال هذا التصور منتشر بين العوام عندنا في مصر –وغيرها من الدول العربية وغير العربية– فهم يؤمنون بوجود جن نصفه إنسان ورجلاه رجل ماعز! وهذا التصور قريب

[36] عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، ص.509.

[37] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد السادس، ص.729–730.

من تصور الكائن المسمى **Satyr** الموجود عند اليونانيين، والذي هو كائن، نصفه العلوي إنسان وساقاه ساقي ماعز!

وعلى الرغم من أنهم يرون أن الغيلان هذه هي سحرة الجن، أو من شدادها، إلا أنها لا تستطيع أن تحول ساقيها إلى شكل سيقان البشر! فيظلان على نفس الشكل الذي يكشفها أمام البشر!

وفي هذا يقول الجاحظ: "وتزعم العامَّة أنّ اللّه تعالى قد مَلّك الجن والشياطين والعُمَّار والغيلانَ أنْ يتحوّلوا في أيِّ صورة شاءوا إلاّ الغول فإنّها تتحوَّل في جميع صُورة المرأة ولباسها إلاّ رجليها فلا بُدَّ من أن تكون رجليْ حمار.[38]" اهـ

ونلاحظ أن العلامة الجاحظ على الرغم من إيراده هذه الأخبار في كتبه، فإنه كان لا يؤمن بها ولا يصدقها، فهو يُصدّرها دوما بقوله "وتزعم العامة"، "وتزعم الأعراب" وما شابه من تلك الأقوال التي تجعل العهدة على من يقول به، وتبين عدم اقتناعه به، وذلك لأنه كان معتزلياً يؤمن بأن البشر لا يقدرون أن يروا الجن!

مجتمعات الجن!

لم تكتف العقلية العربية بتصور أفعال فراد الجن! وإنما تعدت إلى تصور طبيعة حياة تلك المخلوقات! فجعلتها مجتمعات لها مساكن تقطنها! بل وزراعات تزرعها! والعجيب أن الجن –على الرغم من قواهم الخارقة!– لم يختاروا إلا الأماكن المقفرة ليسكنوا فيها! ولست أدري لماذا رضوا بهذا الحظ البئيس، لماذا لا يجلوننا نحن إليها، ويتطيبون هم بأفضل الأماكن؟!

[38] عمرو الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المجلد السادس، ص.220.

الشاهد أن الجن رضيت بالقفار، وفي هذا يقول العلامة الجاحظ: "وتزعم الأعرابُ أن اللّه عزّ ذكره حين أهلك الأُمة التي كانت تسمَّى وبارٍ كما أهلك طسْماً وجَدِيساً وأميماً وجاسماً وعملاقاً وثموداً وعاداً أنَّ الجنّ سكنت في منازلها وحمتها من كلِّ مَنْ أرادها، وأنّها أخصبُ بلاد اللّه وأكثرها شجراً وأطيبُها ثمراً وأكثرها حبّاً وعنباً وأكثرها نخلاً وموزاً، فإن دنا اليومَ إنسانٌ من تلك البلاد متعمِّداً أو غالطاً حَثوا في وجهه التراب فإن أبى الرُّجوعَ خبلوه وربّما قَتلوه.[39]" اهـ

ولا عجب لأن أن يأخذ الجن العربي نفس الطباع العربية، -أليس في بلاد عربية؟!- فجاءت الأسطورة لتظهر مجتمع الجن كمجتمع العرب، فهم قبائل وعشائر، وهم ينصرون بعضهم بعضا، ويثأرون لقتلاهم كما يفعل العرب!

وفي هذا يقول عبد الغني زيتوني: "لقد عرف العرب الجاهليون الجن معرفة واسعة، حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوا الجن عالماً شبيهاً بعالمهم في الجزيرة العربية. ذلك أن الجن يتألفون من عشائر وقبائل تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم، فمن قبائلهم الشهيرة قبيلة "مالك بن أقيش". وقبيلة "بني الشيعبان" (...) فإذا حدث أن قتل إنسان أحد أفراد الجن، عامداً أو خطأ، فإن قبيلته تثور ثائرتها، وتنهض للثأر من القاتل الإنسي وقبيلته، كما هي عادة الجاهليين في الثأر. ولا يحدث ذلك في هدوء، وإنما تتبعه ضجة صاخبة وغبرة عظيمة تكاد تحجب السماء عن الأعين، مما يدخل الرهبة في نفوس البشر.[40]" اهـ

ولن نسأل كيف قتل الإنسان واحداً من الجن، فربما كان متشكلا في هيئة حيوان من الحيوانات! -ثعبان مثلا- فقتله الإنسان وهو لا يعلم!

---

[39] عمرو الجاحظ، الحيوان، تحيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء السادس، ص.215.

[40] عبد الغني زيتوني، الجن وأحوالهم في الشعر الجاهلي، مقال في مجلة التراث العربي، -مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 20 -السنة الخامسة- يوليو 1985- ذو القعدة 1405.

وكما أن الإنسان يقتل الجن، فكذلك يقتل الجن الإنسان، –ولا يقتلون الضعيف وإنما يقتلون مَن كان من قبيلة قوية!– وفي هذا يقول الدكتور جواد علي: "وذهب الجاهليون إلى جواز قتل الجن للإنسان. وقد بقى هذا الاعتقاد في الإسلام. فلما قُتل "سعد بن عبادة بن دليم"، زُعم أن الجن قتلته. ولما قُتل المغني المعروف "الغريض"، وهو من الموالي، وكان نشأ خياطاً ثم أخذ الغناء بمكة. عن "ابن سريج"، زُعم أن الجن نهته أن يغني لحنه الذي يقول فيه:

تشرب لون الرازقي بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فلمّا لم ينتهِ قتلته الجن في ذلك خنقاً. وزُعِمَ أن الجن خنقت "حرب بن أمية"، وقالت الجن في ذلك شعراً. وقتلت "مرداس بن أبي عامر"، أبا "عباس بن مرداس"، واستهوت "سنان بن حارثة"، ليستفحلوه، فمات فيهم. واستهووا "طالب بن أبي طالب"، فلم يعثر أهله له على أثر، واستهووا "عمرو بن عدي" اللَّخمي الملك، ثم ردّوه على خاله "جذيمة بن الأبرش"، بعد سنين وسنين.[41]" اهـ

ولن نعلق على هذه النقطة، ونترك للقارئ الحكم، إذا كان هذا من فعل الجن، أم أنها مجرد اغتيالات خفية، أُريد ألا يُبحث عن فاعلها! بالإضافة إلى بعض الأفراد الذين ضلوا طريقهم، فلم يرجعوا إلى أقوامهم!

ولا يقتصر التشابه على هذا الأمر وإنما يمتد إلى أحوالهم في قبائلهم، ففيهم الرحل والحضر، وفيهم السادة والأتباع، وفي هذا يقول جواد علي: "وتتألف الجن من عشائر وقبائل، تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم. وهي كعشائر وقبائل جزيرة للعرب، تتقابل فيما بينها، ويغزو بعضها بعضاً. ولها أسماء ذكر بعضاً منها أهل الأخبار، كما أن لها ملوكاً وحكاماً وساداتِ قبائل. فهي في حياتها تحيى على شكل نظام حياة الجاهليين. وإذا اعتدى معتد على جان انتقمت قبيلته كلها من المعتدي أو المعتدين. وبين قبائل الجن عصبية شديدة، كعصبية القبيلة عند الجاهليين، وهي تراعي حرمة

[41] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد السادس، ص.712–713.

الجوار، وتحفظ الذمم والعقود وتعقد الأحلاف. فنحن إذن أمام حياة.جاهلية مستترة غير منظورة، هي حياة جن جاهليين، ومن الجن "بنو غزوان"، "بنو عزوان." وقد تتقاتل طوائف من الجن، فيثير قتالها عواصف الغبار، ولذلك فسر الجاهليون حدوث العواصف والزوابع بفعل الجن. ونجد هذه الفكرة –فكرة إحداث الجن للرياح والعواصف– في المزامير من أسفار التوراة. وهم مثل البشر، فيهم الحضر، أهل القرار، وفيهم المتنقلة وهم أعراب الجن، وفيهم من يسير بالنهار، وفيهم من يسير بالليل، وهم "سراة الجن"، و"السراةّ".

قال الشاعر: أتوا ناري فقلت منون؟ قالوا: سراة الجن، قلت: عموا ظلاماْ

وللجن كما للإنس سادة ورؤساء وعظماء، نذكر منهم: الشنقناق والشيصبان. وقد ذُكر الأول في شعر "بشار بن برد" وفي شعر لأبي النجم، وفي شعر حسان بن ثابت. و "دحرش" أبو قبيلة من الجن. وعقد الجاهليون أحلافاً مع الجن على التعاون والتعاضد، فقد ذُكر أن قوماً من العرب، كانوا قد تحالفوا مع قوم من الجن من "بني مالك بن أقيش[42]"." اهـ

ولم يقتصر الأمر على هذا بل تعداه إلى خاصية من خواص الإنسان، وهي امتطاء الدواب، فكما كان للعرب مطايا فللجن كذلك مطايا! ولا ينبغي لنا أن نتساءل: ما حاجة الجن إلى المطايا؟ فإذا كان الإنسان يركب الفرس والجمل ليتحرك بسرعة أكبر، فلماذا يلجأ الجن الذي يطير في الهواء إلى ركوب بعض الدواب؟!

والمطايا التي يركبها الجن لا تصلح للركوب، بل إن بعضها جد بطيء!

ويعرّفنا العلامة الجاحظ بالدواب التي يدعي الأعراب أن الجن يركبونها، فيقول: "والأعراب لا يصيدون يربوعاً ولا قُنفذاً ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيءٍ يكونُ عندهم من مطايا الجنّ كالنَّعام والظّباء. ولا تكون الأرنبُ والضَّبع من مراكب الجن لأن

[42] المرجع السابق، ص.711–712.

الأرنب تحيض ولا تغتسل من الحيض (!!) والضبّاع تركبُ أيورَ القتلى والموتى إذا جيَّفتْ أبدانهم وانتفخوا وأنعظوا ثم لا تغتسل عندهم من الجنابة (!!) ولا جنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك، ولا تمتطي القرود لأن القرد زان ولا يغتسل من زناه. فإنْ قتلَ أعرابيٌّ قُنفذاً أو ورلاً من أول الليل أو بعض هذه المراكب لم يأمنْ على فحل إبله، ومتى اعتراه شيءٌ حكم بأنه عقوبةٌ من قبلهم.[43] " اهـ

ويمتد التشابه بين الجن العربي وبين القبائل العربية إلى نهاية الخط، حتى أنه يمكن القول أن الفارق بين الاثنين يكاد ينحصر في أن هذا جنس وذاك آخر!!

شياطين الشعر

مما اشتُهر عن العرب قولهم بأن لكل شاعر مجيد شيطان، يلقي الشعر على لسانه، وذلك استمراراً لعادتهم في نسب كل غريب وغير مألوف إلى الجن! ومن ثم يمكن القول أن تفاوت الشعراء في الجودة والإتقان راجع إلى حنكة شياطينهم التي تلقّنهم، وليس إلى أي شيء آخر!

فإذا كان الشاعر محظوظا ورافقه شيطان مُجيد فسيأتي بدُرر الشعر، وإن لم يكن كذلك فسيأتي بشعر رديء!

وقول العرب بشياطين الشعر ليس مما تفرد به العرب، فلقد كان قدماء اليونانيين يدّعون أن لهم إلهات للشعر[44]، يسألونهن المدد! وتعطيهن معانٍ جميلة وصوراً من البديع يزينون بها قصائدهم. والفارق بين العرب واليونانيين أن اليونانيين جعلوها آلهة

[43] عمرو الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء السادس، ص.46–47.

[44] من تلك الإلهات: كاليوبي، إلهة الحديث العذب وإلهة الشعر القصصي، إنتريب إلهة الموسيقى، ايراتو إلهة الشعر الغنائي، و ميلبومين إلهة الانشاد التراجيدي.

أما العرب فقالوا أن ما ينشأ في عقولهم هو "وحي" تلقيه الشياطين إليهم، لا أنه من نتاج أنفسهم.

كما أن آلهة الشعر اليونانية كانت للجميع، فهي تمد الجميع بما يطلبون! أما شياطين الشعر العربية فهي مخصوصة، فلكل شاعر شيطان، يلقي الشعر على لسانه، ولا يتعداه لغيره – ربما حفظاً لحقوق الملكية الفكرية!–

ويعلق جواد علي على إيمان العرب الشديد بشياطين الشعر هذه، فيقول: "وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر، وتلقنها إياه وتعينها عليه، وتدعي أن لكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود. وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا أن ذكروا لهم أسماء شياطينهم، فقالوا: إن اسم شيطان الأعشى: مسحل، وللأعشى أشعار فيه، يمدحه ويثني عليه، لأنه يعاونه ويساعده في نظم الشعر فيلقيه عليه إلقاءً. وقد زعم "حسان بن ثابت" أن شيطانه الذي يلهمه الشعر هو من "بني شيصبان" من فصائل الجن. وقد انتقلت هذه العقيدة في إلهام الشعر للشعراء إلى المسلمين كذلك. وقد دعا "جرير" شيطانه الذي يلقي عليه الشعر "إبليس الأباليس." ويكنى عن الشيطان بالشيخ النجدي. وقد أشير إليه مراراً في كتب السير والأخبار.[45] " اهـ

ولست أدري حقيقة لماذا صدّق العرب والشعراء أنفسهم، في أن طيب الشعر الذي يقولون هو من قول الجن وليس من بنات أفكارهم؟! نعم، ربما يميل الشاعر إلى إضفاء الغموض على شعره، وإنزال نفسه منزلة خاصة، وإضفاء سياجٍ من الحماية حول نفسه، ولكن أن يصدق هو نفسه الأمر فهذا هو العجب العجاب!

وهنا نلحظ أن الشياطين –على خلاف المتوقع– قد لعبت دوراً جيدا، فبدلا من أن تكون عنصر أذى أو ضلال، لعبت دوراً في تنمية وترقية الحس عند العرب، فأمدت

[45] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد السادس، ص.733–734.

شعرائهم بأجود القصائد، التي يطرب لها المستمعون، وبهذا يمكن القول أن الشياطين ليست شريرة دائما، فلقد لعبت أخيرا دورا تثقيفياً فنيا!

وإذا تكلمنا عن شعراء الجن فلزامٌ أن نعرض لوادي عبقر، ذلك الوادي المجهول الموضع، والذي ادعى بعضهم أنه في مكة، وآخرون أنه في نجد! ذلك الوادي الذي ادُعي أن شعراء الجن تقطنه منذ زمن بعيد، فإذا حدث وبات إنسان في ذلك الوادي فيأتيه واحد من هؤلاء الشعراء الجن ويلقي الشعر على لسانه فيصبح شاعراً مفوها! والواقع يقول بخلاف هذه الخرافة، فعبقر قرية في اليمن، تُوشى فيها الثياب والبسط والطنافس، وإنتاجها بلغ الدرجة العليا في الجودة، حتى صار يضرب بها المثل في كل شيء عال الجودة، فإذا أرادوا القول أنه ليس له مثيل قالوا: عبقري[46]!

وبشياطين الشعر ننهي حديثنا عن الجن والشياطين عند العقلية العربية الجاهلية قبل الإسلام، وقد قدمنا تصورا سريعا، -نراه كافياً لغايتنا-، ونعود لنذكر أن أهم النقاط المتروكة سنعرض لها عند تناولنا للتصور "الإسلامي" للجن.

[46] الموطن الوحيد الذي ذُكر فيه "عبقر" في القرآن يؤكد هذا القول، فالله العليم يقول: " مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ [الرحمن : 76]" فالحديث هنا عن صنعة فائقة، وليس له أي علاقة بالجن!

الباب الثاني

الجِنة في الإسلام

الفصل الأول: تعريفات وتصورات

تقديم

بعد أن عرضنا في عجالة سريعة لتصور الأقدمين للكائنات السمعية، ورأينا كيف أن تصورهم لها كان تصوراً قائماً على أمرين اثنين:

أولهما: أنه لم يكن لدى أي أمة من تلك الأمم تصور سليم خالص عن الإله الخالق، ذي الكمال، وكانت هذه الأمم على درجة من درجات الشرك.

ثانيهما: أن هذا التصور –سواءً كان لأربابٍ أو لشياطين أو لأرواح– كان محوره تضخيم قدرات الإنسان أو تشويه صورته، أو العمل على إيجاد خليط بين الإنسان وبين أحد أو بعض الكائنات الحيوانية.

فإذا انتقلنا إلى الإسلام ومصدره الرئيس "القرآن" فسنجد أن الحال يختلف كثيرا، ففي هذا الدين وهذا الكتاب –المتفرد ببقاء نصه الأصلي بلسانه الأصلي– نجد أن الإله هو الرب المتفرد بكل جلال وكمال، فليس هناك أرباب متنازعة ولا آلهة متناحرة، وإنما رب واحد، لا شريك له وليس كمثله شيء.

وتحت هذا الرب العليم القدير نجد أن هناك ثمة مخلوقات أخرى تقوم بأدوار عديدة، من أهمها تنفيذ أوامره، أوجب على المؤمنين به الإيمان بها، وهي الملائكة. بل وجعل الإيمان بها ركناً ركينا من أركان الإيمان الخمسة، فهي ليست من المسائل الفرعية أو المستنبطة وإنما هي من أصول الإيمان، فمن لا يقر بها ليس مؤمنا! ولم يُذكر في ذلك الكتاب أي مخلوقات أسطورية أو وحوش عجائبية مسخية، وإنما ذُكر بجوار الملائكة "جن" و"جان" و"شياطين"

إلا أنه لم يجعل الإيمان بهذه المخلوقات ركنا من أركان الإيمان، بل ولم يطلب الإيمان بهم مرة واحدة في الكتاب من أوله إلى آخره.

والملائكة والشياطين والجن هي أيضاً كائنات سمعية، ورد ذكرها في الكتاب العزيز، ولم نرها بأعيننا، ومن ثم فإن البحث الصحيح عنها يجب أن يكون بين صحف هذا الكتاب، لنستخرج منه التصور الصحيح الذي يقدمه لنا، ليعرفنا بها، وفي هذا يقول الدكتور عبد الرزاق نوفل: "وبذلك فإن كل بحث علمي في عالم الجن إنما يكون ببحث الخصائص العامة للمادة التي خلق منها الجن، ويمكن عن طريق الاستنتاج الوصول إلى معرفة بعض ظواهر عالم الجن وخصائصه وصفاته. وعندما يتأيد هذا الاستنتاج بما أورد القرآن الكريم عن عالم الجن كان ذلك من الحق واليقين الذي يُعتمد عليه، وأما إذا اختلف عما جاءت به الآيات الشريفة، كان الاستنتاج سيئا والظن خطأ[47]" اهـ

وبغض النظر عن أنه لا يمكن إجراء بحث علمي عن الجن والملائكة، لأنها كائنات غيبية، فإن الناظر في تصور المسلمين الحالي للشياطين والجن لا يجده يختلف في قليل أو كثير عن تصور عامة الأمم السابقة لها!

بل ويجد أنهم قد أضافوا الإيمان بالجن إلى جملة "العقائد" التي يجب على المسلم الإيمان بها، وجعلوه من المعلوم بالدين بالضرورة، وفي هذا يقول ابن تيمية: "لَمْ يُخَالِفْ أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ فِي وُجُودِ الْجِنِّ، وَلَا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَيْهِمْ، وَجُمْهُورُ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ عَلَى إثْبَاتِ الْجِنِّ أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَهُمْ مُقِرُّونَ بِهِمْ كَإِقْرَارِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ وَكَمَا يُوجَدُ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ كَمَا يُوجَدُ فِي طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ الغالطون وَالْمُعْتَزِلَةِ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الطَّائِفَةِ وَأَئِمَّتُهَا مُقِرِّينَ بِذَلِكَ. وَهَذَا لِأَنَّ وُجُودَ الْجِنِّ تَوَاتَرَتْ بِهِ أَخْبَارُ الْأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا مَعْلُومًا بِالِاضْطِرَارِ، وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهُمْ

[47] عبد الرزاق نوفل، عالم الجن والملائكة، ص.18.

أَحْيَاءٌ عُقَلَاءُ فَاعِلُونَ بِالْإِرَادَةِ بَلْ مَأْمُورُونَ مَنْهِيُّونَ، لَيْسُوا صِفَاتٍ وَأَعْرَاضًا قَائِمَةً بِالْإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ -كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ- فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْجِنِّ مُتَوَاتِرًا عَنْ الْأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا ظَاهِرًا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، لَمْ يُمْكِنْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الطَّوَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ أَنْ تُنْكِرَهُمْ، كَمَا لَمْ يُمْكِنْ لِطَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ الطَّوَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ إنْكَارُ الْمَلَائِكَةِ وَلَا إنْكَارُ مُعَادِ الْأَبْدَانِ وَلَا إنْكَارُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا إنْكَارُ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ رَسُولًا مِنْ الْإِنْسِ إلَى خَلْقِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ[48]" اهـ

وبغض النظر عن كون الجن والشياطين من أركان الإيمان أم لا، فمجرد ذكرها في كتاب الله تعالى يُحتم على المسلم الإيمان بها، فلا يمكن لمسلم أن يرفض كلمة واحدة في كتاب الله تعالى.

والخلاف كله يدور حول فهم هذه الكلمات المذكورة في كتاب الله تعالى، فهل نفهمها تبعاً للفهم الذي فهمه العرب، تبعا لتصورهم لها في الجاهلية، -والذي لا يختلف في كمّ وكيفِ الخرافة الموجودة فيه عن تصورات الأمم الأخرى- أم نفهمها تبعا لفهم الفلاسفة، والذين لديهم تصور للإله مخالف لتصور أصحاب الكتب السماوية، ومن ثم أوّلوها وجعلوها قوى الخير والشر في الإنسان، أم نفهمها بشكل آخر؟!

الباحث عن القول الفصل، عليه أن ينظر في كتاب الله العزيز نظرة فاحصة بتدبر، ليبصر ما يقول عن تلك الكائنات السمعية: الملائكة، الشياطين -وعلى رأسهم إبليس- الجان، والجن. وليعرف هل ما نؤمن به حول تلك الكائنات موافق لما جاء في الكتاب، أم أنه موافقٌ في بعض المواطن ومخالف في أخرى!

[48] أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، المجلد التاسع عشر، ص.10.

تصور الملائكة

الباحث في القرآن عن الملائكة، يجد أنها ذُكرت إحدى وأربعون مرة، أولها ذكراً في سورة البقرة كان عند الحديث عن خلق الإنسان: ﴿وَإِذْ قَالَ[49] رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة, ٣٠]

وتصوّر الملائكة يكاد يكون متفقاً عليه بين المسلمين، إلا أنهم اختلفوا في الأصل اللساني الذي اشتقت منه الكلمة على وجوه عدة.

ويعرض عبد العزيز بن صالح السلمي لهذه الاختلافات في تعريفه للملائكة، فيقول: "الملائكة في اللغة: جمع ملَك. واختلف أهل اللغة من أي شيء اشتق، على أربعة أقوال: القول الأول: أنه مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، لأنها تؤلك بالفم، وأصله مألوك، ثم قدمت اللام على الهمزة فقيل: ملأك، كما قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يَصوب

ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فصار ملك (!!) ولما جمع عادت إليه الهمزة. القول الثاني: أنه مشتق من لأك، والملأكة: الرسالة، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على ما قبلها، وسميت بها الملائكة لأنهم يبلغون رسالة الله عز وجل. القول الثالث: أنه من المِلك والمُلك وهو القوة، والميم فيه أصلية وجمعه على ملائكة وملائك شاذ. القول الرابع: أنه لا اشتقاق له. والهاء لتأنيث الجمع، أو للمبالغة كنسّابة، فهو معرب من اللغة العبرانية. ويؤيده أن التوراة سمت الملك ملَاكًا(هـ).[50]" اهـ

---

[49] عرضنا لهذه الآية في كتابنا: نشأة الإنسان، وبيّنا لماذا قال الله العليم الغني هذا للملائكة، وكيف أنه لم يكن من باب التشاور –كما قال بعض المفسرين– وإنما من باب الإعلام بما يحدث أمامهم!

[50] عبد العزيز بن صالح العبيد السلمي، تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان، ص.14.

وأنا أرى أن هذه الأقوال الأربعة غير صحيحة، وأرى أن أصل هذه الكلمة (وما شابهها من الكلمات القديمة الأصل والمذكورة في القرآن، -والمستغربة والمنسوبة إلى غير العربية، أو المدعَى أنها من المقلوب!- مثل: إبليس وطالوت وطاغوت) جذر كان موجوداً في العربية القديمة، وأُهمل استعماله مع التطور اللغوي.

والملائكة على وزن "فعاعلة"، وفعاعلة جمع لرباعي أو خماسي، مثل: مناذرة وغساسنة، ومن ثم يكون مفردها "ملأك"، ونحن لا نزال نستعمله إلى يومنا هذا -مخففا- فنقول: "ملاك".

ونحن نرفض قولهم بأن أصل الكلمة راجع إلى "ألك" أو "لأك" -والتي أصلها ألك!- لأن معنى كلتا الكلمتين يدور في فلك الإرسال، أي أن الملائكة "رسالات! أو مبلغو رسالات"

والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿... جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ... ①﴾ [سورة فاطر, ١]، فهل من المعقول أن أجعل الرسالات رُسلا؟! أو أجعل الشيء نفسه، فأقول مثلا: جعلت مبلغ الرسالات رسولا؟! إن مبلغ الرسالات رسول بالفعل وما هي إلا نفس التسمية بطريقة مغايرة!

وهذا يعني أن الملائكة في الأصل ليسوا كذلك ثم جُعلوا كذلك، ومن ثم فلزام أن يكون الاسم حاملاً دلالة أخرى! والله أعلم ما هو الأصل القديم الذي أُخذت كلمة "ملائكة" فهل تكون الكلمة مأخوذة من "ملك" المُزاد إليها الهمزة للدلالة على زيادة المعنى عن مجرد الملك؟! فهؤلاء ليس ملوكا وإنما ملائكة. أما أنها مأخوذة من اللوك وهو المعالجة الشديدة، والتي تظهر أكثر ما يكون في مضغ الأشياء الصلبة[51]. وأنا وإن كنت أميل إلى المعنى الأول إلا أنه من الصعب الجزم به ونبذ الآخر.

---

[51] يعتمد بعض الباحثين على التشابه بين تصور الملائكة في الزرادشتية والإسلام -واليهودية- للقول بأن اليهودية أخذت هذا التصور عن الزرادشتية، ثم أخذه الإسلام عن اليهودية. ونحن نقر بوجود التشابه بين الزرداشتية والإسلام، وذلك لأن الزرادشتية دين إلهي أصابه التحريف مثل أديان كثيرة سابقة.

فإذا تركنا الجانب اللساني وانتقلنا إلى التعريف الاصطلاحي للملائكة عند المسلمين، وجدنا أن التعريفات المذكورة حولهم، لا تصلح أن تكون تعريفات، وذلك إما لأنها غير جامعة مانعة، أو لأنها تقدم تصورات لا أصل لها في كتاب الله العزيز.

فإذا نظرنا في التعريف الذي قدمه عبد العزيز السلمي وجدناه يقول: "والملائكة في اصطلاح المسلمين: ذوات قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بالقدرة الإلهية، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون![52]" اهـ

وجدنا أنه يحتوي عددا من المعلومات غير الصحيحة عن الملائكة، والتي لم ترد في كتاب الله العظيم، كما أنه لم يبين إذا كانت هذه الكائنات عاقلة أم غير عاقلة! كما أنه لم يعرض للدور الرئيس الذي تقوم به الملائكة ومن أجله خُلقت.

فإذا انتقلنا إلى غيره من التعريفات وجدنا أنها تقتصر على أنها أجسام نورانية لطيفة، ليسوا بالذكور ولا بالإناث، لها أجنحة، قادرة على التشكل بقدرة الله وأنها مخلوقات خالدة لا تموت ولا تتغير! وهي تعريفات يعتريها من النقص وعدم الدقة ما يعتري التعريف السابق! وحتى نبين للقارئ الكريم الخلل في هذه التعريفات نعرض للنقاط غير المستقيمة فيها، ليبصر بعينيه كيف أن أكثر ما اشتُهر عنهم غير صحيح.

أبرز ما اشتُهر به الملائكة هو أنهم لا يأكلون ولا يشربون، وهذا قول صحيح ولكن "الآفة في تعاملنا مع الملائكة أننا أطلقنا بعض الأحكام بشأنهم، بدون الاستناد إلى أدلة قطعية وأننا قسناهم على البشر! فقلنا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون، استناداً إلى بعض آيات مثل أن الملائكة، التي أتت إلى الخليل، لم تأكل من العجل، الذي قدّمه لهم، وأنّ الله تعالى شنّع على من وصف الملائكة بالإناث! وأنا أسأل بدوري: هل الملائكة بشر، أو خلقٌ من عالمنا الطيني، حتى نسقط عليهم هذه الأوصاف؟!

[52] المرجع السابق، ص. 14-15.

إن الملائكة كائنات ذات طبيعة مختلفة تماما، وأنا أرى فعلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون، ولكن لا يعني هذا أنهم لا يحتاجون إلى مصدر تغذية أو طاقة، فإذا كانوا محتاجين، فسيكون هذا المصدر بالتأكيد مختلفاً عما نحتاجه نحن معشر البشر أو الحيوانات، في الهيئة وفي طريقة الوصول.

المشكلة الكبرى أننا تصورنا الملائكة بشرا من نور ولهم أجنحة –كما نرى في الرسومات!–، فمن أدرانا أن لهم أفواه أصلا، أو أنوف أو وجوه أو أذرِع أو أرجل؟! فلا يعني أنهم يتكلمون، أنهم يتكلمون لا محالة بأفواه وألسنة؟! ولا يعني أنهم يتشكلون بأشكالنا أنهم مثلنا! ويجب أن نعي هذه النقطة تماما: الملائكة خلق مختلف تماما، له أجنحة متناسبة مع خلقه، وليست كأجنحة الطيور، وهذا كل ما يمكننا معرفته عن خلقهم![53]." اهـ

ولو قلنا أنهم لا يحتاجون إلى مصدر "طاقة/تغذية" لأصبحوا آلهة! لا تُطعَم! وعلى الرغم من أن هذه المسألة تعتبر من المسلّمات ومما أطبق عليه العلماء، إلا أنه لا يوجد دليل واحد عليها، فعدم أكلهم من الطعام الذي قدمه لهم الخليل لا يعني أنهم لا يتغذون بشكل آخر! وكل من عرض لهذه المسألة لم يقدم دليلاً واحدا على عدم احتياجهم لطاقة/تغذية، سوى أن العلماء أطبقوا على هذا! أي أن كل عالم ينقل عمن سبقه بدون دليل، ثم أصبحت أقوالهم نفسها دليلا!!

فإذا تركنا هذه النقطة وانتقلنا إلى القول بأنهم ليسوا بالذكور ولا بالإناث، وجدنا كذلك أن هذا القول صحيح، ولكن هذا من البديهيات، فهم ليسوا من الخلق الطيني حتى يصدق عليهم هذا التقسيم. "فيجب ألا نقع في شراك التقسيمة المضحكة حول كونهم ذكورا وإناثا! أو ذكورا فقط بدون إناث، أو وجود شهوة جنسية فيهم!

إن هذه القسمة تعني انتمائهم للجنس الحيواني! (وهم ليسوا كذلك بداهة!) والعجيب أنها لا تنطبق على كل المخلوقات حولنا، فالنبتة الواحدة قد تكون ذكرا وأنثى في عين

[53] عمرو الشاعر، نشأة الإنسان، ص291.

الوقت! وعامة الحيوانات لا تمارس الجنس إلا في موسم للتزاوج، وليس اشتهاءً كما يفعل الإنسان والخنزير! والجمادات تنقسم إلى ذرّاتٍ ذات طبيعة موجِبة وأخرى سالبة، ولا تصدق فيها التقسيمة الحيوانية، التي تصدق علينا!

فلماذا لا ننظر إلى الملائكة باعتبارها قريبة من (ومختلفة عن) هذه التقسيمات؟! إن الذي يجب أن نأخذه في عين الاعتبار هو قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الذاريات, ٤٩] وكما رأينا فالزوجية لا تنحصر في ذكر وأنثى منفصلين، وإنما تظهر بأشكال عدة، والله أعلم بحال الملائكة! [54]" اهـ

فزوجيتهم تختلف لا محالة عن زوجية الحيوانات والنباتات والجمادات! ويندرج تحت هذه النقطة الدعوى بأنهم لا يتغيرون ولا يتوالدون ولا يتزاوجون، وفي هذا يقول الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل: "الملائكة باقون على أصل خلقتهم ولا يتوالدون ولا يتزاوجون: ميز الله عزّ وجلّ الملائكة بأنهم جنس يخلق كل واحد منهم بذاته، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم باقون على أصل خلقتهم التي خلقهم الله عليها، هذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة الصّافّات, ١٤٩-١٥٤][55]"اهـ.

وكما رأينا فالدكتور العقيل قدّم دعوى عريضة ولم يقدم دليلاً إلا على نقطة واحدة منها، وهي أنهم ليسوا بالذكور ولا بالإناث، فأين الدليل على أنهم باقون على أصل خلقتهم، وأنهم لا يتوالدون ولا يتزاوجون؟!

---

[54]. المرجع السابق.

[55] محمد بن عبد الوهاب العقيل، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، ص.72.

لقد عرض لهذا العنصر في صفحتين كاملتين، ولم يقدم دليلا متعلقا بالنقاط التي ذكرها، وإنما أخذ يذكر كلاماً عاما! إن التصور الذي قدمه المسلمون للملائكة قريب أو مساو لتصور الآلهة، فهم تبعا لقولهم لا يتغيرون، والمخلوق متغير لا محالة!

ونحن لا نقول أنهم يتوالدون، ولكن ما المانع أن تكون لهم طريقة يخرج منها ذرية؟! ولن نقع فيما وقع فيه السابقون، فنقول: بالانقسام الذاتي مثلا، لأن هذا يعني أننا نقيس الملائكة على الكائنات البسيطة في عالمنا الطبيعي!

إن أفلام الخيال العلمي قد أعطت تصورات لعمليات انقسام كائنات من الطاقة، فربما كان الأمر قريبا –أو حتى بعيدا– بشكل ما؟! نعود ونكرر، إننا كمسلمين مقرّين بتفرد الله بالغنى وعدم التغير، ومن ثم يجب علينا القول بأن الملائكة تتغير وتحتاج، بشكل يتناسب مع طبيعتها! أمّا أن نجعلها غير محتاجة وغير متغيرة فهذا مشابهة بالله!

إن الواجب على كل منا الانتباه إليه هو أنه لم يقم دليل على أن الملائكة لا تموت –لا تفنى–، فكيف نجزم بما دون ذلك؟! قد تمثل هذه المقولة صدمة كبيرة للقارئ، إلا أننا ندعوه ليتفكر: هل قدّم مدعو خلود الملائكة دليلا واحداً على ما يقولون؟!

وعلى الرغم من اختلافاتنا الكثيرة مع الرأي المشهور، إلا أننا نتفق معه في العنصر الرئيس وهي أنها ذوات قائمة وأنها كائنات عاقلة، ونرفض أقوال الفلاسفة الذين جعلوا الملائكة إشارة إلى قوى الخير في الإنسان –والشياطين قوى الشر– ولست أدري كيف وُجدت قوى الخير والشر قبل وجود الإنسان نفسه!

وللفلاسفة أقوال أخرى في الملائكة غير السابق، ومما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره لأقوال الفلاسفة في الملائكة: "أنها جواهر قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة البتة، وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علماً منها، وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء. ثم إن هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، ومنها ما هي لا على شيء من تدبير الأفلاك بل هي

مستغرقة في معرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته، وهذا القسم هم الملائكة المقربون ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السموات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة. فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما، ومنهم من أثبت أنواعاً أخرى من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي؛ ثم إن المدبرات لهذا العالم إن كانت خيّرة فهم الملائكة وإن كانت شريرة فهم الشياطين[56]"اهـ

فنحن وإن كنا نرى أن للملائكة دورا في تسيير الكون إلا أننا نرفض أن تكون الملائكة إشارة إلى النواميس والقوانين الحاكمة للكون!

ولكي يقدم المرء تعريفا شاملا للملائكة فلا بد أن يعرض للدور الذي تقوم به، وللمادة التي خلقوا منها، وهذان العنصران لن نعرض لهما هنا، وإنما سنتناولهما في نقطة قادمة، -حتى لا يحدث تكرار أو عدم اتصال لبعض النقاط والأفكار- وبهما سنكون قد قدّمنا التصور السليم عن الملائكة.

هل الملائكة مسيرون

على الرغم من أنه كان من المفترض نقاش هذه النقطة تبعا للعنصر السابق، إلا أننا رأينا أنه من الأفضل أن نفرد لها عنصر مستقلا. الرأي المتداول بين المسلمين هو أن الملائكة مجبولين على الطاعة، فلا يمكنهم المعصية! وعامة المسلمين يقولون بهذا القول بدون أن ينتبهوا إلى النتيجة الحتمية له، وهي أنهم يصيرون بهذا مسيّرين وليسوا مخيرين!

[56] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثاني، ص. 148.

فإذا كانت الملائكة لا تستطيع إلا فعل الطاعة فهذا يعني أنها تُعتبر –بشكل ما– جهاز حاسوب متطور! ومن ثم فإنه لا فضل لها، ولا مبرر للإيمان بوجودها!!

فلماذا يمتدحها الله تبارك وتعالى، ويثني عليها؟! والقول بأن الملائكة لا تستطيع إلا الطاعة ولا تقدر على المعصية ليس مما أجمع عليه المسلمون، فهو مختلف عليه منذ صدر الإسلام، والمسألة معروضة ومتداولة في كتب العقائد القديمة!

والعجيب أن الأدلة التي يستدلون بها على جبلة الملائكة على الطاعة، هي في الواقع أدلة على تخييرهم.

لذا فسنعرض الأدلة للقارئ من منظور آخر، ليبصر كيف أن المنظور الذي كان ينظر به إلى المسألة منظور مقلوب:

"الدليل الأول: نبدأ بالدليل الذي يستدلون به، وهو قوله تعالى: ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [سورة التحريم ,٦] والتكليف عبارة عن أمر بالفعل وأمر بالكف عن الفعل (افعل، ولا تفعل). والله تعالى لا يخاطب بالتكليف إلا من يعقل معنى التكليف، فالجمادات والحيوانات التي لا تعقل غير مكلفة، وبالتالي لا عقاب عليها ولا حساب، وفي هذه الآية بيّن الله تعالى أن الملائكة مكلفون، لتوجيه خطاب التكليف إليهم بقوله تعالى: "ما أمرهم" وقوله: "ما يؤمرون". (...) ولو كانوا مسيّرين لما كان لهم فضل، ويكون مدلول الآية مطابق لمن يقول: "إن هذه الآلة رائعة جدا، تنفذ كل ما آمرها به، ولا تعصيني أبدا"! فليس هناك أي فضل للآلة، فالمرء هو الذي وضع لها البرنامج الذي تتحرك به، فلا يكون المدح لها، بل لمصممها وصانعها. (والجملة المذكورة في الآية ليست عامة بحال، فهي في صنف مخصوص من الملائكة، "ملائكة النار" وفي حالة مخصوصة "ما أمرهم"، بفعل مخصوص "العصيان" والذي لا يعني كل مخالفة وترك! ويدلل على ذلك قوله تعالى: "ويفعلون ما يؤمرون" ولو كانت المعصية بالمعنى المألوف لما كان لهذه الجملة فائدة ولأصبحت تكرارا)

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعًا ١٧٢﴾ [سورة النساء, ١٧٢]، في هذه الآية من الدلالة على أفضلية الملائكة الشيء الكبير، (...)،

(والآية دليل صريح على أن هناك من الملائكة من يستنكف ويستكبر[57]، وإذا حدث فسيحشرهم –أي عيسى والملائكة المقربين– إليه جميعا! لأنه لا حديث في الآيات إلا عنهم، فتكون دليلا على إمكانية صدور المعصية من الملائكة ... المقربين! فما بالنا بغيرهم؟!!)

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ٦١﴾ [سورة الإسراء, ٦١] وكل الآيات التي تتحدث عن أمر الملائكة بالسجود لآدم . في هذه الآيات دلالة على التكليف من عدة أوجه: (...) الوجه الثاني: أن الأمر بالسجود لآدم كان اختبارًا للملائكة وامتحانًا لهم، بالإضافة إلى إبليس، حيث كان معهم في الاختبار، فنجح الملائكة بالاختبار ورسب إبليس، والابتلاء والاختبار لا يكون إلا لمكلف، لأن الله لا يبتلي ويختبر غير المكلفين، وهذا شيء متفقٌ عليه، وإلا ما الحكمة من الابتلاء والاختبار إذا كان المبتَلى غير مكلَف؟![58]

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ... ١٢﴾ [سورة الأنفال, ١٢] والاستدلال بالآية على التكليف أن الله يوحي إلى الملائكة "أنه معهم" وهذه بشرى من الله تعالى إلى الملائكة، والبشرى لا تكون لمجبور وإنما لمختار.

[57] لاحظ أن المعصية الصادرة عن إبليس أنه أبى واستكبر!

[58] لسنا مخاطبين بمعرفة نوع الجزاء على الابتلاء والتكليف الذي يُجازى به الملائكة، فإذا كنا لا نعرف بالضبط حقيقة وكُنه الجزاء الذي سنُجازى به مقابل التكليف الذي كلفنه الله، قال تعالى: "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون"، فهل سنعلم ما أُعد للملائكة؟

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [سورة التكوير, ١٩-٢١] فيصف الله تعالى أمينه جبريل عليه السلام بأنه مكين ومطاع، ثم بأنه أمين، وكيف نتصور أن يمدح الله أحداً بالأمانة، وهو مجبول على فعل الأمانة لا يستطيع أن يخون لأن الله جبله على هذا الفعل؟! (...)

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ... ١٨﴾ [سورة آل عمران, ١٨] في ذكر الملائكة بالشهود على وحدانية الله تعالى مع أولي العلم من الرسل والنبيين والصديقين، ومن هو عالم بوحدانية الله تعالى وعدله، دون غيرهم من المخلوقين غير المكلفين، لدلالةٌ على تكليفهم ومنزلتهم، حيث ذكروا بعد الله وقبل البشر.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ... ١٣﴾ [سورة الرّعد, ١٣] وذكر الله تعالى الفارق في سبب تسبيح الملائكة، وهو الخوف منه سبحانه، وهذا السبب (أي الخوف) غير مذكور في الرعد ومن في حكمه، مِن مَن لا إرادة –ظاهرة– له، أما الملائكة فذكر الله تعالى أنهم يخافونه، وهذا ينافي قول من يقول أن الملائكة مجرد آلة أو خلق للعبادة فقط، فإذا كان الله سبحانه وتعالى أراد الملائكة مخلوقات مجبولة على العبادة لما فرّق بين الرعد، ومَن في حكمه، وبين الملائكة في مسألة الخوف من الله تعالى.

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [سورة الأنبياء, ٢٦-٢٩] فالله يتوعد الملائكة بجهنم في حال قول أحدهم بما يستوجب العقاب، أي أن عليهم

ثواب وعقاب والله لا يستثني أحداً. وفي هذه الآية دلالة واضحة كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.[59]" اهـ

الدليل العاشر: أن الله تعالى ذكر الملائكة في موقف الشفاعة في آيات عديدة، مثل: ﴿... يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنبياء, ٢٨]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النجم, ٢٦] وهذا أكبر دليل يبطل جميع أقوال الفلاسفة عن الملائكة، ويؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن للملائكة إرادة مستقلة، سائرة في طاعة الله عز وعلى وتبارك، إلا أن هذا لا يبطل أن يحدث ما يجعلهم يخرجون عن الدرب فيخالفون أمر الله.

وأعتقد أن فيما ذكرنا الكفاية والغناء على أن الملائكة خلقٌ مكلفٌ مختار، وليس مجبول على الطاعة، وإلا لعُدموا الفضل كله!

الشيطان

بعدَ أن عرضنا للملائكة، وأظهرنا أن كثيراً مما قيل حولهم لا دليل عليه وإنما هو استنتاجات لعلماء المسلمين، جعلت الملائكة في منزلة هي أقرب إلى الآلهة!

ننتقل إلى الجنس المناقض له وهو الشيطان والشياطين، لننظر كيف وردت واستُعملت في كتاب الله العزيز. وردت كلمة "شيطان" في القرآن اثنتين وستين مرة، ووردت بصيغة الجمع "شياطين" سبع عشرة مرة. فإذا نظرنا في الأصل الذي اشتق منه الكلمة، وجدنا أنه يُرجع إلى أحد الأصلين: شطن، وشيط.

[59] عمرو الشاعر، عقائد الإسلاميين بين وحدة المنهج وتباين الأحكام، ص. 336–338. منقول بتصرف كبير!

فإذا نظرنا في معجم "مقاييس اللغة" ألفينا ابن فارس يقول: "(شطن) الشين والطاء والنون أصلٌ مطّرد صحيح يدلُّ على البُعد. يقال شَطَنَت الدار تَشْطُن شطوناً إذا غَرَبَت. ونوىً شَطونٌ، أي بعيدة. قال النابغة:

نَأَتْ بسعادَ عنك نوىً شَطونُ   فبانتْ والفؤادُ بها رهينُ

ويقال بئرٌ شَطون، أي بعيدة القَعر، والشَّطَن: الحَبْل. وهو القياس، لأنَّه بعيدُ ما بينَ الطَّرَفين. (...) وَأمَّا الشَّيطان فقال قوم: هو من هذا الباب ، والنون فيه أصليّة، فسُمِّي بذلك لبُعده عن الحقّ وتمرُّده. وذلك أنّ كلَّ عاتٍ متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان. قال جرير:

أيَّامَ يَدْعُونَني الشّيطانَ مِنْ غَزَلي   وهنّ يَهوَيْنَني إِذْ كُنتُ شيطانا

وعلى ذلك فُسِّرَ قولُهُ تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾] سورة الصّافّات ,٦٥[. وقيل إنّه أرادَ الحيّات: وذلك أنَّ الحيَّة تسمَّى شيطاناً. [60]" اهـ

فإذا انتقلنا إلى "شيط" ألفيناه يقول: "(شيط) الشين والياء والطاء أصلٌ يدلُّ على ذَهاب الشيء، إمّا احتراقاً وإما غَيْرَ ذلك. فالشَّيْط مِنْ شاط الشَّيءُ، إذا احترق. يقال شيَّطت اللَّحم. ويقولون: شَيَّطه، إذا دَخَّنه ولم يُنْضِجْه. والأوَّلُ أصحُّ وأقيَس. ومن المشتقّ من هذا: استشاط الرَّجلُ، إذا احتدَّ غضَباً. ويقولون: ناقةٌ مِشياط، وهي التي يطير فيها السِّمَن. ومن الباب الشَّيطان ... [61]" اهـ

ونحن نرجح أن تكون الكلمة مشتقةً من شيط، لما فيه من ارتباط بالنار، كما أنه لم يحدث في أصل الكلمة أي تغيير أو تبديل، وإنما أُضيف إليها الألف والنون فصارت على وزن فعلان، مثل شبعان وعطشان وجوعان و... إنسان!

[60] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، ص. 83–184.

[61] المرجع السابق، ص. 234–235.

ولقد ظهرت كلمة "شيطان" بشكلٍ مقارب في اللغات العالمية، فنجد أنها في العبرية "سطن" –وذلك لأن السين في العبرية تقابل الشين في العربية– ومن العبرية انتقلت الكلمة إلى اللغات الأوروبية، فنجد أنها في الإنجليزية والألمانية **Satan**.

والفارق بين العربية واللغات الأوروبية أن "شيطان" في العربية نعت يصدق على أشياء كثيرة، بينما في الأوروبية هو اسم، فهو مساوٍ ل: إبليس في العربية، بينما المقابل ل: شيطان هو **Devil** في الإنجليزية، و: **Teufel** في الألمانية.

والناظر في القرآن يجد أنه استعمل لفظة "الشيطان" إشارة إلى ذلك الكائن الذي يسعى إلى إضلال الناس، فإذا ذكرت معرفة بالألف واللام أسقط المستمع الكلمة تلقائيا على "إبليس"، فإذا استعمل الجمع "شياطين"، وجدنا أنها تُستعمل كدال على فريق من البشر أو جمع من تلك الكائنات غير البشرية على حدٍ سواء. فمن مواطن استعمال "شياطين" مع البشر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [سورة البقرة, ١٤]

وعلى الرغم من وجود الكلمة عند العرب قبل الإسلام، إلا أنها كانت تُستعمل بشكل يختلف كثيرا عن الذي استعمله به الإسلام، فلم تظهر عندهم بمعنى ذلك الكائن الذي يسعى لإضلال الناس، وإنما إشارة إلى القوي "الماكر" الذي يأتي بالعجائب ويصل إلى مبتغاه بالقوة أو بالحيلة، ولذلك كانت الحيات تُسمى بالشياطين.

وفي هذا يقول الدكتور جواد علي: "ولم ترد لفظة "الشيطان" في شعر الشعراء الجاهليين، خلا شعر "أمية بن أبي الصلت" و"عدي بن زيد العبادي". والأول شاعر وقف –على ما يظهر من شعره– على شيء من اليهودية والنصرانية. وأما الثاني، فهو نصراني، لذلك يجوز لنا أن نرجع علمهما بالشيطان إلى ما جاء في اليهودية والنصرانية عنه، ولذلك نستطيع أن نقول أن هذه اللفظة جاءت العربَ عن طريق أهل الكتاب.

(...) وأما ما ورد في القصص عن الشياطين عند الجاهليين، فهو يختلف عما جاء عن الشيطان في الكتب اليهودية والنصرانية، مما يدل على أن منبعه منبع آخر، وان "الشيطان" عند الجاهليين، هو غير الشيطان المعروف عند اليهود والنصارى، الذي دخل إلى العرب قبيل الإسلام وفي الإسلام. ومن القصص المذكورة، استمد بعض الجاهليين قصصهم عن ذكاء الشيطان وعن حيله. ومن هذا القصص ولا شك استعمل الناس مصطلح "تشيطن" و"الشيطنة" بمعنى الذكاء والحيلة، لما رسخ في ذهنهم من ذلك القصص عن ذكاء الشيطان وسعة حيله وتلاعبه بأذكى البشر. [62]" اهـ

واستمر هذا الاستعمال فترة بعد الإسلام، ثم بدأت عملية الإزاحة الدلالية، فإذا استُعملت كلمة "شيطان" أصبح المراد منها ذلك الكائن المضِل!

ووجدنا في تراثنا الإسلامي القديم من استعمل "شيطان" لنفس المدلول الذي استعمله الجاهليون، ومن ذلك ما أورده ابن هشام في سيرته. فنجد أنه في أثناء حديثه عن المعارضين للدعوة الإسلامية، والذين تميزوا بالقوة أو الدهاء، نجد أنه ينعتهم بالشيطان أو بالشياطين.

فجاء في كتابه السيرة النبوية: "ونَوْفل بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان القرينين"

"وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وينصب له العداوةَ، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديثَ ملوك الفرس"

---

[62] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، ص.731.

"جلس عُمَيْر بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش – في الحِجْر– بيسير، وكان عُمير بن وهب شَيْطانًا من شياطين قريش، وممن كان يُؤذِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويَلْقَون منه عناءً وهو بمكة[63]" اهـ

ونظراً للأصل الذي اشتق منه "شيطان" والذي يدل على الاحتراق والغربة والبعد، وجدنا أن العرب تطلق لفظة "شيطان" على القبيح المنظر. ومع انتشار الإسلام، والذي رسخ أن الشيطان أصل الشر، ازدادت هذه الصورة عمقا عند العرب، ومن ثم أصبح الشيطان رمز لكل ما هو قبيح وسيء وشرير.

وفي هذا يقول جواد علي: "وقد وُصف الشيطان بالقبح، فإذا أريد تعنيف شخص وتقبيحه، قيل له: يا وجه الشيطان وما هو إلا شيطان. يريدون بذلك القبح، وذلك على سبيل تمثيل قبحه بقبح الشيطان. وقيل: الشيطان حية ذو عرف قبيح الخلقة. وقيل إنه كان حية –زُعم أنها تأتي حول البيت، فلا يطوف أحد. ولما شرعوا ببناء الكعبة في أيام شباب الرسول، جاء طير فالتقط الحية. ولقبح وجه الشيطان، قالوا للذي به لقوة أو شتر، إذا سبّ: يا لطيم الشيطان. وقالوا للمتكبر الضخم: ظل الشيطان. وكانوا إذا أرادوا ضرب مثل بقبح إنسان قالوا: لهو أقبح من الشيطان. وقالوا لشجرة تكون ببلاد اليمن لها مظهر كريه "رؤوس الشياطين". وبهذا المعنى فسرت "رؤوس الشياطين" في الآية: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾]سورة الصّافّات,٦٤-٦٥[يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قبحها، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال. والثاني: أن يكون مثّل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً. (...) والثالث أن يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين، ذُكر انه قبيح الرأس. ويظهر أن العرب في الجاهلية، كانوا يطلقون "رؤوس الشياطين" على شجر كريه

---

[63] عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الجزء الثاني، ص.117/ 138، الجزء الثالث، ص.212.

المنظر جداً، قال علماء اللغة: "والصوم: شجر على شكل شخص الإنسان كريه المنظر جداً، يقال لثمره رؤوس الشياطين، يعني بالشياطين الحيات، وليس له ورق"اهـ[64]

أما مسألة أصل الشيطان والشياطين فسنعرض لها في تناولنا "لإبليس".

إبليس

بعد أن عرضنا للشيطان والشياطين في كتاب الله العزيز، ننتقل إلى قائد وكبير الشياطين، رأس الشر، والذي عُرف في الإسلام باسم: إبليس. ذلك الكائن، الذي يُعد من أشهر الشخصيات في التاريخ الإنساني، ذلك الذي لم يقبل السجود لآدم، وأعلنها حربا شعواءَ عليه وعلى الجنس البشري.

نعرض لهذه الشخصية المحورية، لنبصر بأنفسنا هل أن الرأي السائد المنتشر بين عامة المسلمين هو الصواب، أم أن هناك آراء أخرى أُهملت وضُعفت هي الأدق والأصح! على النقيض من الشياطين، فإن إبليس اسم علم لكائن غير أرضي، بينما الشيطان نعت لأشخاص وأشياء كثيرة، أرضية وغير أرضية!

فإذا عرضنا لاسم ذلك الكائن، وجدنا أن هناك خلاف حول اسمه، فهناك من يرى أن "إبليس" هو اسم غير مُعلل، وهناك من يرى أن هذا الاسم يحمل دلالات الشخصية الصادق عليها، ومن ثم فعلينا البحث في اللسان لنعرف ماذا يعني.

ولقد وردت كلمة "إبليس" في القرآن إحدى عشرة مرة، كلها في معرض الحديث عن الأمر بالسجود لآدم، إلا موضعين اثنين، الأول في الشعراء عن الجحيم: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء, ٩٥] والثاني في سبأ يتحدث عن قوم سبأ:

---

[64] المرجع السابق، ص.732–733.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [سورة سبإ, ٢٠] وهي على وزن "إفعيل" مثل: إنجيل وإحليل وإبريق، وهو من الأوزان القليلة الاستعمال في اللسان العربي، حتى إن هناك من يقول أنه اسم أعجمي غير عربي، ولذلك لم ينصرف! إلا أننا نرى أنه عربي مشتق من "بلس".

فإذا نظرنا في "لسان العرب" ألفينا ابن منظور يقول: "أَبْلَسَ الرجلُ قُطِعَ به –عن ثعلب– وأَبْلَس سكت وأَبْلَسَ من رحمة اللَّه أَي يَئِسَ ونَدِمَ ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل، وفي التنزيل العزيز: يومئذ يُبْلِسُ المجرمون. وإِبليس لعنة اللَّه مشتق منه لأَنه أُبْلِسَ من رحمة اللَّه أَي أُويِسَ (...) والمُبْلِسُ اليائسُ، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أَبْلَسَ. وقال العجاج: قال نَعَمْ أَعْرِفُه وأَبْلَسا. أَي لم يُحِرْ إِليَّ جواباً، ونحو ذلك قيل في المُبلِس، وقيل إِن إِبليس سمي بهذا الاسم لأَنه لما أُويِسَ من رحمة اللَّه أَبْلَسَ يأَساً[65]" اهـ

وهناك من يرى أن "إبليس" كلمة مأخوذة من اليونانية!! وأن أصلها **Diabolos** والتي تعني المقاوم أو المشتكي زوراً، ونفذت إلى العرب عن طريقة أهل الكتاب!! إلا أننا نرى أن الاسم عربي أصيل مشتق من أصل عربي، وهو "بلس"، وهو اسم أصيل لم يُطلق على غيره، بخلاف الاسم اليوناني والذي كان موجوداً مسبقا، ثم أُطلق على هذا الكائن. ومن ثم فيكون إبليس هو اليائس الذي لا أمل له! –ولنتذكر هذا المعنى جيدا فسنعرج عليه لاحقا!–

فإذا تركنا الأصل اللساني لهذه الكلمة ومدلولها، ننتقل إلى أقول علماء المسلمين حول هذه الشخصية المتمردة.

[65] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وغيره، الجزء الأول، ص.343.

إذا نظرنا في تراثنا الإسلامي بحثا عن آراء المسلمين حول إبليس، نجد أن هناك رأيين لا ثالث لهما[66] بشأنه:

الأول: أنه لم يكن ملَكا، وإنما هو من الجن، وانقسم أصحاب هذا الرأي إلى معسكرين؛ أحدهما يرى أنه كان واحداً من الجن، والآخر يرى أنه أصل الجن، كما أن آدم هو أصل الإنس.

الثاني: يرى أنه كان من الملائكة، وبرفضه السجود لآدم طُرد من الملائكة وأصبح شيطانا.

والرأي الأول هو الأكثر انتشارا بين المسلمين، علماءً وعواما، على الرغم من أن الإمام القرطبي يذكر في تفسيره أن الرأي الثاني هو رأي الجمهور، فيقول: "لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور: ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن، ورجحه الطبري، وهو ظاهر الآية. قال ابن عباس: وكان اسمه "عزازيل" وكان من أشراف الملائكة وكان من الأجنحة الأربعة ثم أبلس بعد. روى سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان إبليس من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانا. وحكى الماوردي عن قتادة : أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة. وقال سعيد بن جبير: إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم ، وخلق سائر الملائكة من نور.[67]" اهـ

وكما رأينا فالرأي راجع إلى بعض الصحابة، ويظهر تأثر ابن عباس فيما قاله بالإسرائيليات، فالقول بأن اسمه عزازيل مأخوذ منها لا محالة. ولكي يتفادى أصحاب هذا الرأي إشكالية خلق إبليس من النار والملائكة من النور، قالوا أن هذا سبط مخصوص خُلق من النار.

---

[66] هناك رأي ثالث للجماعة الأحمدية القاديانية –وهو رأي حديث– يرى أن إبليس كان من البشر، وليس إبليس هو الشيطان الذي أخرج آدم من الجنة، وإن كان كلاهما من البشر! وسنعرض في عجالة لهذا الرأي بعد صفحات.

[67] أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، المجلد الأول، ص.294.

والخلاف حول المسألة قديم، لذا نعرض ما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره، حول هذه المسألة، ونطيل النقل عنه، لأنه عرض أدلة كلا الطرفين عرضا وافيا، فقال: "اختلفوا في أن إبليس هل كان من الملائكة؟ قال بعضُ المتكلمين –ولا سيما المعتزلة– إنه لم يكن منهم. وقال كثير من الفقهاء: إنه كان منهم. واحتج الأولون بوجوه:

أحدها: أنه كان من الجن، فوجب أن لا يكون من الملائكة، وإنما قلنا إنه كان من الجن لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿... إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ... ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الكهف, ٥٠] واعلم أن من الناس من ظن أنه لما ثبت أنه كان من الجن وجب أن لا يكون من الملائكة، لأن الجن جنس مخالف للملك، وهذا ضعيف؛ لأن الجن مأخوذ من الاجتنان؛ وهو الستر، ولهذا سمي الجنين جنيناً لاجتنانه، ومنه الجِنة لكونها ساترة، والجَنة لكونها مستترة بالأغصان، ومنه الجنون لاستتار العقل فيه. ولما ثبت هذا والملائكة مستورون عن العيون، وجب إطلاق لفظ الجن عليهم بحسب اللغة، فثبت أن هذا القدر لا يفيد المقصود. فنقول: لما ثبت أن إبليس كان من الجن وجب أن لا يكون من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبإ, ٤٠-٤١] وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملك. (...) وأما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ ... ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الصّافّات, ١٥٨]، قلنا يحتمل أن بعض الكفار أثبت ذلك النسب في الجن، كما أثبته في الملائكة[68]، وأيضاً فقد بيّنا أن الملك يسمى جناً بحسب أصل اللغة، لكن لفظ الجن بحسب العرف اختص بغيرهم، كما أن لفظ الدابة وإن كان بحسب اللغة الأصلية يتناول كل ما يدب، لكنه بحسب العرف اختص ببعض

[68]هذا التبرير من الإمام الرازي قولٌ لا دليل عليه، فالمعروف –والمذكور في كتاب الله– أن بعض غير المسلمين نسبوا الملائكة إلى الله، فقالوا أنهم بنات الله، بينما لم –ولن– يوجد أي إنسان نسب الجن إلى الله، وإن كان هناك من نسبهم إلى غيره من الآلهة الناقصة!!

ما يدب فتحمل هذه الآية على اللغة الأصلية، والآية التي ذكرناها على العرف الحادث.

وثانيها: أن إبليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم، إنما قلنا إن إبليس له ذرية لقوله تعالى في صفته: ﴿... أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي ... ۝٥٠﴾ [سورة الكهف, ٥٠]، وهذا صريح في إثبات الذرية له، وإنما قلنا إن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى، والملائكة لا أنثى فيهم، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [سورة الزخرف, ١٩]، أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية. (...) واحتج القائلون بكونه من الملائكة بأمرين:

الأول: أن الله تعالى استثناه من الملائكة، والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله، وذلك يوجب كونه من الملائكة. لا يقال: الاستثناء المنقطع مشهور في كلام العرب، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ... ۝٢٧﴾ [سورة الزخرف, ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ۝٢٦﴾ [سورة الواقيـة, ٢٥-٢٦]" وقال تعالى: ﴿... لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ ... ۝٢٩﴾ [سورة النساء, ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ ... ۝٩٢﴾ [سورة النساء, ٩٢]، وأيضاً[69] فلأنه كان جنياً واحداً بين الألوف من الملائكة، فغلبوا عليه في قوله: "فسجدوا"، ثم استُثنى هو منهم استثناء واحد منهم. لأنا نقول: كل واحد من هذين الوجهين على خلاف الأصل، فذلك إنما يُصار إليه عند الضرورة، والدلائل التي ذكرتموها في نفي كونه من الملائكة، ليس فيها إلا الاعتماد على العمومات، فلو

[69] هذه الكلمة مواصلة للرد على ردود غيرهم عليهم، فالتقدير: "وأيضا لا يقال"، وهي معطوفة على: "لا يقال الاستثناء المنقطع ..." المذكورة بأعلى .

جعلناه من الملائكة لزم تخصيص ما عولتم عليه من العمومات، ولو قلنا إنه ليس من الملائكة، لزمنا حمل الاستثناء على الاستثناء المنقطع، ومعلومٌ أن تخصيص العمومات أكثر في كتاب الله تعالى من حمل الاستثناء على الاستثناء المنقطع فكان قولنا أولى. وأيضاً فالاستثناء مشتق من الثني والصرف، ومعنى الصرف إنما يتحقق حيث لولا الصرف لدخل، والشيء لا يدخل في غير جنسه فيمتنع تحقق معنى الاستثناء فيه. وأما قوله: إنه جنيٌّ واحد بين الملائكة، فنقول: إنما يجوز إجراء حكم الكثير على القليل، إذا كان ذلك القليل ساقط العبرة غير ملتفت إليه، وأما إذا كان معظم الحديث لا يكون إلا عن ذلك الواحد، لم يجز إجراء حكم غيره عليه.

الحجة الثانية: قالوا: لو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ ... ﴿٣٤﴾﴾ [سورة البقرة, ٣٤] متناولاً له، ولو لم يكن متناولاً له، لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء واستكباراً ومعصية، ولما استحق الذم والعقاب، وحيث حصلت هذه الأمور علمنا أن ذلك الخطاب يتناوله، ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة. لا يقال: إنه وإن لم يكن من الملائكة، إلا أنه نشأ معهم وطالت مخالطته بهم والتصق بهم، فلا جرم يتناوله ذلك الخطاب، وأيضاً فلم لا يجوز أن يقال: إنه وإن لم يدخل في هذا الأمر، ولكن الله تعالى أمره بالسجود بلفظ آخر ما، حكاه في القرآن، بدليل قوله: ﴿... مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأعراف, ١٢]، لأنا نقول:

أما الأول فجوابه، أن الخطابة لا توجب ما ذكرتموه، ولهذا قلنا في أصول الفقه: إن خطاب الذكور لا يتناول الإناث وبالعكس، مع شدة المخالطة بين الصنفين، وأيضاً فشدة المخالطة بين الملائكة وبين إبليس لمّا لم تمنع اقتصار اللعن على إبليس، فكيف تمنع اقتصار ذلك التكليف على الملائكة؟! وأما الثاني فجوابه، أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية، فلمّا ذكر قوله "أبى واستكبر" عقيب قوله: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ"، أشعر هذا التعقيب بأن هذا الإباء إنما حصل بسبب

مخالفة هذا الأمر لا بسبب مخالفة أمر آخر، فهذا ما عندي في الجانبين والله أعلم بحقائق الأمور.[70]" اهـ

وكما رأينا، فالإمام الفخر الرازي فبعد أن عرض الإمام الفخر الرازي الرأيين وأدلتهما، ضعّف قول من قال أن إبليس كان من الملائكة. إلا أن الظاهر أنه لم يجزم ببطلان القول لأنه قال في آخر تعليقه: "فهذا ما عندي في الجانبين والله أعلم بحقائق الأمور"، وفي هذا إشارة إلى قوة أدلة الرأي القائل بكونه من الملائكة!

والنقطة الرئيسة التي نخرج منها من تعليق الإمام الرازي أنه ضعّف قول من رفض أن يقول من الملائكة استناداً إلى أنه كان من الجن، –وإن كان يوافقهم الرأي– وقال في آخر تعليقه على ذلك: "وجب إطلاق لفظ الجن عليهم بحسب اللغة، فثبت أن هذا القدر لا يفيد المقصود." واستناداً إلى نفس المنطق ضعّف الإمام الطبري قول الرافضين لكونه من الملائكة، ورفض قولهم كلية، وقال أنه كان من الملائكة ثم أصبح شيطانا، فقال: "قال أبو جعفر: وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها. وذلك أنه غيرُ مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خَلق أصنافَ ملائكته من أصنافٍ من خلقه شَتَّى. فخلق بعضًا من نُور، وبعضًا من نار، وبعضًا مما شاء من غير ذلك. وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عَما خَلق منه ملائكته، وإخبارِه عما خلق منه إبليس، ما يوجب أن يكون إبليس خارجًا عن معناهم. إذْ كان جائزًا أن يكون خلق صِنفًا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفرد إبليس بأنْ خَلقه من نار السموم دون سائر ملائكته. وكذلك غيرُ مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأنْ كان له نسل وذرية، لِمَا ركَّب فيه من الشهوة واللذة التي نُزعت من سائر الملائكة، لِمَا أراد الله به من المعصية. وأما خبرُ الله عن أنه "من الجن"، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتنّ من الأشياء عن الأبصار كلها جنًّا –كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى– فيكون إبليسُ والملائكةُ منهم، لاجتنانهم عن أبصار بني آدم.[71]" اهـ

---

[70] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثاني، ص.195–197.

[71] ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الأول، ص.508.

وكما رأينا فان الإمام الطبري لم ير أي حجة لمن يرفض أن يكون إبليس من الملائكة، إلا أن أنه –رحمه الله– لم يجد بُداً لجعله من الملائكة إلا أن يجعله حالة استثنائية، فهو أولا مخلوق من مادة غير مادة الملائكة، كما أن الله قد غرس فيه الشهوة، التي نُزعت من الملائكة، لما أراد به من المعصية! وهذا يعني أن الله قد خلق صنفاً مخصصا من الملائكة –منهم إبليس– قابلاً للمعصية، بخلاف باقي الملائكة!!

الجن

بعد أن عرضنا للملائكة والشياطين، ننتقل إلى الضلع الثالث لهذا المثلث وهو الجن، لننظر كيف استعمل القرآن هذه الكلمة، فهل استعملها كجنس مخالف للأجناس السابقة "الملائكة، الشياطين، البشر" أم كنعت يصدق على أي منهم؟!

أول ما نبدأ به حديثنا هو التذكير بأن القرآن استعمل بالإضافة إلى كلمة "الجن" كلمتي "الجِنة" و"الجان"، إلا أننا لم نعرهما القدر الكافي من الرعاية والاهتمام، فلا نكاد نستعملهما[72]، كما أنه لا توجد حدود فاصلة بين تلك الأصناف الثلاثة في ذهن السامع، فما هو مدلول كل واحدة من تلك الكلمات، وما الفرق بينها؟

نبدأ بأول الكلمات وأكثرها استعمالاً وذكراً في القرآن: "الجن". إذا نظرنا في القرآن وجدنا أن "الجن" ذُكرت تسع عشرة مرة، وهناك سورة تحمل هذا الاسم في الجزء التاسع والعشرين من الكتاب العزيز. وفي عصرنا هذا أصبحت الكلمة لا تحمل –في ذهن القارئ أو السامع– إلا مدلولاً واحدا، فإذا ذُكرت "الجن" فُهم أن المراد من

[72] وخاصة "الجِنة" فلا تُستعمل البتة إلا عند الحديث عن آية الصافات: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨﴾ [سورة الصّافّات, ١٥٨]، وما عدا ذلك فالحديث عن الجن، وأحيانا الجان –إذا أراد المتحدث تفخيم حديثه!

ذلك مخلوقات غير بشرية، مخلوقة من النار، لا نراهم ويروننا، مُكلفة مثلُنا فيهم المسلم والكافر، لهم قدرات خارقة. باختصار هم "العفاريت" في عُرفنا العام.

ونقدم للقارئ تعريف الإمام ابن حزم للجن –والذي يعد من أشمل التعريفات المقدمة لهم في كتب التراث–، والذي يقول فيه: "وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لها، وعنصرهم النار كما أن عنصرنا التراب، وبذلك جاء القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [سورة الحجر, ٢٧]، والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما، وإنما حدث اللون في النار المشتعلة لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس، وصح النص بأنهم يوسوسون في صدور الناس وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[73]" اهـ

والإمام ابن حزم يرفض أن يرى أحدٌ من الناس الجن، إلا أن يكون من الأنبياء، ومن ثم فإنه يرفض كل الإدعاءات أن فلاناً رأى الجن، ويحكم عليها بالهوس والخرافة، فيقول في سطور قبل هذا التعريف: "وإذا أخبرنا الله عز وجل أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب، إلا أن يكون من الأنبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم، كما نص رسول الله(ص) أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته، قال فأخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ولولا ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة، أو كما قال عليه السلام. وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى، إنما هي معجزة لرسول الله(ص) ولا سبيل إلى وجود خبر يصح برؤية جن بعد موت رسول الله(ص) وإنما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه" اهـ

والملاحظ أن الإمام ابن حزم لا يفرق بين الجن والشياطين، ويضعهم في سلة واحدة، وقبل أن ننظر في القرآن لنحكم على هذا التصور، هل هو مطابق تماما لما ورد فيه،

[73] أبو محمد علي بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الخامس، ص.9.

أم موافق في جزء مخالف في آخر، أم مخالف كليةً، ننظر في معجم "لسان العرب" لنبصر أهم المواطن التي استُعملت فيها "جن"، مطيلين في النقل، مبتعدين عن المكرر والأبيات الشعرية غير المألوفة.

قال ابن منظور في اللسان: "(جنن) جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً سَتَره، وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنّاً وجُنوناً وجَنَّ عليه يَجُنُّ بالضم جُنوناً وأَجَنَّه سَتَره (...) وبه سُمي الجِنُّ لاسْتِتارِهم واخْتِفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجَنينُ لاسْتِتارِه في بطنِ أُمِّه، وجِنُّ الليل وجُنونُه وجَنانُه شدَّةُ ظُلْمتِه وادْلِهْمامُه وقيل اختلاطُ ظلامِه لأَن ذلك كلَّه ساترٌ (...) وفي الحديث: الصومُ جُنَّةٌ، أَي يَقي صاحبَه ما يؤذِيه من الشهوات، والجُنَّةُ الوِقايةُ وفي الحديث الإمامُ جُنَّةٌ لأَنه يَقِي المأْمومَ الزَّلَلَ والسَّهْوَ. (...) وفي التنزيل العزيز: "ولقد عَلِمَت الجِنَّةُ إنهم لَمُحْضَرُون" قالوا: الجِنَّةُ هاهنا الملائكةُ عند قوم من العرب وقال الفراء في قوله تعالى: "وجعلوا بينَه وبين الجِنَّةِ نَسَباً" قال: يقال الجِنَّةُ هاهنا الملائكة، يقول جعلوا بين الله وبين خَلْقِه نَسَباً فقالوا الملائكةُ بناتُ الله ولقد عَلِمَت الجِنَّةُ أَن الذين قالوا هذا القولَ مُحْضَرون في النار (...) قوله ويَحَكِ يا جِنِّيَّ هل بَدا لكِ أَن تَرْجِعِي عَقْلي فقد أَنَى لكِ؟ إنما أَراد امْرَأَة كالجِنِّيَّة إمَّا في جمالها وإما في تلَوُّنها وابتِدالها ولا تكون الجِنِّيَّة هنا منسوبةً إلى الجِنِّ الذي هو خلاف الإنس حقيقة لأَن هذا الشاعر المتغزِّلَ بها إنْسيٌّ، والإنسيُّ لا يَتعشَّقُ جنِّيَّة.

وقول بدر بن عامر:

ولقد نطَقْتُ قَوافِياً إنْسِيّةً   ولقد نَطقْتُ قَوافِيَ التَّجْنينِ

أَراد بالإنْسِيَّة التي تقولها الإنْسُ وأَراد بالتَّجْنينِ ما تقولُه الجِنُّ، وقال السكري: أَراد الغريبَ الوَحْشِيّ (...) وفي حديث الحسن: لو أَصاب ابنُ آدمَ في كلِّ شيء جُنَّ أَي أُعْجِبَ بنفسِه حتى يصير كالمَجْنون من شدَّةِ إعْجابِه. وقال القتيبي وأَحْسِبُ قولَ الشَّنْفَرى من هذا فلو جُنَّ إنْسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ. وفي الحديث: اللهم إني أَعوذ بك من جُنونِ العَمَلِ أَي من الإعْجابِ به ويؤكِّد هذا حديثُه الآخر: أَنه رأَى قوماً

مجتمعين على إنسان فقال ما هذا؟ فقالوا: مَجْنونٌ. قال: هذا مُصابٌ، إنما المَجْنونُ الذي يَضْرِبُ بِمَنْكِبَيه وينظرُ في عَطْفَيْه ويتَمَطَّى في مِشْيَتِه. وكان أَهلُ الجاهليَّة يسمّون الملائكةُ عليهم السلام جِنّاً لاسْتِتارِهم عن العيون، قال الأَعشى يذكر سليمان عليه السلام: وسَخَّرَ من جِنِّ الملائِكِ تِسعةً قِياماً لَدَيْهِ يَعْمَلونَ بلا أَجْرِ (...) وجِنُّ الشَّبابِ أَوَّلُه وقيل جِدَّتُه ونشاطُه ويقال كان ذلك في جِنِّ صِباه أَي في حَدَاثَتِه وكذلك جِنُّ كلِّ شيء أَوَّلُ شِدّاته وجِنُّ المَرَحِ كذلك (...) ويقال خُذ الأَمرَ بجِنِّه واتَّقِ الناقةَ فإِنها بجِنِّ ضِراسِها أَي بحِدْثانِ نتاجِها وجِنُّ النَّبْتِ زَهْرُه ونَوْرُه (...) وقيل: جُنَّ النَّبْتُ جُنوناً غلُظ واكْتَهل، وقال أَبو حنيفة: نخلة مَجْنونة إذا طالت، وأَنشد: يا رَبِّ أَرْسِلْ خارِفَ المَساكِينْ عَجاجةً ساطِعَةَ العَثانِينْ تَنْفُضُ ما في السُّحُقِ المَجانِينْ"[74] اهـ

وكما رأينا فإن كل المعاني التي ذكرها ابن منظور في اللسان تدور في فلكين اثنين هما الستر والاختفاء، وذلك إذا كانت "جَن" بفتح الفاء، فإن كانت بكسرها "جِن" فإنها تدل على الشدة والقوة. واستدلاله ببيت الأعشى ليس في موضعه وسنعرض له لاحقا، لنبين كيف أخطأ في الاستدلال به! كما أن المعاني لا تنحصر فقط في ذلك الكائن المسمى "جنا" وإنما هي أوسع من ذلك بكثير، والنقطة الرئيسة هي أن هناك جنٌ من كل شيء! فهناك جن النبات وجن الشباب وجن الليل... الخ

وهذا الجنٌ ليس خارجا عن جنس الشيء وإنما هو القوي الزائد فيه. وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل هناك جن في البشر؟ بعبارة أخرى: هل من الممكن إطلاق "جن" على بعض البشر الذين يتميزون بالقوة والخفة والسيطرة؟!

تبعاً للمنطق اللساني لا يوجد ما يمنع أن يُطلق "جن" على طائفة معينة من البشر، يتميزون بالقوة والمكانة الكبيرة. وقد يرى بعض القارئين أنه ليست العبرة بالمنطق وإنما بالاستعمال، فهل استعمل العرب "جن" كدال على المتفردين من البشر في القوة والمكانة، وهل استعملها القرآن كذلك؟! وتأتي الإجابة بنعم، فلقد استعملها العربي مع

[74] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وغيره، الجزء الأول، ص.705.

البشر –وليتذكر القارئ أنها استعملها مع بعض الحيوانات كذلك– عندما كان يريد الإشارة إلى بروز سمة ما من سماته، ورأينا ذلك فيما ذكره ابن منظور قبل سطور.

ومن ذلك قول ابن مقبل –من شعراء الجاهلية والذين أدركوا الإسلام–: إذا قيلَ: مَنْ دَهْمَاءُ ؟ خَبَّرْتُ أنها : من الجنِّ لم يَقْدَحْ لها الزَّنْدَ مَادحُ وقول زهير بن أبي سلمى – حكيم شعراء الجاهلية– في مدح فرسان قبيلته: بخيلٍ، عليها جِنَّةٌ عبقريَّةٌ :. جديرون يوماً، أن ينالوا، ويستعلوا.

ولم يقتصر هذا الاستعمال على العرب، فلقد ظهر أيضا في اللغات الأوروبية فنجد أنهم يسمون العبقري خارق الذكاء Genius –كما في الإنجليزية–، Genie –كما في الألمانية–. ولقد نُسبت قبائل كاملة من قبائل العرب إلى الجن، لما تميزت به من القوة والخفة، من ذلك بنو عزوان، وكانوا مشهورين بركوب الخيل والقتال، وبنو يربوع بن حنظلة، وهم من تميم، وكانوا من القوة بمكان حتى أنهم كانوا يغزون بلاد الحيرة! وبنو مالك وبنو شيصبان –وكانا متجاورين–.

ولقد ذُكرت بنو مالك في رواية في مسند أحمد، تقول: "سمعت ربيعة بن عباد الديلي، قال إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل –ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة– يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة ويقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به. فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحي بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب.[75]" اهـ

والعربي المعاصر يستغرب أن تُطلق كلمة "جن" على البشر، على الرغم من أنه يستعملها، فيقول: فلان جن، إذا كان يفعل الأشياء العجيبة بمهارة، ومن الكلمات

[75] أحمد بن حنبل، المسند، المجلد الثالث، ص. 492.

المستعملة في السودان الشقيق كلمة "جنجاويد: جن جاويد" والتي اشتهرت بسبب أزمة دارفور– والتي تعني: رجلا يقاتل أو ينهب راكباً جوادا! فنجد أن الكلمة استعملت مع إنسان متمرد يتحرك بسرعة وبخفة! وهذا الاستعمال مطابق للاستعمال العربي القديم.

فإذا تركنا هذه الرحلة اللسانية ونظرنا في واقعنا الإسلامي وجدنا أن "الجن" أصبحت تُستعمل استعمالاً واحدا، وهو ذلك المخلوق الناري الشهير، على الرغم من القرآن لم يتحدث في آية واحدة عن المادة التي خُلق منها! فلم يقل مثلاً: خلق الجن من نار، أو حتى: من عجل أو من ضعف! فكيف تصوره علماء الإسلام وكيف عرفوه؟!

أقوال الفلاسفة في الجن

إذا نظرنا في أقوال الفلاسفة في الجن، فسنجد فيها اختلافاً كبيرا، بين الإثبات والنفي، والمثبتون أنفسهم اختلفوا بشأنها اختلافاً تاما، فمن قائل أنها أجسام ومن قائل أنها جواهر قائمة بنفسها ... الخ

ولا يجمع هذه الأقوال رابط ولا جامع، ولا يمكن البرهنة على صواب أي منها، لأنها كلها تخيلات وتصورات ليس لها ما يمكن فحصه في الواقع.

ولقد عرض الإمام الفخر الرازي هذه الأقوال باستفاضة عند تناوله للآية الأولى في سورة الجن، وحتى لا نطيل سنكتفي بذكر أهم ما قال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ استمع نَفَرٌ مّنَ الجن﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجن ونفيه، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، (...) واختلف المثبتون على قولين: فمنهم من زعم أنها ليست أجساماً ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها، قالوا: ولا يلزم من هذا أن

يقال: إنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجساماً ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية، قالوا: ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحل، فبعضها خيّرة، وبعضها شريرة، وبعضها كريمة محبة للخيرات، وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله. قالوا: وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالخبريات قادرة على الأفعال، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الخبرية وتفعل الأفعال المخصوصة، ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر، (...) ومن الناس من ذكر في الجن طريقة أخرى فقال: هذه الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها وازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية، فإذا اتفق أن حدث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن، فسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما لهذا البدن، وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن، فإن الجنسية علة الضم، فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكاً وتلك الإعانة إلهاماً، وإن اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة[76].

والقول الثاني في الجن: أنهم أجسام. ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين: منهم من زعم أن الأجسام مختلفة في ماهياتها، إنما المشترك بينها صفة واحدة، وهي كونها بأسرها حاصلة في الحيز والمكان والجهة وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق، وهذه كلها إشارة إلى الصفات، والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك

(76) هذا القول لا يُقبل بحال ولا يمكن أن يكون متفقا مع ما جاء في الوحي القرآني!

في تمام الماهية لما ثبت أن الأشياء المختلفة في تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد ...[77]" اهـ

وكما رأينا فهم في حيرة ما بعدها حيرة، وأتوا بأقوال لا تتفق بحال مع الوحي الرباني، ولا مستند لهم فيما يقولون إلا خيالاتهم، أما فلاسفة المسلمين فحاولوا التوفيق بين النص القرآني والعقل! فقالوا أن الجن حيوان هوائي. وقولهم أن الجن حيوان يقصدون به أنه ليس نباتا ولا جماداً فهو كائن حي. وقولهم أنه هوائي لا يقصدون به أن أصله ليس ناريا، وإنما يقصدون أنه في هيئته الحالية مثل الهواء، كما أننا مخلوقون من الطين، ونحن الآن من لحم ودم وعظم ... الخ.

إلا أن تصور الفلاسفة يختلف بدرجة ما عن تصور العوام للجن! فلقد قدموا له تصوراً يقنع عقولهم، ومن ذلك تعريف الفارابي، والذي يقول فيه: "وفي رسالة للمعلم الثاني أبي نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها ما مثاله: (سُئل فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال): الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك على ما توجبه القسمة التي يتبين منها حد الإنسان المعروف عند الناس، أعني الحي الناطق المائت، وذلك أن الحي منه ناطق مائت وهو البهائم، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن. فقال السائل: الذي في القرآن مناقض لهذا وهو قوله: ﴿... ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾] سورة الجن ,١[، والذي هو غير ناطق كيف يستمع وكيف يقول؟ فقال: ليس ذلك بمناقض وذلك أن السمع والقول يمكن أن يوجد للحي من حيث هو حي، لأن القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق، وترى كثيرا من البهائم لا قول لها وهي حية، وصوت الإنسان مع هذه المقاطع هو له طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع، كما أن صوت كل نوع من أنواع الحي لا يشبه صوت غيره من الأنواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي للإنسان مخالف

[77] فخر الدين الرازي، تفسير: مفاتيح الغيب، المجلد الثلاثون، ص.131-132.

لأصوات غيره من أنواع الحيوان. وأما قولنا: غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[78]" اهـ

وهذا التعريف والتصور غريب إلى حد كبير على العقلية الإسلامية، وذلك لأنها ترى أن إبليس فقط هو الذي لا يموت وأما الباقي فيموتون! كما أنها تتصور الجن بشكل قريب جد من البشر!

ولقد جمع الإمام القزويني الأقوال حول الجن، فقال: "زعموا أن الجن حيوان ناري مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس في وجود الجن، فمنهم من ذهب إلى أنّ الجن والشياطين مردة الإنس، وهم قوم من المعتزلة، ومنهم من ذهب إلى أنّ الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر وأنّها تتشكل بما شاءت من الأشكال، فإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر.[79]" اهـ

ولقد قال بعض علماء المسلمين أنهم غير قادرين على التشكل بأشكال مختلفة –لما في ذلك من إشكاليات عديدة –، وإنما الله هو من يفعل لهم هذا!

ولقد ذكر الشيخ وحيد بالي هذا الرأي ورجحه فقال: "قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: "ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضروباً من الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة، فيقال: إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قولٍ إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى بجري العادة. وأما إنه يصور نفسه فذلك محال، لأن انتقالها عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة" قلت: وهذا كلام جيد ولكنه يفتقر إلى دليل. ويمكن أن يُستدل له بما رواه ابن أبي شيبة: "إن الغيلان ذُكروا عند عمر بن

[78] جمال الدين القاسمي، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، ص.43–44.

[79] زكريا القزويني،عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ص.292.

الخطاب فقال: إن أحداً لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذّنوا[80]" اهـ

وقول القاضي أبو يعلى قولٌ عجيب، يظهر فيه تأثره بالخرافات، التي تقول أن هناك بعض الكلمات إذا قالها المرء! يفعل الله له كذا أو كذا! كأن الله تعالى "مارد المصباح" الذي ينفذ طلبات صاحبه! –تعالى الله العظيم عن ذلك– أما القول المنسوب إلى الفاروق فهو قول جيد، إلا أنه لم يجد من ينصره ويؤيده على الرغم من أنه أقرب إلى العقل والمنطق، فما المانع أن يكون للجن سحره يسحرون أعين الناس ليروا أشياء غير حقيقية، لا أنهم هم الذين يتحولون ويتشكلون؟! ولكن من يبحث عن العقل والمنطق في الحديث عن الجن؟ إن الإنسان يبحث عن الغرائب ويزيدها من عنده، فهل سيمنطقها؟!

الجان .. والجِنّة

بعد أن تحدثنا عن الجن ورأينا كيف تصوره المسلمون ككائن ناري هوائي قادر على التشكل، ننتقل إلى الجان.

وأول ما نبدأ به هو القول بأن "الجان" ذُكر في القرآن مرتين معرفا بالألف واللام، وكان الحديث فيهما عن المادة التي خُلق منها الجان. وهذا هو أول فارق بين الجن والجان، فلقد اعتبر منزل القرآن أن الجان جنسٌ، لذلك تحدث عن مادة خلقه –بينما لم يفعل مع الجن– فقال: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحجر, ٢٧]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الرحمن, ١٥]

(80) وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص.32.

وفي غير هاتين الآيتين ذُكر في خمسة مواضع في القرآن، ثلاث منهن في سورة الرحمن، واثنان في معرض الحديث عن أمر الله لموسى بإلقاء العصا: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [سورة النمل ,١٠] ولقد قال المفسرون أن المراد من الجان هنا الحية سريعة الحركة!

بعد هذا يأتي السؤال الحتمي: ما هو الجان، وما الفرق بينه وبين الجن والجِنّة؟!

وتأتي الإجابة الصادمة، أن علماء المسلمين لا يجزمون ما هو الجان، ولا يعلمون فرقا بينه وبين الجِنة!! فعلى الرغم من أنهم قالوا فيه أقوالا، إلا أنه لم يكن لواحدٍ منهم فيها دليلاً، لذلك نجد هذه الأقوال تُذكر على استحياء! والأقوال التي ذُكرت في "الجان" قليلة ذكرها الإمام النيسابوري في تفسيره لآية الرحمن، فقال: "وهو أب الجن، وقال الضحاك: هو إبليس، وقال أبو عبيدة: الجان واحد الجن. من مارج: لهب صاف وخالص لا دخان فيه. قال ابن عباس: هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا لهبت. عكرمة: هو أحسنها. مجاهد: هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أُوقدت، وهو من قولهم: مرج القوم إذا اختلطوا، ومرجت عهودهم وأماناتهم.[81]" اهـ

وكما رأينا فلقد قال العلماء أن المراد من الجان أبو الجن، وعلى هذا فإنه يعني أن الجن كلهم قد جاءوا من إبليس! وهذا يبطل القول الذي يقول أن إبليس كان من الجن، ويحتم أن يكون أصلهم!

وبغض النظر عن هذا كله، فلا دليل لهم على ما يقولون، ومستندهم في هذا القول هو السياق الواردة في سورتي الحجر والرحمن، والذي ذُكر فيهما بعد الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ

---

[81] أبو إسحاق النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، المجلد التاسع، ص.181.

﴿٢٧﴾] سورة الحجر ,٢٦-٢٧]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾] سورة الـرحـمـن ,١٤-١٥[فلأن الله تعالى تحدث عن خلق الإنسان، والإنسان في نظرهم هو آدم[82]! قالوا أن الجان هو إبليس! أما نحن فنقول أن "لإنسان" هو اسم يصدق على كل أفراد الجنس وليس على فرد واحد، وكذلك "الجان" اسم جنس يصدق على جميع أفراد الجنس، فتطلق على الفرد وعلى الجنس!

فإذا كان "الجان" مثل "الإنسان" اسم جنس، فما هي "الجِنّة"؟! نقول: الجِنة هي –والله أعلم– صيغة الجمع، فكما أن "الناس" هي جمع "الإنسان" فكذلك "الجِنة" هي جمع "الجان". ويدلل على ذلك أن "الجِنة" تأتي في القرآن مرتبطة ب "الناس"، فمن ذلك: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾] سورة هود ,١١٩]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾] سورة السجدة ,١٣]

وأشهر آية ذُكرت فيها الجِنة هي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾] سورة الصّافّات ,١٥٨]

وأكثر المفسرين على أن المراد من الجِنة في هذه الآية هم الملائكة، أي أن المشركين جعلوا بين الله وبين الملائكة نسباً، فقالوا أن الملائكة بنات الله! –تعالى الرب العظيم– وهذا يعني أنهم يقبلون أن تكون الملائكة "جِنة"، لأنهم مستترون.

والناظر في القرآن يجد أن الله عز وجل لم يذكر "الجن" مع "الناس" قط، فلم يقل: "الجن والناس" ولو قالها مرة واحدة، لكان معنى هذا أن الجن غير الناس، وإنما يذكره مع ال "إنس"، فيقول: "الجن والإنس"، وكذلك قال "إنس وجان" أما مع "الناس" فيذكر "الجنة". وذلك لأن الجان مفرد الجنة، كما أن الإنسان مفرد الناس!

[82] نطلب إلى القارئ الكريم أن يرجع إلى كتابنا: نشأة الإنسان، والذي عرضنا فيه لآيات الخلق في القرآن، وبيّنا أنها تقول بخلق جماعي وليس فردي.

ولأن الله تعالى عطف الناس على الجنة "من الجنة والناس"، فلا يمكن أن يكون الجنة من البشر وإنما هم خلق آخر.

وهنا نصل إلى السؤال المحوري:

ما هو هذا الجنس المسمى بالجان/الجِنّة؟ هل هو الجن؟ أم الملائكة، أم كلاهما؟!

الذي نعرفه عن هذا الجنس أن إبليس كان أحد أفراده، بدليل تعليله رفض السجود لآدم بأنه مخلوق من النار، وهي مادة خلق الجان، فإذا كان من الملائكة فيكون الملائكة جان، وتكون الملائكة مخلوقة من النار، وإذا كان من الجن، يكون الجان هم الجن.

"كان من الجن"

عدنا مجددا إلى إبليس، ذلك الكائن الموجود بين الملائكة، والذي يقال أنه لم يكن منهم، بل هو من الجن! عدنا لنفض هذا الاشتباك: هل هو من الجن أم من الملائكة؟! ولأن الآية المحورية التي يستند إليها القائلون بأنه لم يكن من الملائكة هي آية سورة الكهف، فسنتوقف معها طويلاً لننظر، هل هي لهم أم عليهم!

يقول الرب العليم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الكهف, ٥٠]

وأول ما نبدأ به هو عرض ما قاله المفسرون حولها، ونذكر هنا ما قاله الإمام الفخر الرازي في تناوله لها، كنموذج: "في هذه الآية أن إبليس كان من الجن، وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال: الأول: أنه من الملائكة وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من

الجن، ولهم فيه وجوه: الأول: أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ... ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الصّافّات, ١٥٨]، ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ... ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الأنعام, ١٠٠] والثاني: أن الجن سموا جناً للاستتار والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن. الثالث: أنه كان خازن الجَنة ونسب إلى الجنة كقولهم كوفي وبصري، وعن سعيد بن جبير: أنه كان من الجنانين الذين يعملون في الجنات، حي من الملائكة يصوغون حلية أهل الجنة مذ خلقوا، رواه القاضي في تفسيره عن هشام عن سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقوا من نار وهو أبوهم. والقول الثالث: قول من قال كان من الملائكة فمُسخ وغير.[83]" اهـ

هذا ما ذكره الإمام الفخر الرازي، ونقول: المشتهر عن إبليس أنه أبو الجن/الشياطين، وهناك من يقول أنه كان واحداً منهم وليس أصلهم! وسواءٌ كان هذا أو ذاك فكلا القولين يوجدان إشكالين كبيرين: فإذا قلنا أن إبليس هو أبو الشياطين، فإن الآية تقول: "كان من الجن" وهذا يعني أن هناك غيره، فكيف يكون أصلهم؟!

وإذا قلنا أنه كان من الجن فلماذا خوطب مع الملائكة؟! هناك من يقول أنه اجتهد في العبادة حتى التحق بهم وأصبح معهم!

ولكن هذا قولٌ لا دليل عليه، فلم يُذكر هذا في موضع واحد من المواضع الكثيرة التي جاءت فيها القصة، وإنما يُذكر دوماً أن الملائكة أُمروا بالسجود فسجدوا إلا إبليس، فهل هناك دليل أوضح من هذا على أنه منهم؟! وإبليس نفسه لم يقل أنه غير مخاطب بالأمر، وإنما قال أنه أفضل منه!!

فإذا قال قائل أن هذه الآية دليل على أنه لم يكن من الملائكة، فلقد حددت جنسه وقالت أنه من الجن! نقول: لاحظ أن الآية لم تقل: "إلا إبليس من الجن" وإنما قالت: "إلا إبليس كان من الجن ف" ورتبت على ذلك فسقه عن أمر ربه! والعجب كل

[83] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الحادي والعشرون، ص.116.

العجب أن بعض المفسرين جعل "كان" بمعنى "صار" أي أنه أصبح شيطاناً بعد المعصية، وكان جناً قبلها!! ومنهم من ألغاها بتاتا فجعلها كأن لم تكن، كأن الآية قالت: "إلا إبليس من الجن" مع أن الآية تقول أنه "كان من الجن" أي أن هذا كان السبب، ويُفهم من دليل الخطاب أنه لم يعد كذلك الآن!

أما نحن فنقول استناداً إلى المعنى اللساني للكلمة والتي تفيد الشدة والعلو، وإلى استعمالها في القرآن –والذي لم يستعملها إشارة إلى جنس مستقل– أن إبليس كان واحدًا من كبار الملائكة البارزين، فلمّا خوطبت الملائكة بالأمر أبى واستكبر، فلم يعد كذلك وطُرد من السماء وأصبح شيطانا!

وقد يعجب القارئ من أن يكون هناك "جن" في الملائكة، لذلك نذكره بما قلناه أن اللسان العربي لا يحرج أبداً أن يكون هناك جن من أي شيء، فأقوى وأمهر ما في الشيء هو جنه! وحتى لا يقول القارئ أن هذا قياس في اللغة، وليس عليه أي دليل، نقدم له بيت الشعر الذي ذكره ابن منظور في اللسان –وذكرناه سابقاً ولم نعلق عليه– والذي قال قبله: "وكان أَهلُ الجاهليَّة يسمّون الملائكةُ عليهم السلام جِنّاً لاسْتِتارِهم عن العيون، قال الأَعشى يذكر سليمان عليه السلام: وسَخَّرَ من جِنِّ الملائِكِ تِسعةً قِياماً لَدَيْهِ يَعْمَلونَ بلا أَجْرِ" اهـ

فهذا البيت لا يقول أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الملائكة جناً، وإنما كانوا يرون أن فيهم جناً –قادة/كبار/أشداء/مهرة– فالمضاف إليه لا يُنعت بالمضاف. وشتان بين قولي: جن الملائكة والجن الملائكة! فما فعله ابن منظور مثل قولي أن "عباقرة التلاميذ" تساوي "التلاميذ العباقرة"! وهذا غير صحيح، فالجملة الأولى تتحدث عن عباقرة هم جزء/طائفة من التلاميذ وهناك غيرهم ليس بالعبقري، أما الجملة الثانية فتقول أن التلاميذ عباقرة! إذا، فالجاهليون أنفسهم كانوا يرون أن هناك جن في الملائكة، أي قادة كبار مهرة، وهذا هو الفهم الذي نقول به. فالأعشى كانوا يقول أنه سُخر لسليمان تسعاً من كبار الملائكة يعملون لديه! أما القول بأن الجن جنس

مستقل، فيعني أن الكلام الوارد في آية الكهف غير مترابط ولا متجانس، يهدم أوله آخره! وللتوضيح نقدم للقارئ مثالين، الأول مشابه لما يقولون به من أن إبليس لم يكن من الملائكة، يُظهر أن الكلام على قولهم غير مترابط، والثاني يبين كيف أن قولنا يلغي كل الإشكاليات المتعلقة بالآية: "قلت للموظفين اكتبوا الملفات فكتبوا إلا فلاناً –كان من البائعين– فلم يكتب!" (فلان: غير مخاطب بالأمر أصلا، وعند توجيه الأمر للموظفين كان بائعا، أما الآن فلم يعد كذلك! –بدليل استعمالي: "كان"، ولو أنه لا يزال حتى الآن بائعا لقلت: إلا فلان البائع، ولا حاجة لقولي: "كان"!)

"قلت للموظفين اكتبوا الملفات فكتبوا إلا فلانا –كان من المديرين– فلم يكتب" (فالكلام هنا مترابط، فلقد خاطبت حشداً من العاملين تحتي بأمر، فنفذوا إلا فلانا، استكبر أن يكتب لأنه كان مديرا –ولذلك طردته فلم يعد الآن كذلك–) فكما رأينا فقولنا بأن المراد من الجن هو "القادة الكبار" قد ألغى جميع الإشكاليات، فهو كان ملَكاً، لذلك خوطب بالأمر، ولأنه كان قائداً بارزا استكبر، فلم يعد كذلك! ولا يعني قولنا أنه أصبح شيطاناً أنه أصبح أسوداً قبيح الشكل، له قرون وذيل! بعد أن كان أبيضاً جميلا!! وإنما فقد المرتبة "ملك" واكتسب دوراً آخر "شيطان".

وبهذا يظهر لنا أن الملائكة والشياطين يصدق عليهما كليهما نعت "الجان/الجنة"، فهذا هو أصل الجنس، أما الملائكة والشياطين فهي ليست أسماء أجناس، وإنما هي نعوت تُعطى حسب الدور الذي يقوم به الواحد منهم! فإذا كان مطيعا لأمر الله في تسيير الكون فهو ملَك وإن كان عاصيا فهو شيطان!

لهذا لم يذكر الله تعالى في كتابه أنه خلق الملائكة من كذا والشياطين من كذا، لأنه لا يوجد جنس اسمه الملائكة ولا الشياطين وإنما جنسٌ اسمه: الجان.

ونختم حديثنا بما قاله الشيخ محمد رشيد رضا حول المسألة: "وَلَيْسَ عِنْدَنَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ فَصْلًا جَوْهَرِيًّا يُمَيِّزُ أَحَدَهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافُ أَصْنَافٍ عِنْدَمَا تَخْتَلِفُ أَوْصَافٌ، كَمَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ . فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْجِنَّ صِنْفٌ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ أُطْلِقَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظُ الْجِنَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ عَلَى رَأْيِ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا) (37 : 158) وَعَلَى الشَّيَاطِينِ فِي آخِرِ سُورَةِ النَّاسِ.[84]" اهـ

إشكاليات وحلول

قد يرفض القارئ القول بأن إبليس كان من الملائكة ثم تشيطن، –على الرغم من أننا لسنا أول من قال به– وذلك لأنه يرى أن هناك بعض الآيات التي تخالف هذا القول، لذا سنعرض لهذه الإشكاليات الموجودة في رأسه لنبين له أنه لا مستند لها في كتاب الله. ثم نزيده بأن نذكر له بعض الإشكاليات المترتبة على قوله بأن إبليس لم يكن من الملائكة، والتي لم ينتبه إليه هو وأصحاب الرأي الآخر، ونبين له كيف أن قولنا هو المانع لنشأة هذه الإشكاليات كلها!

أول هذه الاعتراضات هو الذرية، فكيف يكون ملكاً، والله يقول أن له ذرية:

﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ... ۝٥٠﴾ [سورة الكهف, ٥٠]

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون؟! نقول: هذا السؤال ينبغي أن يوجه أولا لمن قال أن إبليس أبو الجن، فيجب أن يُسأل: لماذا خلق الله جناً واحدا وألحقه بالملائكة؟! وكيف تكاثر إبليس فأنجب ذرية؟ من أين له بالأنثى، إذا كان قد خُلق وحيدا؟! هل تكاثر بالانقسام الذاتي، أم أنه نكح نفسه –كما جاء في بعض الروايات– فباض عدداً من البيضات، في داخل كل واحدة منها شيطان رضيع!!!

[84] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء الأول، ص.221.

أما مسألة الذرية للملائكة فلقد قلنا سابقا أنه لا دليل على أن الملائكة لا تتناسل! وقلنا أنهم في حاجة –لزاماً– إلى مصدر تغذية أو طاقة، وإلا لأصبحوا أغنياء، والغني هو الله وحده، لا يحتاج إلى غيره!

فإذا سلمنا باحتياجهم، فما المانع من تكاثرهم بشكل ما يختلف عن كل الأشكال الأرضية، فلن نقول بالانقسام الذاتي ولن نقول بزوج، فالله أعلم كيف يكون ذلك! هذا وإن كنت أميل إلى أن المراد من "ذريته" في الآية هو كبار المجرمين الذين يتبعونه، فهم ذريته بمعنى أنه هو الذي يحركهم وينشرهم ويبعثرهم، وهذا هو المعنى الأصلي للذري، فكما أن الرياح ذاريات، تذرو التراب وغيره، أي تحركه وتثيره وتنشره، فكذلك هو ذارٍ لهؤلاء الأتباع، يثيرهم ويهيجهم، وهؤلاء يتبعهم عامة الناس، ويتخذونهم أولياء من دون الله! بعبارة أخرى هؤلاء هم البذر[85] الذي غرسه إبليس، فهؤلاء الذين نسميهم "نبتة شيطانية" الذين هم غرس الشيطان، ينهانا الله عن إتباعهم!

وفي هذا يقول الدكتور محمد البهي: "وتعبير الآية هنا عن إبليس بأنه (كان من الجن ففسق عن أمر ربه) لا يدل على أنه خارج عن طبيعة الملائكة، وإنما قصد بالجن التخفي والتستر وعدم العلانية. فقد جاء في سورة الصافات وهي سورة الملائكة، قول الله تعالى في ادعاء المكيين أن الملائكة بنات الله: "وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا (أي بين الله والملائكة) ولقد علمت الجِنة (أي الملائكة، لأن منهم وحدهم خزنة جهنم) إنهم لمحضرون. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو: والذي يسيرون من الناس في طريق الغواية –وفي مقدمتهم الماديون الذين ينكرون الله، كما ينكرون البعث– هم أولئكم الذين يستجيبون لإبليس وذريته. وإذا كان إبليس أصلاً من الملائكة فذريته هم من بني الإنسان ... هم مصادر الضلال والفرقة، والفساد والعبث، بين الناس. هم زعماء الشرك والوثنية والمادية ... هم الذين يحرضون على انتهاك القيم، ومجارات الشهوة والهوى[86]" اهـ

---

(85) لاحظ أن عملية البذر هي ذرو، فالفلاح يحمل في يده كمية من الحبوب فينثرها في الهواء فتتفرق ثم تتساقط على الأرض.

(86) محمد البهي، تفسير سورة الكهف، ص.27.

والاعتراض الثاني هو: كيف تكون الملائكة جاناً والجان مخلوق من النار، والملائكة مخلوقة من النور، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: "... عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم" اهـ

نقول: كنا قد رددنا في كتابنا السابق "نشأة الإنسان" على هذه النقطة، إلا أننا لم نرد الحديث، فقلنا: "حتى على فرض خلق الملائكة من نور، فلا يعني هذا أنها لم تُخلق من نار! ولا أنها ليست من الجان! ويدلل على هذا خلق الإنسان، فلقد قال الله تعالى أنه خلقه من ماء، ومن تراب، ومن طين، ومن صلصال! ولا تعارض، فكلها مراحل للخلق، وفي النهاية صار الإنسان كائنا من دم ولحم، ولا علاقة له بهذه المواد الأصلية!

فإذا قلنا أن الملائكة خُلقت من نور، فلا يعني هذا أنها لم تُخلق من نار، ولا يعني هذا في عين الوقت وجوب أن نتصور الملائكة كأنوار متحركة، فإذا كان الطين قد صار لحما ودما وعظما، فالله أعلم إلى ما صارت النار[87]!" اهـ

ونحن نرجع عن هذا القول الآن، ونرد الحديث، جازمين بأنه لم يصدر عن الرسول، لأسباب عدة متعلقة بمتنه، أهمها مخالفته لكتاب الله العزيز، فمن ذلك أنه جعل الملائكة جنساً مستقلاً عن الجان، وهذا ما لا يقول به القرآن.

كما أنه قال أنهم مخلوقون من النور، والنور ليس مادة يُخلق منها، وإنما النار –أو حتى الضوء– يُخلق منها! فلا توجد مادة اسمها نور، وإنما هناك عَرَض اسمه نور[88]، ولا يُخلق من الأعراض!

[87] عمرو الشاعر، نشأة الإنسان بين التوراة والإنجيل ونظرية دارون، ص285.

[88] عرضنا ل: "النور" في مبحث طويل، موجود على صفحات موقعنا الشخصي: www.amrallah.com بيّنا فيه الفارق بين النور والضياء، وكيف أن أكثر العرب يفهمون أن النور هو الضوء! وليس كذلك، والكلام في هذا الموضوع كبير، إلا أننا نختصر ونقول: النور هو سمة ملازمة للهداية والرشاد، لذلك فالنور في هذا الكون واحد، بينما الأضواء كثيرة، فهناك ضوء

كما أنه استعمل "وصف" مع كتاب الله، ولم يستعمل "نُعت أو سُمي"، والوصف لم يُستعمل في القرآن إلا قريناً للكذب، فمعاذ الله أن يستعمل رسول الله الوصف مع كتاب ربه! فالله تعالى لم يصف في كتابه أي شيء، وإنما نعت وسمّى!

وبهذا نكون قد أنهينا الاعتراضين الشهيرين، اللذان يُعترض بهما على القول بأن إبليس كان من الملائكة، ونبدأ بعرض الإشكاليات المترتبة على القول بأنه من "الجن" –بالمعنى المشهور وليس الذي نقول به–. أول إشكالية تواجه القائلين بأنه كان من الجن وليس من الملائكة، والتي أعجب أنهم والمخالفون لم ينتبهوا إليها، وهي: كيف يوسوس إبليس ومن تبعه من جنس الجن إلى البشر؟!

إن الملائكة تستطيع أن تصل إلى قلب الإنسان، فتوحي إليه، وتستطيع أن تبث إليه من الأفكار ما يُطلب منها: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ ... ٣٩﴾ [سورة طه ,٣٨-٣٩]، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ... ٧﴾ [سورة القصص ,٧]، ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ... ٢٧﴾ [سورة المؤمنون ,٢٧].

وغير ذلك مما ينفع الإنسان ويحتاجه في مواقف حياته المختلفة، وكثيرٌ من الأفكار التي تظهر فجأة في ذهن الإنسان، هي مما يُوحى إليه بها، وما جزء كبير من المخترعات والمكتشفات العلمية إلا مما يُوحى به إلى الإنسان، ويظن أنه من بنات أفكاره! ولكنه لا يُوحي به بداهة إلا لمن يضع قدمه على أول الطريق!

فأصحاب الرأي القائل بأنه من الجن يرون أن الجن مخلوقٌ مكلف مثلُنا، مخاطب بالقرآن وقبله بكل الأديان والشرائع الربانية، فيهم المؤمن والكافر، فهل للجن القدرة على الوسوسة إلى الإنسان، والوصول إلى قلبه/عقله؟! أم أنه لم يكن لديه هذه القدرة،

الشمس وضوء المصباح وضوء النار ... الخ، والأضواء هي ضياء وُجد الناس أم لم يوجدوا، أما النور فلا يكون نوراً إلا في وجود من يهتدي به! ولمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى البحث.

وبعد أن رفض الأمر بالسجود أعطاه الله هذه القدرة، هو ومن يتبعه في معصية الله والتمرد عليه؟!

وإذا كان لدى الجني الكافر أو العاصي القدرة على الوسوسة، فلماذا لا يوسوس للناس؟! وما الفارق إذن بين الجني الكافر والشيطان؟! أما إذا قلنا أنه كان ملَكا، فإن هذا يُفسر كيف يستطيع الوسوسة إلى الإنسان، وبهذا يكون الإنسان بين وحي رباني ووسوسة شيطانية! والقول بأن إبليس كان ملَاكاً ثم تشيطن، يقضي على إشكالية أن الله تعالى يخلق الشر، فلو قلنا أنه سبحانه خلق شياطين لكان معناه أنه يخلق الشر!! والله الرحيم لم يخلق شياطين –تعالى العلي– وإنما خلق ملائكة لتقوم بأدوار معينة، وأعطاهم الحرية –كما أعطاها الإنسان– فتمرد بعضهم ولم يقبل القيام بأدوار، يرى أنها لا تليق بقدرته أو مكانته! ولم يقض الله العليم الحكيم عليه في هذه اللحظة، وإنما أعطاه الفرصة كاملة لينفذ الدور الذي ارتضاه لنفسه وهو الإفساد!

وفي هذا يقول فراس السوّاح: "أما لماذا سمح الله بظهور الشر على هذا النحو، فإن جواب الحل الرابع هو أن الله لم يسمح بظهور الشر بل سمح بالحرية، وليس الشر إلا ناتجاً من نواتج الحرية. فالله ليس مسئولا عن الشر وهو سيقاومه ويأتي به وبأصله إلى نهاية محتومة في لحظة مقررة من صيرورة الزمن. لقد كان الله قادراً على محق الشيطان لحظة عصيانه، ولكنه آثر الإبقاء على مبدأ الحرية الذي استنه لخلقه، وتركزت خطته في مقاومة الشيطان على الإنسان الذي أعطاه العقل والحرية أيضا، وعليه أن يستخدمهما في محاربة الشر وعدم الإذعان لسلطته.[89]" اهـ

فالله لم يخلق شراً، وإنما الشيء لا يخلو من الشر، فإبليس –كواحد من الملائكة المخيّرين– اختار الشر، فتركه الله. وليس هذا الترك ظلماً للإنسان، فكما قال الرب العليم: ﴿... إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [سورة النساء, ٧٦]، فكيد الشيطان ضعيف، وليس له سلطان إلا أن يدعو الإنسان، وهو بالخيار أن يتبع أو يُعرض! وبقولنا

[89] فراس السواح، الرحمن والشيطان، ص.7–8.

أن إبليس حرٌ مخير، نفهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [سورة البقرة, ٣٤].

فلقد توقف المفسرون مع قوله تعالى: "وكان من الكافرين"، فقالوا: إن هذا يقتضي وجود كافرين آخرين، فأين ومتى كان هؤلاء الكافرون؟ ولمّا لم يجدوا إجابة، جعلوا "كان" بمعنى "صار" أي أنه صار من الكافرين بفعله هذا! أما نحن فنقول أنه كان هناك بعض الملائكة قد تمرّد قبل ذلك، ورفض تنفيذ أمر من أوامر الله، وعندما رفض إبليس السجود، كان من (ضمن) الكافرين، نفهم الجملة كما هي، وليس كما نتوقع نحن!

وإذا قلنا أن الملائكة مختارة، نفهم قوله تعالى في سورة ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [سورة ص, ٨٢-٨٥]

فإبليس عندما طرده الله من السماء وأخرجه من زمرة الملائكة، يتوعد بأنه سيغويهم أجمعين! وهنا قال الله العزيز لإبليس، أنه سيملأ جهنم منه وممن تبعه منهم أجمعين. ولقد توقف المفسرون مع كلمة: "أجمعين"، بشأن ماذا تؤكد؟! فقالوا أنها تشير إلى البشر فقط! أي أنها يؤكد أنه سيغوي البشر أجمعين إلا عباد الله المخلصين.

إلا أننا نخالف المفسرين ونرى أن المؤكد أوسع من البشر، يدخل فيه الملائكة! فإبليس يتوعد أنه سيغوي الملائكة كذلك حتى يُطردوا مثله فلا يظل وحيداً. والذي يؤكد هذا الفهم قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ ... ۝٨٥﴾ [سورة ص, ٨٥]، فهل المراد أن الله سيملأ جهنم من أجزاء من إبليس، أم أنه سيملئها من جنسه؛ والذي هو الملائكة؟ بالتأكيد من جنسه، فبهذا يكون التأكيد راجعاً إلى البشر والملائكة، فمن تبع إبليس من البشر والملائكة، فسيكونون ملأ جهنم! وحتى لا يقول القارئ، إنه من المحتمل أن يكون التأكيد عائداً على البشر فقط، نثني له بقوله تعالى: ﴿... وَتَمَّتْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾] سورة هود ,١١٩]، ﴿... وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾] سورة السجدة ,١٣].

فالله تعالى قال أنه سيملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين! والآية دليل صريح على أن هناك مِن (الذين كانوا مِن) الملائكة، مَن سيدخل النار. ولقد وجدنا عامة المفسرين يمرون مرور الكرام على هذا الجزء من الآية، ويجعلونه في الجن فقط! ولقد ذكر الإمام الطبري قولا عن أبي مالك، قال أن المراد من الجنة: الملائكة! إلا أنه وجهه فقال: "وأما معنى قول أبى مالك هذا: أن إبليس كان من الملائكة، والجن ذريته، وأن الملائكة تسمى عنده الجن، لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا.[90]" اهـ

فالكلمة التي قالها الله في مبتدأ البشرية لإبليس، ستقع وتكون يوم القيامة، وسيملأ جهنم من الجنة والناس! والملاحظ أن الله تعالى لم يقل أنه سيملأ جهنم من الملائكة والناس، لأن الملاك الذي يتمرد يتحول إلى شيطان! ولا يظل ملاكا، ولكنه في الحالتين من الجِنة! لذلك ذكر الله أنه سيملأ جهنم من الجنة[91]!

والذي يبدو –والله أعلم– أنه ليس للملائكة، الذين يتمردون ويتشيطنون، توبة، فإذا عصى الواحد وتمرد منهم، أصبح شيطانا إلى يوم الدين، ولا يعود ملاكا أبداً، لأن معصيته حاصلة عن بطر وكبر، مع وجود علم بالحق، يعلو على علوم البشر!

وليتذكر القارئ معنى "إبليس" والذي قلنا أنه بمعنى اليائس، فهو فاقد الأمل، لا طريق له للرجعة! ومن الممكن القول كذلك –والله أعلم– أن جبلتهم مقدمٌ فيها الطاعة على المعصية والتقوى على الفجور، بخلاف نفس الإنسان ذات الأصل الحيواني، والتي

[90] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الجزء الخامس عشر، ص.539.

[91] نُذكر القارئ أنه لا يوجد خلق اسمه "شياطين"، وإنما هناك خلق يتشيطن، فالإنسان قد يصير شيطانا –ولا يعني هذا أنه قد نبت له قرون وغطى الشعر الأسود جسده ونبت له ذيل، وامتلك رمحاً ثلاثي الرؤوس!– والملاك كذلك قد يتمرد فيصير شيطانا، ولا يعني هذا أن تتغير خلقته، وإنما يتغير دوره!

قُدم فيها الفجور على التقوى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس ,٨]، كما أن الإنسان حيواني الأصل، والصراع دائر في الإنسان بين أثر الروح والحيوان!

وليس الجان المتشيطن فقط من لا يستطيع الإيمان، فالإنسان الكافر بطراً لا يؤمن هو الآخر، فلقد خُتم على قلبه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [سورة البقرة ,٦] والقول بأن إبليس متمرد من الملائكة يحل الإشكالية الكبرى: ماذا يحدث لو لم يرفض إبليس السجود؟ هل كنا سنحيى بدون شياطين توسوس؟! فتبعاً لقولهم لم يكن ممكناً لإبليس ألا يتمرد، أما نحن فنقول: لو لم يتمرد إبليس، لتمرد غيره، وقد حدث هذا بالفعل ممن سبقه وتبعه من الملائكة! والفارق أنه هو من رفض هذا الأمر، ثم تمرد بعده آخرون، فصار هو كبيرهم!

وسبب استبعاد المفسرين لهذه الاحتمالية، ولكل ما ترتب عليها، من مثل ما استنتجنا، يرجع إلى تلك التصورات التي أسقطوها على الملائكة، بدون أدلة بيّنات على ما يقولون، وإنما هي استنتاجات نازعة إلى تشبيهها بالبشر!

الإنسان .. والإنس

بعد أن عرضنا للملائكة وإبليس، ورأينا كيف أنه في الملائكة جنٌ، وعرَفنا من أين أتت الشياطين، ننتقل إلى الجنس البشري، لننظر كيف تحدث عنه الخلاق العليم في كتابه العظيم.

الناظر في كتاب الله تعالى يجد أنه سمّى جنسنا ثلاثة أسماء باتفاق، فسمانا: بشر، وإنسان والناس، والخلاف حول الاسم الرابع وهو "الإنس"، فهل يقع على الجنس كله، فيكون الجن جنساً آخر، أم على بعضه فيكون الجن من عين الجنس؟!

أول ما نلحظه هو أن الله تعالى وتقدس لم يخاطب البشر في كتابه، فلم يقل في آية: يا أيها البشر! وإنما خاطب الإنسان والناس.

فخاطب الإنسان في موضعين اثنين فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ ...].
وخاطب الناس في عشرين موضعا فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...] .

وعندما كان يخاطب الله تعالى "الناس" أو "الإنسان" كان يخاطبهما بمفردهما فلم يكن يشرك معهما جنس آخر! بينما يختلف الوضع تماما مع "الإنس"، فلم تأت كلمة "الإنس" في آي واحدة من القرآن إلا وكان معها الجن، وغالباً ما يكون الجن سابقاً لها في الذكر. وكذلك لم يخاطب الله تعالى "الإنس" في آية واحدة، وإنما كان يخاطبهم مع الجن، ويكون الجن سابقاً لهم. كذلك لم تأت صيغة الخطاب مثل ما أتت مع "الناس" و"الإنسان"، فلم يقل الله: "يا أيها الإنس والجن" وإنما قال "يا معشر الجن والإنس"، كما في الآيتين الفريدتين اللتين خاطب الله فيهما الجن والإنس: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ ... ١٣٠﴾ [سورة الأنعام, ١٣٠]، ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ ٣٣﴾ [سورة الرحمن, ٣٣] وعلى النقيض نجد أن الله تعالى خاطب الجن في آية ولم يخاطب الإنس، فقال: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ ... ١٢٨﴾ [سورة الأنعام, ١٢٨]

وهنا يجب علينا أن نتساءل: لماذا يُجمع الإنس مع الجن دوما، لماذا لا يُذكرون بمفردهم؟ ولماذا التعبير ب "معشر" والذي يفيد التداخل والخُلطة؟ هل يكون في هذا إشارة إلى أنهم من جنس واحد، وأنهم يحيون مع بعضهم؟!

إجابة هذا السؤال تعتمد على تحديد معنى "الإنس"، فهل هو مساوٍ للناس أو الإنسان؟ أي أنه يدل على الجنس البشري عامة، أم أنه نعتٌ لفئة معينة منه؟!

فإذا كان مساوٍ لهما، كان هذا دليلاً حاسماً على أن الجن جنس غير البشر، أما إذا لم يكن مساوٍ لهما، فيكون في هذا إشارة إلى احتمال كون الجن طائفة بارزة من البشر، كما هو الجن في كل شيء، حتى في الملائكة!

الناظر في المعاجم اللغوية لا يجد فرقاً جلياً بين الإنس والإنسان، فالإنس في المعاجم هو البشر، إلا أن الناظر يجد أن المعاني المرتبطة بال "أُنس" هي الظهور وعدم الوحشية والاجتماع، فإذا نظرنا في لسان العرب ألفينا ابن منظور يقول:

"والإِنْسُ جماعة الناس، والجمع أُناسٌ، وهم الأَنَسُ. تقول: رأَيت بمكان كذا وكذا أَنَساً كثيراً أَي ناساً كثيراً (...) والأَنَسُ: خلاف الوَحْشَةِ، (...) والإِنْسُ البشر، الواحد إِنْسِيٌّ وأَنَسيٌّ أَيضاً (...) في الحديث: أَنه نهى عن الحُمُر الإِنسيَّة يوم خَيْبَر؛ (...) والأُنْسُ، وهو ضد الوحشة، (...) والأَنَسُ أَهل المَحَلِّ، والجمع أناسٌ (...) وقالوا: كيف ابنُ إِنْسُك أَي كيف نَفْسُك. (...) والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة، (...) وآنَسَ الشيءَ: أَحَسَّه. وآنَسَ الشَّخْصَ واسْتَأْنَسَه: رآه وأَبصره ونظر إِليه (...) وآنَسَ الشيءَ: أَحَسَّه. وآنَسَ الشَّخْصَ واسْتَأْنَسَه: رآه وأَبصره ونظر إِليه"[92] اهـ

إلا أن الناظر يلحظ فارقا في المعنى راجعٌ إلى زيادة المبنى، فكلمة "إنسان" هي "إنس" زيد إليها الألف والنون، فأصبحت على وزن فعلان مثل جوعان وعطشان. "وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة والزيادة، وتفيد الحدوث والتجدد والامتلاء بالسمة! فالسمة البارزة العالية المسيطرة فيه هي الأنس، وهي لا تكون إلا في تجمع وطمأنينة، نابعة من البعد عن الوحشية (الحيوانية)، فإذا نُزعت منه انتكس وصار وحشا كما كان سابقا![93]" اهـ

والذي يظهر من استعمال العرب للكلمة أن الإنس هم تلكم الجماعة التي يؤنس بعضُها بعضاً، فيؤمن كلٌ منهم للآخر الأمن والحماية. والإنسان هو ذلك الكائن

[92] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وغيره، المجلد الأول، ص.148.

[93] عمرو الشاعر، السوبرمان بين نيتشه والقرآن، ص.85.

المنتمي إلى الإنس، والذي ظهرت فيه سمة الأنس، فترك الوحشية وانطوى تحت لواء تلك الجماعة. فإذا لم نجد تفريقا واضحاً في لسان العرب، نقصد كتاب الله لننظر، هل فرق بين الإنس والناس/الإنسان؟ بخلاف الفروق التي ذكرناها، نجد أن الله تعالى لم يذكر مادة خلق الإنس، فلم يقل أنه خلق "الإنس" من كذا –كما لم يفعل مع الجن–، كما لم يثني على خلقه، فيقول أنه مخلوق في هيئة حسنة مثلا! كما لم نجد أي عرض للجانب الخُلُقي للإنس، فلم يقل مثلاً: وكان الإنس ضعيفا، وكان الإنس قنوتا!

كما نجد أن الإنس يُذكر دوماً مجموعاً –مقروناً بالجن– فلم نجد آية تتكلم عن طائفة منهم، على عكس الناس، الذين يقول الله الخبير في حقهم أن منهم من يفعل كذا وكذا، فالله تعالى قال في اثنتي عشرة آية " وِمِن الناس مَن ..."، بينما لم نجد آية واحدة تقول: "ومِن الإنس مَن ..." يظهر لنا من هذه الفروق كلِها، أن القرآن قد قسم البشر إلى طائفتين، وهاتان الطائفتان معشر مختلط، وهما الإنس والجن.

وإذا كان الجن هو الشديد القوي في الشيء، فيكون الإنس هو الطرف المقابل فيكون هم عوام الناس. وبهذا يمكننا القول أن جن البشر هم القادة والأسياد المستكبرون، وأن الإنس هم من نسميهم عوام الناس، والذين يلعبون دور الأتباع.

وقد يستغرب القارئ أن يكون هناك جن في البشر، ولكن لسان العرب يقول أن لكل شيء جن، ووجدنا في الملائكة جن، فما المانع أن يكون في البشر جن؟! قد يرفض القارئ ذلك لأنه رأى أن القرآن استعمل تركيبة "شياطين الإنس" و"شياطين الجن"، فكيف يكون هناك جن من البشر؟! نقول: استعمال القرآن لهذه التركيبة "شياطين الجن" راجع إلى أن كلمة "الجن" في حد ذاتها كلمة تُطلق على الكبير والعظيم والخارق، كائنا ما كان، المهم أن يكون يعمل في خفاء وخفة ومهارة، بينما كلمة "شيطان" هي كلمة ذم، تشير إلى الشر.

فشياطين الجن من البشر ومن غيره، وشياطين الإنس من البشر فقط.

الفصل الثاني: الله والجن

هل خلق الله الجن؟!

كان من المفترض أن يكون هذا الفصل لتناول الآيات المتعلقة بالجن في القرآن، ولكنّا رأينا أنه من الواجب علينا قبل هذا التناول أن ندعو القارئ الكريم ليتذكر الله العظيم في هذه المعادلة، وليسأل نفسه: هل خلق الله تعالى الجن[94]؟!

وحاشا لله أن يكون غيره خالقاً لخلقٍ في كونه، ولكن التصور الموجود عند المسلمين لا يتفق مع كمالات الله وأسماءه الحسنى. وهذه النقطة كانت من أكبر أسباب جزمنا بعدم وجود ذلك الكائن بهذا التصور، فلسنا من أولئك النفر الذين يرفضون الجن لأنه غير مرئي ولا محسوس، ونحن نقول أنه لا يوجد ما يمنع عقلا من وجود كائنٍ غير الإنسان، له قدرات تختلف عن قدرات الإنسان، ولكنّا نرفض أن يقال أن الدليل العقلي على تصديقه، فهذا ما لا دليل عليه! فلو وُجد سيكون من عالم الغيب الذي ينحصر دور العقل في التصديق على عدم تناقضه مع المسلمات، أم أن يثبته فهذا ما لا يُقبل!

كما نرفض دعوى من يدعي أن المشاهدة دلّت عليه، فليست أقوال المرضى والمخابيل وأصحاب الخيالات والأوهام بدليل. ونعود فنقول: لقد ظهرت تصورات الكائنات الخرافية عند مجتمعات لم يكن لديها تصور سليم عن الخلاق الحكيم، فلم تكن صورة الإله عندهم كالموجودة عند المسلمين، فكانوا يقبلون عليه العبث، ويقولون بصدور الأخطاء منه، وغير ذلك من النقائص. وكل مسلم ينزه الله عن أي العبث، وعن أي نقيصة، لذا فإننا نطرح عليه السؤال الحتمي: لماذا خلق الله الجن؟

[94] حديثنا هنا عن الجن تبعاً للتصور المشتهر بين المسلمين وهو الكائن الناري المكلف، وليس تبعاً للتصور الذي قدمناه في الفصل السابق.

سؤالٌ قد لا يخطر بذهن أكثر المسلمين، لأنهم يظنون أنه من البديهيات، فلقد خلقهم الله ليعبدوه، كما قال في سورة الذاريات. ونحن نقر أنه سبحانه ما خلق خلقا إلا ليعبده ويسبحه! ولكن السؤال الذي نطرحه: ما هو الدور الذي يقوم به الجن في حياته؟

لقد خلق الله الإنسان وجعله خليفة الأرض، وطلب إليه أن يعمرها، فلم يخلقه ليصلي ويسبّح ويذكره فقط، وإنما يعمر الأرض ويكتشفها، فيعيش الإنسان طالباً للرزق مصلحاً للأرض، يعمل أي عمل، فيتاجر هذا ويزرع ذاك، ويخطط آخر، ويعلم غيرهم ... وهكذا، وعليهم في أثناء عملهم هذا أن يلتزموا شرع الله العليم! فلا يسرقون ولا يغشون ولا يزنون، وعليهم أن يعدلوا ... الخ.

وخلق الملائكة وجعل لها أدواراً في تسيير الكون ومساعدة الإنسان ومساندته[95]، وهم بقيامهم بهذه الأدوار يعبدون الله! ولم يخلق الله شياطين، فالله لا يخلق الشر، وإنما

[95] للملائكة دور عظيم في حياة الإنسان وفي تسيير الكون ، و نذكر هنا بعضا من وظائف الملائكة حتى يتذكر الإنسان فضل الله عليه في تسخيرهم له، ويتذكر دورهم في حياته :

1– حفظ الإنسان من كثير من المخاطر: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴿١١﴾﴾ [سورة الرّعد ,١١] فالملائكة تقوم بحفظ الإنسان من كثير من المخاطر التي يتعرض لها وقد ينجو منها بطريقة غريبة ، ولا يتفكر كيف نجا من هذا الموقف، ويظن في نهاية المطاف أنها صدفة !!.

2–إنزال العذاب بالأقوام الطاغية الظالمة ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة العنكبوت ,٣٣-٣٤]

3–توفي الأنفس ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأنعام ,٦١]

4– مراقبة الإنسان وتدوين أعماله التي اقترفها: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق ,١٦-١٨].

5– تثبيت المؤمنين ونصرتهم في ساحات القتال نصرا معنويا ومادياً: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنفال ,١٢]اهـ

منقول بتصرف من كتاب "التوحيد عقيدة الأمة منذ آدم"، من إصدارات جمعية التجديد.

هناك شر فيما خلق، وإنما خلق ملائكة وتمرّد بعضهم فأصبحوا شياطين، فلعبوا دوراً آخر في الكون!

والسؤال هو: ماذا يفعل الجن؟ هل لهم حضارات؟ هل عندهم تطور وتقدم علمي؟! ما هي وظيفتهم؟ لقد جعل الله الإنسان خليفة في الأرض، فما هو دور الجن؟!

هل خلقهم عاطلين؟!

إن الصورة الموجودة للجن في التراث تقول أنه كائن طفيلي! ليس له أي عمل ولا دور، إلا أن يؤذي الإنسان ويركبه، كما أنه كائن غبي! فعلى الرغم من أنه مخلوقٌ قبل الإنسان، إلا أنه يقلد الإنسان في كل ما يفعله، ولست أدري كيف سيكون حال الجن بدون الإنسان، الذي يتطفل عليه في كل شيء، حتى في نتاجه الحضاري، فيعيش بنفس الطريقة التي يحيى بها الإنسان وعليه أن يؤمن بالأنبياء والرسل الذين يرسلون إلى الإنسان! وعلى الرغم من تخلفه الفكري هذا وتطفله، فإنه يستطيع أن يوسوس للإنسان!!

ونذكر هنا نموذجين للقارئ يظهران الجن –تبعاً للتصور المشهور– كائناً طفيلياً، مجبرٌ على سرقتنا والانتفاع بممتلكاتنا بدون إذننا!

أولهما ما رواه الإمام البخاري: "... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ. فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ (...) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ.[96]" اهـ

فكما رأينا فلقد اضطر هذا الشيطان للسرقة لأنه كائن طفيلي، فماذا يفعل غير هذا؟! وكذلك نجد مسلم يروي رواية مشابهة لرواية البخاري يقول فيها: "... عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ.[97]" اهـ

فهنا يظهر التطفل أوضح ما يكون! ومعاذ الله أن يخلق كائناً عاقلاً متطفلاً يستبيح أشياء الإنسان ويطلع على عوراته!!

وعلى الرغم من أنه من النار فإنه يتغذى بنفس المواد التي يتغذى بها الإنسان، بدلا من أن يكون له مصدر طاقة! ولأنهم عاطلون طفيليون، ليس لهم أي عمل أو إنتاج فهم يأكلون فضلات الحيوانات والقمامة التي نرميها، وأحيانا يحاول بعضهم أن يرتقي فيأكل شيئا آخر، فنجده مضطرا للسرقة، -كما جاء في الأثر!- إن مخترعي هذه الخرافات لم يقولوا أن للجن عالما وحضارة خاصة به، كما لنا، وإنما "حشروه" حشراً معنا في عالمنا ودنيانا، يتصرف كما نتصرف، على رغم من اختلاف طبيعته! ونحن ننزه الله أن يخلق كائناً عاقلا طفيليا، فإذا خلق كائناً مكلفاً كرّمه وشرّفه، كما أعلنها صراحة أنه كرّم بني آدم، فلماذا أهان الجن وجعله عاطلا؟!

[96] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجزء الثالث، ص.101.

[97] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الثالث، 1598

الجن .. والشريعة

بعد أن رأينا أنه من غير اللائق بالله أن يخلق كائناً عبثا، ننتقل إلى نقطة أخرى، وهي تكليف الله تعالى الجن بما لا يطيقون، فهل يكلف الله الرحيم الجن بشرعة جُعلت أصلاً للناس، وهل يحاسبهم عليها؟! فإذا كان الجن مخاطبون بالإسلام، فكيف يطبق الجن شرائع الإسلام؟

فالجن المكلف –كما يرون– مخلوق من النار، يمكن تشبيهه بالأشباح، يقدر على التجسد، إلا أن أصله كالدخان، فهل سيتوضأ بالماء؟ وإذا سرق –وسيسرق لا محالة فهو طفيلي– فهل نقطع يده؟ وهل له يد أصلا، وإذا كان، فكيف نقطع يده؟ وإذا زنى كيف نجلده؟ و كيف نُعزره بالحبس؟!

وإذا قيل أنه إذا تجسد يُنفذ كل هذا، فيمكنه الوضوء ويمكن معاقبته، فإن هذا يعني أن الشريعة غير مناسبة للجن بهيئتها الأصلية، وعليها التجسد لتنفذ الشريعة!

وإذا قبلنا بهذا وقلنا أن الجن سيتجسد لينفذ أحكام الشريعة طائعا، فما الذي سيجبره على التجسد ليُجلد مثلا أو لتقطع يده؟! ثم لماذا وكيف يحاسبه الله عز وجل على شرعة لم تُجعل له وغير مناسبة له؟ لقد رد الله على مطالب المشركين بإرسال ملاك بدلاً من النبي، فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الإسراء, ٩٥].

فالرسول لا بد أن يكون من جنس المرسل إليه، فلأنهم بشر أرسل الله إليهم بشراً رسولا، ولو كانوا ملائكة لأنزل إليهم ملكاً رسولا، فلماذا يكون رسول الجن من غير جنسهم، وعليهم الإيمان به؟!

لقد قال الرب العليم أن لنا في رسول الله أسوة حسنة، فهل للجن في الرسول الأسوة الحسنة؟ إن قدرات الرسول أقل بكثير من قدرات الجن، كما أن تكوينه مخالف لتكوينهم، فكيف يكون قدوةً حسنة لهم؟!

وحاول بعض الذين انتبهوا إلى هذا الإشكالية حلها، بأن قالوا أنه يمكن للجن تنفيذ بعض الأحكام وما لا يمكنه فهو غير مخاطب به! إلا أن هذا يعني أن الله خاطب خلقاً بشرعة غير مناسبة، وأن الالتزام والخضوع للأمر أصبح بيد الجني، فيفعل أو لا يفعل!

وبغض النظر عن أن الله لم يأمرهم بأي أمر في القرآن كله، فإنه لم يبين لهم ما عليهم الالتزام به وما لا يجب عليهم إتباعه، -ومعاذ الله أن ينزل كتاباً غير مبين، ومن ثم سيحتاجون إلى رسول، يبيّن لهم ما عليهم، حتى لا يكون لديهم حجة بعد الرسل!!

هل يمكن وجود جن كافر؟!

تُعد هذه النقطة من النقاط التي لم ينته إليها عامة المسلمين، إلا أنه من المنطقي أن نتساءل: كيف يمكن وجود جن كافر، ويظل كافرا وهو يرى الملائكة ويستمع إليهم ويلمس السماء؟ -كما يعتقد أكثر المسلمين-

إن قبول المسلمين هذا القول لمن العجب العجاب، ومن العجب كذلك أن كثيراً من المسلمين يقبل بوجود جن نصراني وجن يهودي ومجوسي ... الخ الأديان الأرضية! ولست أدري كيف يصدقون بوجودها، على الرغم من وصولهم السماء ومعرفتهم بالملائكة وأحوالهم!

أما على قولنا فلا عجب من وجود الشياطين، فلقد كانوا ملائكة ثم أصبحوا شياطين – بدون تغيير في الخِلقة، فلم يكونوا بِيضا فأصبحوا سودا، بقرون وشعر كثيف! وإنما

بتغيّر الدور– ولأنه قد صدر الحكم بعقابهم، فهم يعملون على إدخال أكبر قدر ممكن من البشر معهم في النار، حتى ينتقموا من البشر الذي عوقبوا بسببه!

ومن العجب أن كثيراً من المسلمين يرون أن الشياطين فريق من الجن! هذا يعني أنهم كان لديهم قدرات ما، فرقَّاهم الله وجعلهم قادرين على الوسوسة للبشر! أو أن الله خلقهم أصلا قادرين على الوسوسة للإنسان، ولست أدري لماذا يعطي الله خلقاً أشرارا هذه القدرة ابتداءً ولماذا يخلقهم أصلا؟!

وختاما نقول: إن القول بوجود جن (عفاريت) بهذه القدرات التي يزعمون، يؤدي إلى التشكيك في آيات الأنبياء، و في كل شيء في هذه الدنيا، فربما تشكل جنٌ و قام بفعل هذه الأشياء، وربما يكون الأنبياء قاموا بهذه الآيات بواسطة الجن. أما مع القول بوجود ملائكة وشياطين، ليس لهم تدخل مادي في دنيانا، لأن لهم عالمهم ولنا عالمنا فلا إشكال ولا لبث على الإطلاق!

القرآن .. والجن

لقد قال الرب العليم أن كتابه مفصل ومحكم، وإذا قُبل اختلاف الأفهام في بعض المسائل الفرعية، فإنه من غير المقبول وقوع الاختلاف حول أصل التكليف، لذا فإننا سنسأل القائلين بأن الجن مخاطب بالقرآن، بأشكال عدة، متى وأين كُلفوا؟ وهل يجوز الاستنباط في التكليف، أما لا بد من وروده بخطاب صريح، لذا فإننا ندعو القارئ للتفكر في النقاط القادمة[98]:

1– ما خاطب القرآن إلا الناس، فلم يخاطب الجن قط، فلماذا لم يقل "يا أيها الجن"، أليسوا مكلفين مثل الناس على قولهم؟

[98] إحقاقاً للحق فإن الجماعة الأحمدية (القاديانية) هي من لفتت انتباهي إلى هذه النقطة، وهذه الأدلة منقولة من بعضه كتبهم، بتصرف كبير.

2- أنزل الله كل الكتب لتحكم بين الناس، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ... ﴿٢١٣﴾﴾ [سورة البقرة, ٢١٣]، فلم لم ينزل الله العليم كتباً لتحكم بين الجن أو الاثنين؟

3- خاطب الله بني آدم في القرآن أربع مرات في الدنيا ومرة في الآخرة، ولم نجد أنه خاطب بني الجن أو بني النار قط.

4- يضرب الله الأمثال للناس فقط، ﴿... وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النّور, ٣٥]، فلم لا يضرب أمثالاً للجن تناسب طبيعتهم؟

5- بيّن الله آياته للناس فقط، ﴿... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة البقرة, ١٨٧]، فلم لم يبيّنها للجن؟

6- أنزل الله القرآن والكتب نوراً وهدى للناس، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة, ١٨٥]، ﴿... قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ ... ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنعام, ٩١]، فلم لم ينزل كتباً هدى للجن؟

7- الأنبياء والرسل أرسلوا من الناس للناس فقط: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ ... ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة يوسف, ١٠٩]، فلماذا لم يرسل الله رسلا إلى الجن؟

8- سيحاسب الله الناس فقط، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنبياء, ١]، ألن يحاسب الجن؟

9- أين كان هذا الجن المؤمن في مواقف الشدة، التي كان يحتاجه المسلمون فيها؟ ولماذا لم يتدخل الجن الكافر كذلك نصرةً للكافرين؟ نحن لم نجد أي ذكر في هذه المواقف إلا للملائكة أو الشيطان! فمثلا: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنفال, ١٢]، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأنفال, ٤٨] فأين هؤلاء الجن المؤمن أو الكافر؟

10- قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب, ٧٢] فهذه الآية تصرح بأن الإنسان هو الذي حمل الأمانة، فلو كان الجن –كما يدعون– خلقٌ مستقل مخاطبٌ بالقرآن، فهذا يعني أنها نست الجن!!

11- قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم, ٣٠]

فالله تعالى جعل الدين الفطرة التي فطر الناس عليها، و لم يقل أنه فطر الجن عليها، أفلا يكون من التكليف بما لا يُطاق، أن نطالب الجن بالإيمان بما هو غير مفطور عليه؟

فهذه أدلة كثيرة على أن الجن غير مخاطب بالقرآن ، فلا يمكن لأحد –ممن يقول بأن الجن خلقٌ مستقل– أن يدعي أن الله يخاطب الناس، ويعتبر الجن مخاطباً بالجملة، فالإيمان والكفر والأوامر من الله لا توجه إلى الخلق بالإشارة والتضمن والتلميح، بل تكون صريحة لا وجه لأي لبس فيها.

فالسادة العلماء قالوا: هناك خلق مختلف مكلف ومخاطب بالقرآن اسمه الجن، ولكنا لم نجد الله يذكر هذا التكليف أبداً، فالله يخاطبنا نحن ثم نصر على أن هناك خلقٌ آخر داخلٌ معنا في هذا الخطاب، فما دليلنا على هذا الإدعاء؟!!

الجن .. والجزاء

من المنطقي –تبعاً لقولنا، الذي يقول أن الجن هم القادة المستكبرون المستعلون– أن يكون الجن في الآخرة في النار، وهذا ما وجدناه فعلاً في كتاب الله تعالى، فهم يُذكرون دوماً في النار، ولم يُذكروا مرة واحدة في الجنة.

ولقد سبّب هذا الأمر للقائلين بالجن الناري المكلف إشكالية كبرى، فإذا كانوا مكلفين مثلنا، فلماذا لا يوجد لهم ذكرٌ في الجنة؟! فهل سيعاقبون فقط على معصيتهم ولا يثابون على طاعتهم إلا النجاة من النار؟

بسبب هذه المسألة اختلف العلماء في ثواب الجن اختلافاً واسعا، ويعرض لنا المحدث بدر الدين الشبلي الآراء حول هذه المسألة، فيقول: "اختلف العلماء في الجن هل لهم ثواب على قولين: فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار. ثم يقول لهم: كونوا تراباً مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة. حكاه ابن حز وغيره عنه. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن عمر والضبي، حدثنا عفيف بن سالم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم قال: ثواب الجن أن يُجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا. (...) القول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية، وهو قول ابن أبي ليلى ومالك. وذكر ذلك مذهباً للأوزاعي وأبي يوسف ومحمد. ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل فقال: نعم لهم ثواب وعليهم عقاب، وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك. (...) اختلف العلماء في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال: (أحدها): أنهم يدخلون الجنة، وعليه جمهور العلماء (...) (القول الثاني): أنهم لا يدخلونها بل

يكونون في ربضها يراهم الإنس من حيث لا يرونهم. (...) (القول الثالث): أنهم على الأعراف، وفيه حديث مسند. (...) (القول الرابع): الوقف ...[99]" اهـ

وكما رأينا فلقد أتت كل جماعة من العلماء برأي لا دليل عليه، حتى أننا وجدنا من يقول أنهم يدخلون الجنة ولا يأكلون ولا يشربون! ومنهم من قال أننا نراهم ولا يروننا –على خلاف الحال في الدنيا!!–، وهي أقوال ما أنزل الله بها من سلطان، لذلك توقف بعض العلماء في هذه المسألة، فعدل الله يقول أنه من المفترض أن يثابوا كما أثيب البشر، لكن لا ذكر لإثابتهم في الكتاب، لذلك توقفوا! والذين قالوا أن الله يعاقبهم ولا يثيبهم يبطلون فضل الله تبارك وتقدس، أفلا يكفيهم أنه كلفهم ما لا يناسبهم، فيجعلونه يعاقبهم ولا يثيبهم؟!

وكما رأينا فهي إشكالية كبرى أوجدها قولهم أن الجن جنس غير البشر، أما على قولنا فلا إشكال ولا تعارض بحمد الله. يضاف إلى ذلك أننا لم نجد للجن ذكرٌ عند جهنم، فالذكر الحكيم يقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [سورة مريم, ٦٨]

فكما رأينا فالبشر والشياطين يحضرون حول جهنم جثيا، ثم ينزع من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا، وهذا يسبب لهم إشكالية مماثلة وهي أن الجن لم يُحضروا! أما على قولنا فلا إشكال وذلك لأن الجن طائفة في الجنسين!

ولأن المعنى الذي نقول به سيظل مستغرباً ومرفوضاً من القارئ، وذلك لأنه يرى أن آيات القرآن التي تتحدث عن الجن، لا تتحدث بحال عن بشر، فالنعوت المذكورة لهم، ليست لبشر وإنما لكائنات أخرى.

[99] بدر الدين الشبلي، آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، ص.72–75.

لذا سنعرض في الفصل القادم لآيات الجن في القرآن، لنبيّن له كيف أنه يقرأها قراءة سطحية، يتبع فيها من سبقه، وكيف أن القرآن لا يقول بما يقولون به، وكيف أنهم لم يكونوا "يفسرون" النص القرآني.

كما سنعمل على فض الاشتباك بين الآيات التي تتحدث عن شياطين الجان –والذين كانوا ملائكة– والآيات التي تتحدث عن جن البشر، مظهرين كيف أن المفسرين قد صبغوا جزءً كبيراً من الكتاب العزيز بصبغة الخرافة.

الفصل الثالث: الجن في القرآن

سورة الجن

بعد هذا التمهيد الطويل والذي عرضنا فيه للتصورات الإسلامية حول الكائنات السمعية عامة، والإشكاليات المتعلقة بها، نصل إلى النقطة الحاسمة وهي تناول الآيات المتعلقة بالجن في القرآن، لنثبت أنها إما في بشر أو في شياطين.

وأبرز ما يستدل به القائلون أن الجن المذكور في القرآن كائنات غير بشرية هو سورة الجن، فالنعوت المذكورة فيها –من وجهة نظرهم– لا تنطبق على البشر.

لذا سنتناول هذه السورة لنبين أن القراءة المألوفة لهذه السورة هي قراءة سطحية للسورة، تخالف منطوقها في الكلمات المحورية، التي ينبني عليها القول ببشر أو بكائنات أخرى. سنتناول السورة مقدمين الصورة العامة للسورة، والتي تظهر الوحدة الموضوعية لها، والآية البيّنة فيها –والتي لم يشغل أرباب الرأي الآخر أنفسهم في البحث عنها!–، كما سنقدم تناولا دقيقاً لمفردات السورة، يأخذها كما هي فلا يجعل حرفاً مكان حرف ولا كلمة مكان كلمة.

ونترك للقارئ في نهاية المطاف الحرية الكاملة في إتباع أي القولين، ذلك الذي يخالف منطوق الآيات أم الذي يأخذها كما هي.

وعلى الرغم من أن إثبات أن الجن في سورة الجن بشر، دليلٌ كاف على أن الجن في باقي السور بشر كذلك، إلا أننا سنتناول باقي الآيات حتى لا يكون في نفس القارئ شيء منها، وحتى لا يقع ضحية التفسيرات الخرافية لها، وكذلك حتى لا تكون الآيات التي تتحدث عن الشياطين متكأً لمن يقول بالجن.

وقبل أن نبدأ نشير إلى أننا لسنا أول من قال أن الجن في القرآن بشر، فهناك من سبقنا إلى ذلك، منهم الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف المصري الأسبق[100]، إلا أننا نخالفهم في أننا نقول أن الجن المذكور في القرآن منهم بشر ومنهم شياطين –كانوا في الأصل ملائكة–، أما هم فيقولون أنهم كلهم بشر.

التصور العام لسورة الجن

يقرأ عامة المسلمين سور القرآن كآيات متناثرات، لا يربطها رابط ولا يجمعها جامع، إلا ما كان من اتصال بين بعض الآيات، ظاهر لكل ذي عينين، فإن لم يوجد فلا حرج فهي مجموعة آيات كونت سورة، لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها! أما نحن فنرى أن آيات كل سورة متصلة ببعضها بعضا، منطوية تحت موضوع واحد، تتناوله السورة من زوايا عجيبة.

ولا يقتصر الأمر على آيات داخل السورة نفسها، وإنما يتعدى الأمر إلى اتصال كل سورة بسابقتها ولاحقتها، في بدايات وخواتيم السور، –فنجد أن بداية السورة مناسبة لخاتمة ما قبلها– وكذلك محتوى السورة نفسه، نجد فيه اتصالاً وتفصيلا لمحتوى السورة السابقة بدرجة ما[101].

فلما نظرنا في سورة الجن ظهر لنا وحدتها الموضوعية والصورة التي تقدمها، وسنبدأ بتقديم الموضوع الذي قدمته السورة، ثم نقدم التصور العام لها:

---

[100] يرى الدكتور محمد البهي أن عالم الجن والملائكة واحد، أما نحن فنرى أن الجن هم السادة المستكبرون في البشر أو الملائكة أو الشياطين، ولقد بحثت كثيرا عن تفسيره لسورة الجن والذي قال فيه أن الجن بشر، لأنظر ماذا قال وكيف وجّه الآيات، إلا أنني لم أجده!

[101] عرضنا لهذه القضية في كتابنا: القرآن سورة واحدة، جزء عم نموذجا، لمسألة الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وبيّنا أن لكل سورة وحدة موضوعية، والفارق بين ما قدمناه وقدمه غيرنا في هذا الموضوع –مثل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله– أنهم قالوا بأن السورة تناقش موضوعات عدة متناسبة متناسقة، أما نحن فنقول أن السورة تناقش موضوعا واحداً فقط، يندرج تحته عددٌ من العناصر. والكتاب موجود على موقعنا الخاص: www.amrallah.com

الموضوع الرئيس للسورة هو أن الغيب بيد الله، وأنه هو الذي سيحقق وعده للنبي بالنصرة وبنزول العذاب بالمشركين، فإن لم يؤمن به مشركو مكة، فإن الله ناصره بغيرهم، فقد آمن به كبارٌ من غيرهم، عندما اكتشفوا ضلالهم بعد سماعهم القرآن، لذلك فعلى النبي ألا يضعف ويخضع لطلبات المشركين بالكف عن الدعوة أو الإشراكُ بالله، وعليه الاستمرار في البلاغ! وأن لا يتضايق من سؤالهم عن ميعاد نزول العذاب بهم، فالله وحده هو علام الغيوب، وهو من يقدم له الإشارات التي تعلمه بقرب تحقق الوعد، ليعلم النبي أنه وإخوانه قد أبلغوا رسالات ربهم وأنه أحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا. والبديع في هذه السورة أنها في أثناء حديثها عن تفرد الله بالغيب، كشفت وسائل الكهان ورجال الدين، وبينت أنهم لا يعلمون الغيب، وإنما لهم وسائلهم من التسمع والنظر في الكون حولهم، والتي تساعدهم على اكتشاف ما قد يخفى عن الناس، وليس هذا علماً بالغيب وإنما رجماً بالغيب!

وبعد أن عرّفنا القارئ بالموضوع الذي تناقشه السورة، نقدم له التصور العام لها.

جاء نفر من الكهنة أو رجال الدين المسيحي متخفيين إلى النبي الكريم ليستمعوا القرآن فلما سمعوا، قالوا –مخاطبين غيرهم– أنهم سمعوا قرآنا عجبا، وأنهم لما سمعوا القرآن اكتشفوا ما هم عليه من الشرك، فآمنوا بالله وأعلنوا أنهم لن يشركوا بالله، وآمنوا أن الله منزه عن الصاحبة والولد، وأن سفيههم –كبيرهم– كان يقول على الله شططا، وأنهم ظنوا أن الأتباع والسادة (الدينيون ورجال المال والحكم) لن يتقولوا على الله، وأن الأتباع الذين كانوا يعوذون بالقادة لم ينفعوهم وإنما زادوهم رهقا، وأنهم ظنوا كما ظننتم أنه لا بعث بعد الموت ولا رسول بعد عيسى! وأنا استقصينا وفحصنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (وفي هذا دليل على حدوث شيء عظيم) وأنا كنا نقعد مقاعد لنستمع أخبارها فمن يستمع الآن يجد له شهابا دالا ومشيرا! وأنا لا ندري أأراد الله شراً بمن في الأرض بهذه الشهب (إن لم يؤمنوا بنبيه) أم أراد أنها مجرد علامة إرشاد (إلى وجود نبي وكتاب جديد!) وآمنا أننا لسنا على منزلة واحدة، فمنا الصالحون ومنا دون ذلك، فنحن مختلفون تمام الاختلاف فلا نلتقي أبدا، وأنا

ظننا أن لن نعجز الله في الأرض، ولن نعجزه بهروبنا إلى أي مكان آخر! وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ومن يؤمن بربه لا يخاف بخسا ولا رهقا، وأن من أسلم منّا فأولئك هم الذين تحروا وبحثوا وطلبوا الرشد! وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا!

وهنا ينتهي حديث هؤلاء النفر ويُخاطَب النبي بأن هؤلاء لو استقاموا لسقوا ماء غدقا، ليفتنوا فيه، ومن يعرض عن ذكر ربه ينزل به عذابا صعدا! ثم يُنهى النبي عن دعاء أحد مع الله في المساجد مهما تكالب عليه الكافرون وطلبوا إليه ذلك، وأنه لمّا قام سيدنا عيسى يدعوه اجتمعوا ضده أشد التجمع!

ويؤمر النبي بأن يعلن أنه لن يترك الدعوة إلى الله ولن يشرك به، وأنه لا يملك ضرا لهم وكذلك لا يملك رشدا، وأنه لن يجد أحدا أو شيئا يحميه وينصره إلا أن يأتيه بلاغ من الله يأمره بذلك، ومن يعص الله ورسوله فله نار جهنم خالدا فيها أبدا، وإذا رأى المشركون العذاب نازلاً بهم فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا! ثم يؤمر مجددا بأن يعلن أنه لا يدري أقريب هذا أم يجعل الله له أمدا، فهو وحده عالم الغيب ولا يظهر على غيبه إلا من ارتضى من رسول فإنه يجعل له رصدا، ليعلم الرسول أنه قد أبلغ رسالات ربه وأنه أحاط بما لديه وأحصى كل شيء عددا!

الشيء وما يتضمنه

بعد أن عرضنا للقارئ التصور العام للسورة، والذي قد يكون في نفسه منه شيء، نقدم له الدليل الثاني على أن الجن في السورة ليسوا كائنات أخرى، وإنما هم صنف من البشر. وهذا الدليل هو أن السورة فيها "ثنائيات" عدة، ولكن هذه الثنائيات لم تقم على الشيء ونقيضه أو ضده وإنما على الشيء وما يحتويه! فهذه إشارة إلى أن الجن ليس جنساً مستقلا، وإنما تابعٌ!

وفي هذا يقول الدكتور فاضل السامرائي: "الناظر في السورة كلها يجد أن الله تعالى لم يذكر فيها الشيء ونقيضه أبداً وإنما جاء بالشيء وما يتضمّنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [سورة الجن, ١٠] والرشد ليس مقابل الشر وإنما الخير مقابله والرُشد جزء من الخير. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [سورة الجن, ١١]، قال: "دون ذلك" مقابل "الصالحين" ولم يقل الطالحون، ف (دون ذلك) يمتد في ما هو أقل صلاحاً إلى الفاسد. وكذلك في الآية موضع السؤال "القاسطون" ليست مقابل "المسلمون" وإنما مقابلها "الكافرون"، وكل قاسط كافر وليس كل كافر قاسط، فذكر ما يتضمن لأن "القاسطون" جزء من الكافرين. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [سورة الجن, ١٤-١٥]، ولم يقل: "وأما القاسطون فلم يتحروا رشدا" وإنما قال تعالى: (فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وكذلك في استعمال القاسطون مقابل: من أسلم، في الآية السابقة. فهذا إذن سمْت السورة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾ [سورة الجن, ٢١]، والنفع مقابل الضُرّ وليس الرشد، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾ [سورة الجن, ٢٥]، لم يقل "بعيد" وإنما قال: أمدا، والأمد هو الأجل. فكل السورة ليس فيها شيء ومقابله وإنما يأتي بالشيء وما يتضمنه[102]" اهـ

فكما رأينا فهذه الثنائيات إشارة جلية على أن الجن المذكور في السورة ينطبق عليه نفس الأمر، فهو ليس جنسا مخالفاً للبشر وإنما متضمن فيه! وليست هذه الإشارة هي الدليل الأكبر وإنما الآيات نفسها تقول بذلك، ونبدأ في تناول الآيات التي تؤكد ما نقول به[103].

---

[102] مأخوذ من برنامج لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، والذي كان يُقدم على قناة الشارقة الفضائية.

[103] تناولنا السورة كاملة بتفصيل كبير على صفحات موقعنا: www.amrallah.com وخشية الإطالة اكتفينا بعرض النقاط التي نحتاج على صفحات الكتاب، فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

جن .. مسيحي!

تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [سورة الجن, ١-٣]

أول ما يلحظه القارئ أن هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن آمنوا وقالوا أنهم لن يشركوا بربهم أحداً، وأنه تعالى قدْر الله، فلم يتخذ صاحبة ولا ولدا!

فإذا نظرنا فيما قاله الإمام الفخر الرازي في تناوله لهذه الآية وجدناه يقول: "المسألة الثانية: ﴿نَفَرٌ مّنَ الجن﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة، روي أن ذلك النفر كانوا يهوداً، وذكر الحسن أن فيهم يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين، (...) وكأن هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا أولاً عن الشرك وثانياً عن دين النصارى.[104]" اهـ

أول ما يلحظه الناظر في هذه الآية يجد أن هؤلاء الجن يدينون بواحد من الأديان التي عليها أهل الأرض وهو المسيحية! ولقد قال الإمام الرازي أنهم كانوا خليطا من الأديان لأنهم قالوا لن نشرك بربنا أحدا وأنه ما اتخذا صاحبة ولا ولدا، ففهم أنه كان فيهم مشركون ونصارى! بينما نرى نحن أنهم كانوا مسيحيين، فالمسيحي يشرك بالله عيسى، ويؤمن أنه اتخذ صاحبة وولدا، فلمّا سمع هؤلاء القرآن أعلنوا أن الشرك باطل لذا فلن يشركوا بالله ونزهوه عن الصاحبة والولد! ولنا أن نتساءل: كيف اقتنع الجن بالنصرانية المحرفة؟ ألم يكونوا قد رأوا السيد المسيح يدعو إلى الله، -تبعاً للرأي الذي يقول أنهم يعيشون أعماراً جد طويلة- ورأوا بولس يغيّر ويُحرف؟ ورأوا الإمبراطور قسطنطين يُطعم ديانته الوثنية بالنصرانية؟ فلماذا وكيف آمنوا بها؟! وحتى على فرض عدم درايتهم بهذا، فلماذا يؤمنون بالنصرانية أصلا، إذا كان المسيح-تبعا للمسيحية الحالية- قد

---

(104) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الثلاثون، ص.136-137.

افتدى بدمائه خطايا البشر –وليس الجن–، وحرر البشر من خطيئة آدم الأصلية والتي يولدون محملين بها، وليس الجن؟! فما الذي يقنع الجن أن يؤمنوا بهذا الأمر الذي لا علاقة لهم به، إلا إذا كان آدم أبوهم كذلك!!

وحقيقة لست أدري كيف أقنع إبليسُ الجن بعقيدة الفداء والصلب المزعومة، والتي لا شأن للجن بها؟! فهل قال لهم أن الله –تعالى جده وتنزه– تجسد (تجنن أو تعفرت) وافتدى بدخانه خطايا الجن التي ورثوها عن إبليس؟! إن المسيحية دين لا يخاطب إلا البشر! فلماذا يؤمن به الجن؟!

ما هي السورة التي استمعوا إليها؟!

على الرغم من اشتهار واقعة الجن، وكم ما قيل حولها، إلا أننا لم نجد من المفسرين من اعتنى بهذه المسألة، وهي: ما هي السورة التي استمع إليها الجن فآمنوا وعرَفوا أن هذا كتاب سماوي وليس كلاما أرضيا، وظهر لهم قدْر الله ونزهوه عن الصاحبة والولد؟

العجيب أننا لم نجد من يجيب هذا السؤال! ومن أجابه قال أن السورة التي استمعوا إليها كانت سورة العلق! ولست أدري ما علاقة سورة العلق بإبطال الشرك والنصرانية؟! إن السورة التي استمع إليها هؤلاء النفر يفترض أن يكون فيها كلمة: قرآن! وأن تكون تتحدث عن الشرك والنصرانية وتتحدث عن الله العظيم، فما هي هذه السورة؟

بعد نظر طويلٍ في كتاب الله رجحت أن تكون هذه السورة هي سورة الأنعام، ويحتمل أن تكون كذلك سورة الكهف! وإن كنت أميل إلى كونها الأنعام! فسورة الأنعام هي سورة مكية، وفيها حديث طويل عن الله وعن قدرته وخلقه، كما أنها تعرضت للشرك والمشركين في آيات عدة وأبطلته. بالإضافة إلى أنها السورة الوحيدة في القرآن التي ذُكر فيها "الصاحبة" –بالإضافة لسورة الجن بداهة–: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ

يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾] سورة الأنعام, ١٠١[كما أن الجن ذُكر فيها في ثلاثة مواطن، فلهذا كله رجح عندي أن تكون الأنعام.

وقلنا باحتمالية أن تكون السورة هي سورة الكهف استناداً إلى التشابه الكبير بين كلمات السورتين، بالإضافة إلى الكلمات التي لم تُذكر إلا في السورتين! فمن تلك التماثلات أن الجن ينزهون الله عن الصاحبة والولد: ﴿... مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾] سورة الجن, ٣[وفي سورة الكهف: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾] سورة الكهف, ٤[في الجن: ﴿... قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾] سورة الجن, ١[وفي الكهف: ﴿... مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾] سورة الكهف, ٩[في الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾] سورة الجن, ٤[في الكهف: ﴿... لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾]سورة الكهف, ١٤[في الجن: ﴿... وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾] سورة الجن, ٢٢[في الكهف: ﴿... وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾] سورة الكهف, ٢٧["[105]

ومن يقرأ سورة الكهف يعلم أنها تبدأ بإنذار الذين قالوا اتخذ الله ولداً (المسيحيون ومن على شاكلتهم) وذكرت قصة لنفرٍ فروا بدينهم إتباعا للرشد وفراراً من الضلال! وعن رجل ابتُلي بالرزق والمال، وعن نبي جُعل له علامة ليصل إلى عبد آتاه الله علما من لدنه، وعن رجل أتاه الله سببا فأتبع سببا! (ونطلب إلى القارئ أن يتذكر هذه النقاط التي ذكرناها فسيجد مثلَها في الجن) وبفضل هذا التشابه استطعنا وضع النقاط على الحروف في هذه السورة، فهؤلاء النفر الذين أتوا إلى الرسول هم من النصارى، خرجوا باحثين عن الحق، مستندين لعلامة ظهرت لهم، كما خرج سيدنا موسى ليصل إلى

(105) التشابه بين السورتين كبير جدا، ولقد ذكرنا هنا جزء يسيراً منه، ويمكن للقارئ استكمال باقي التشابهات على صفحات موقعنا الشخصي.

العبد الصالح، ولما سمعوا القرآن أيقنوا ببطلان دينهم، وعادوا لينذروا قومهم كما أنذر الرجلُ صاحبَ الجنتين الذي اغتر بما عنده.

رجال الجن

نواصل تناول آيات سورة الجن، فنصل أول آياتها المحورية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [سورة الجن, ٦] وهذه الآية دليلٌ جلي على أن هؤلاء الجن كانوا بشراً، بدليل أنهم كانوا رجالاً، فهل في الجن رجال؟! وحتى لا يظل في نفس القارئ من الآية شيءٌ، سنعرض له ما قاله الإمام الفخر الرازي في تناوله للآية ثم ننقد قوله.

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره: "فيه قولان: الأول: وهو قول جمهور المفسرين أن الرجل في الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه. فيبيت في جوارٍ منهم حتى يصبح. وقال آخرون: كان أهل الجاهلية إذا قحطوا بعثوا رائدهم، فإذا وجد مكاناً فيه كلأ وماء رجع إلى أهله فيناديهم، فإذا انتهوا إلى تلك الأرض نادوا نعوذ برب هذا الوادي من أن يصيبنا آفة يعنون الجن، فإن لم يفزعهم أحد نزلوا، وربما تفزعهم الجن فيهربون. القول الثاني: المراد أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس أيضاً، لكن من شر الجن، مثل أن يقول الرجل: أعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي، وأصحاب هذا التأويل إنما ذهبوا إليه، لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجن، وهذا ضعيف، فإنه لم يقم دليل على أن الذكر من الجن لا يسمى رجلاً، ...[106]" اهـ

إذا كان الإمام الفخر الرازي قال: "لم يقم دليل على أن الذكر من الجن لا يُسمى رجلا"، فنحن نقول: وما الدليل على أن الجن يتكون من ذكور وإناث؟! لم يقم دليل

[106] المرجع السابق، ص.138.

كذلك على هذا الأمر؟ إن وطء الأنثى للذكر ليس هو الشكل الوحيد للتكاثر في الطبيعة، فهناك كائنات تنقسم مثل البكتريا، فلماذا يكون الجن كذلك؟!

وإذا كانوا قالوا أن الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لاختلاف تركيبهم عن البشر، فلماذا قبلوا هذا مع الجن، والذي هو قريب جداً منهم؟! وعلى افتراض أن الجن يتكون من ذكور وإناث، –مع أن هذا من لوازم الكائنات الأرضية اللحمية– فلماذا يُسمى ذكرهم البالغ رجلاً؟ ما سُمي الرجل رجلا إلا لرجْله، لأنه يسعى على رجله –والتي هي أقوى أعضائه– طلبا للرزق أو لمبتغاه، فهل الجن كذلك يمشون على أرجلهم، ويسعون طلبا للرزق عليها؟!

بغض النظر عن هذا كله فإن الآية لم تقل من ماذا كان رجال الإنس يتعوذون برجال الجن، –على خلاف كل آيات القرآن والتي ذُكر فيها المتعوذ منه– إلا أن الآية قالت أنه بسبب هذا التعوذ ازداد رجال الجن رهقا! وهذا يعني أن رجال الجن أصلا كانوا مرهقين وزادهم هذا التعوذ رهقا! ولنا أن نتساءل: لماذا كان رجال الجن مرهقين أصلا، ثم زادهم هذا التعوذ رهقا؟! أما على قولنا أن الجن هم الأكابر (سواء كانوا كبار رجال الدين أو رجال المجتمع أو أكابر مجرميها!) فإن هؤلاء أصلا يحملون على أكتافهم أوزار ومسئولية أتباعهم الذين يضلونهم ويسوقونهم كالأنعام، فإذا نزلت بهم النازلة هُرع هؤلاء إليهم ليعوذوا بهم منها، بدلا من أن يعوذوا بالله، فيزداد هؤلاء رهقاً على رهق!

لمس السماء

نصل الآن إلى الآيتين الفاصلتين في سورة الجن، واللتان هما أقوى أدلة القائلين بالجن الناري، وهما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [سورة

الجن ,٨-٩] فيقولون إن الجن يلمس السماء، ويقعد منها مقاعد للسمع، وتغير الحال بعد الرسول فمن يقعد يُحرق بشهاب! فكيف يكون هؤلاء بشَرا؟

والحق أن النظرة السريعة تقول بنفس ما يقولون به، ولكن الناظر في كتب التفسير يجد أن هذا القول قد سبب للمفسرين كثيرا من الإشكاليات في هاتين الآيتين، ومن ثم لم يجدوا بداً من الانحراف عن النص القرآني!

وحتى يظهر للقارئ الكريم المواطن التي خالف المفسرون فيها النص القرآني، فسنعرض ما ذكره الإمام الفخر الرازي عند تناوله لهاتين الآيتين، ونتبعه بنقد لما يقول، حتى يظهر من يلوي النصوص ويخالفها، ثم نقدم بعد ذلك فهمنا لها: "اللمس: المس فاستُعير للطلب لأن الماس طالب متعرف يقال: لمسه والتمسه، ومثله الجس يقال: جسوه بأعينهم وتجسسوه، والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شداداً. (...) أي كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب، .." (لم يقل الله تعالى: حاولنا وإنما قال: يستمع، وهذا يعني أنهم لا يزالون يستمعون! فلم ينقطع الأمر! —عمرو—) وفي قوله: ﴿شِهَاباً رَّصَداً﴾ وجوه، أحدها: قال مقاتل: يعني رمياً من الشهب ورصداً من الملائكة، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير شهاباً ورصداً لأن الرصد غير الشهاب وهو جمع راصد. (وقول مقاتل مخالف لكتاب الله فلا يعتد به!) وثانيها: قال الفراء: أي شهاباً قد أرصد له ليرجم به، وعلى هذا الرصد نعت للشهاب، وهو فعل بمعنى مفعول. وثالثها: يجوز أن يكون رصداً أي راصداً، وذلك لأن الشهاب لما كان معداً له، فكأن الشهاب راصد له ومترصد له ..."[107] اهـ

(وليس رصداً بمعنى راصد وإنما هي: رصد، ولتتذكر أن الله تعالى قال في آخر السورة: يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. ليعلم ...، فالرصد سبب ووسيلة للعلم، أمّا المفسرون فجعلوه سببا للهلاك!!) وكما رأينا فقد فهم الإمام الفخر الرازي —وباقي

(107) المرجع السابق، ص.139.

المفسرين– بعض الكلمات على غير ما جاءت به! لذا نبدأ في تقديم فهمنا لها كما هي: أول ما نبدأ به هو كلمة: "اللمس"، وكما رأينا فلقد جعل الإمام الفخر الرازي الكلمة بمعنى المس، وليس الأمر كذلك فليس اللمس مسا، ولقد فرق القرآن بينهما، فلقد ورد المس في إحدى وستين آية، بينما لم يرد اللمس إلا في خمس آيات! وشتان ما بين الرقمين[108]! وكذلك لم يرد اللمس إلا في قليل من الأحاديث النبوية، فهل نجعلهما في نهاية المطاف متساويين؟ إن اللمس –كما يظهر من المعاجم اللغوية– يأتي بمعنى "المعالجة والطلب"[109] فإذا نظرنا في تاج العروس ألفينا الزبيدي يقول: "والمُلامَسَةُ: المُمَاسَّةُ باليَدِ كاللَّمْسِ وقال ابنُ الأَعْرَابِيّ: ويُفَرَّقُ بينَهُما فيُقَال: اللَّمْسُ قد يكونُ مَسَّ الشَّيْءِ بالشَّيْءِ ويكون مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ وإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَسٌّ لجَوْهَرٍ عَلَى جَوْهَرٍ[110]" اهـ

ومما جاء في معناه في معجم لسان العرب: "... وفي الحديث: من سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلماً أَي يَطلبُه، فاستعار له اللَّمْس، وحديث عائشة: فالْتَمَسْتُ عِقْدِي. والْتَمَسَ الشيءَ وتَلَمَّسَه: طَلَبَه. الليث: اللَّمْس باليد أَن تطلب شيئاً ههنا وههنا [111]"اهـ

وكما جاء في القاموس المحيط: "لَمَسْنا السماءَ" عالَجْنا غَيْبَها، فَرُمْنا اسْتِراقَهُ.[112]" اهـ

فلو كان المعنى المراد هو المألوف عند الناس "للمس" لقال الله تعالى: "مسسنا السماء" وليس "لمسنا السماء"[113] ولو كان المعنى كما يقولون لكان التصور ساذجاً،

---

[108] يمكن للقارئ الكريم تتبع المواطن التي ورد فيها المس في القرآن وسيجد أنها تُستعمل في المواطن التي نستعمل نحن فيها اللمس!

[109] ونخرج من هذا المعنى أن المراد من اللمس في قوله تعالى " أو لامستم النساء" ليس الوطء كما قال الفقهاء .

[110] المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء السادس عشر ، ص.487.

[111] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، المجلد الخامس، ص. 4073.

[112] محمد الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص.739.

[113] لكي يدل اللمس على المس لا بد من التخصيص والتحديد مثل التحديد باليد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ... ﴿٧﴾﴾ [سورة الأنعام ,٧]، ويظل على الرغم من ذلك زائدا على معنى "المس" متضمنا معنى الفحص والخبْر.

يظهر السماء كأنها جسمٌ، يتسابق الجن ليمس هذا الجسم، وعند مسه وجدوا الحرس والشهب! ولنا أن نتساءل: لماذا يلمسون –بالمعنى الخاطئ للكلمة– السماء؟ ألم يكن من الأفضل ألا يلمسوها ويظلوا يستمعون في أمان؟!! أم أنهم لا يستطيعون السمع إلا إذا التصقوا بالسماء؟

وإذا قال القائل: ليس المراد اللمس، وإنما الاقتراب حتى كأنهم لمسوها! نقول: ليس هذا معنى اللمس، وإنما هو بمعنى الطلب والمعالجة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ... ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد,١٣] وكما جاء في الحديث: "التمس ولو خاتما من حديد"، "من سلك طريقا يلتمس فيه علما ..." فيظهر لنا أن اللمس ليس بمعنى المس وإنما بمعنى الطلب والبحث عن الشيء! فإذا تركنا "لمسنا" وانتقلنا إلى "حرسا" وجدنا أن الإمام الفخر الرازي –وعامة المفسرين– قد جعلها بمعنى الحراس، ولكنا نجد أن الله تعالى ينعتها بقوله: "شديداً" وهذا يعني أن هذا الحرس مفرد! والكلمة لم ترد في القرآن كله إلا في هذا الموضع، ولم ترد في السُنة إلا في مواطن جد قليلة! والمعنى المشهور لها، من المعاني المتأخرة الظهور، فإذا نظرنا في لسان العرب، ألفينا ابن منظور يقول: "والحَرَسُ حَرَسُ السلطان، وهم الحُرَّاسُ، الواحد حَرَسِيٌّ، لأَنه قد صار اسم جنس فنسب إِليه، ولا تقل حارِسٌ إِلا أَن تذهب به إِلى معنى الحِراسَة دون الجنس. (...) وحَرَسَ الإِبل والغنم يَحْرِسها واحْتَرَسَها: سرقها ليلاً فأَكلها، وهي الحَرائِس. وفي الحديث: أَن غِلْمَةً لحاطب بن أَبي بَلْتَعَةَ احْتَرَسُوا ناقة لرجل فانتحروها. وقال شمر: الاحْتِراسُ أَن يؤْخذ الشيء من المرعى، ويقال للذي يسرق الغنم: مُحْتَرِس، ويقال للشاة التي تُسْرَق: حَرِيسَة. الجوهري: الحَرِيسَة الشاة تسرق ليلاً. والحَرِيسة: السرقة. والحَرِيسَة أَيضاً: ما احْتُرِس منها. (...) ويقال للشاة التي يدركها الليل قبل أَن تصل إِلى مُراحِها: حَرِيسة.[114]" اهـ

[114] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، المجلد الخامس، ص. 833.

فكما رأينا فإن الحرس يدور حول الأخذ أو الخطف ليلا! والناظر في لسان العرب يجد أن أكثر المعاني التي ذكرها ابن منظور تدور في فلك هذا المدلول.

فإذا تركنا الحرس وانتقلنا إلى الآية التالية وجدنا أن السادة المفسرين قد خلطوا خلطاً شديدا بين خطف الشياطين واستراق السمع، وقعود هؤلاء مقاعد!

فلأن الله قال في حق الشياطين: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [سورة الصّافّات, ١٠]، ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [سورة الحجر, ١٨] **قالوا أن المراد أن هؤلاء مثل أولئك، وأنهم كانوا يقعدون مقاعد للسمع! ولست أدري كيف! إن الله تعالى قال أن النجوم والشهب رجوم للشياطين من أول الخليقة، فكيف كان هؤلاء يقعدون ... مقاعد؟!**

إن القعود لم يأت في القرآن كله إلا بمعنى المكث الطويل –بغض النظر عن الهيئة التي يكون عليها الإنسان–، بينما يشير الخطف والاستراق –المذكوران في حق الشياطين– إلى السرعة، فكيف كان الجن يقعد مقاعد؟!

وحتى يظهر المعنى الأصلي للقعود، نذكر بعضاً من أهم المواطن التي ذكر فيها القعود في القرآن: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ... ۝٥﴾ [سورة التوبة, ٥]، ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ[115] لِلْقِتَالِ ... ۝١٢١﴾ [سورة آل عمران, ١٢١]، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ [سورة

(115) عندما تناول الإمام الفخر الرازي هذه الآية في تفسيره قال: "وقوله ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أي مواطن ومواضع، وقد اتسعوا في استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [سورة القمر, ٥٥] وقال: ﴿... قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ... ۝٣٩﴾ [سورة النمل, ٣٩] أي من مجلسك وموضع حكمك، وإنما عبر عن الأمكنة هاهنا بالمقاعد لوجهين الأول: وهو أنه عليه السلام أمرهم أن يثبتوا في مقاعدهم لا ينتقلوا عنها، والقاعد في مكان لا ينتقل عنه فسمى تلك الأمكنة بالمقاعد، تنبيهاً على أنهم مأمورون بأن يثبتوا فيها ولا ينتقلوا عنها البتة. والثاني: أن المقاتلين قد يقعدون في الأمكنة المعينة إلى أن يلاقيهم العدو فيقوموا عند الحاجة إلى المحاربة فسميت تلك الأمكنة بالمقاعد لهذا الوجه.

الماندة, ٢٤]، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ [سورة الأعراف, ١٦]، ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [سورة التوبة, ٤٦]، ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ... ٨١﴾ [سورة التوبة, ٨١]

ولقد ذكر الإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [سورة القمر, ٥٥]، كلاما طيباً يهدم ما يقولون به، ويجزم بأن القعود لا بد أن يكون مكثاً طويلا. وسنكتفي بذكر أهم ما قال: "قوله: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ... ٥٥﴾ [سورة القمر, ٥٥]، يدل على لبث لا يدل عليه المجلس، وذلك لأن قعد

وجلس ليسا على ما يُظن أنهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، بل بينهما فرق ولكن لا يظهر إلا للبارع، والفرق هو أن القعود جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء، ويدل عليه وجوه: الأول: هو أن الزمن يسمى مقعداً ولا يسمى مجلساً، لطول المكث حقيقة ومنه سُمي قواعد البيت والقواعد من النساء قواعد، ولا يقال لهن: جوالس، لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل، فذكر القواعد في الموضعين لكونه مستقراً بين الدوام والثبات على حالة واحدة. ويقال للمركوب من الإبل: قعود، لدوام اقتعاده اقتضاء، وإن لم يكن حقيقة فهو لصونه عن الحمل واتخاذه للركوب كأنه وجد فيه نوع قعود دائم اقتضى ذلك ولم يرد للإجلاس. (...) إذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والقعود حصل لك فوائد منها هاهنا فإنه يدل على دوام المكث وطول اللبث،...[116]" اهـ

وكما رأينا فإن القعود يكون بمعنى المكث الطويل، فكيف إذا كان الله قد أكدها ب: مقاعد، فل يقل: نقعد، وإنما قال: نقعد مقاعد! فكيف كانوا يظلون هذه الفترات بدون أن يُقذفوا من كل جانب، وبدون أن تتبعهم الشهب؟!

[116] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد التاسع والعشرون، ص.71.

فإذا تركنا معنى القعود تماما –حتى لا يجادل فيه مجادل– وجدنا أن الآية تقول أنهم لم يكونوا في السماء! فالله تعالى لم يقل: كنا نقعد فيها مقاعد، وإنما قال: كنا نقعد منها مقاعد، وشتان بين الاثنين! فعندما يقال عن رجل: قعد منها مقعد الرجل من زوجه، فهذا لا يعني أنه أصبح بداخل المرأة أو فيها، وإنما تعني أنه اتخذ مقعدا قبالتها بشكلٍ ما!

فإذا تركنا "منها" وجدنا أن الله تعالى لم يقل أنهم انقطعوا عن السماع، وإنما أصبح يحصل أشياء غريبة للمستمع!

والمفسرون عند تفسيرهم قالوا أن المعنى فمن يحاول الاستماع الآن، بينما قال الله: فمن يستمع الآن، (لاحظ أنه لم يقل: فمن يقعد الآن) وهذا يعني أنهم كانوا لا يزالون يستمعون!

وعندما يستمع المستمع "يجد له شهابا رصدا"، والعجب كل العجب أن المفسرين جعلوا الشهاب الرصَد بمعنى الشهاب الراصد أو المعد لحرق المستمع!

كما أنهم لم ينتبهوا إلى "يجد له"، وجعلوها فاقدة المعنى، إن الجني هو الذي يجد الشهاب، كما أن هذا الشهاب له وليس عليه أو ورائه (لاحظ أن الشياطين الذين يسترقون السمع يتبعهم شهاب ثاقب مبين، أما هؤلاء فالواحد منهم يجد... له)

إن العجب كل العجب أن يقول الجن عندما يُقذفون بالشهب! أنهم لا يدرون أشر أريد بمن في الأرض أم رشدا، ما شأن أهل الأرض بذلك؟! إن الضر واقعٌ بهم، وليس بأهل الأرض! فمن المفترض أن يقولوا: وأنا لا ندري هل غضب الله علينا أم أننا سنُمنع من قرب السماء؟! إن الحالة الوحيدة التي يمكن أن يقول الجن فيها هذا هي أن تكون الوظيفة الوحيدة لهم في حياتهم أن ينقلوا الأخبار إلى الكهنة!

وطالما ليس الأمر كذلك، ومن المفترض أن لهم حياتهم الخاصة فمن العجب كل العجب أن ينسوا أنفسهم ويذكروا أهل الأرض! كم هم ودودون هؤلاء الجن الذين يخافون علينا أكثر من أنفسهم!

أما على قولنا نحن فالجن هم نفر من أهل الأرض –كهنة من النصارى– أرادوا أن يؤكدوا لقومهم صدق قولهم بظهور نبي جديد صادق، فقالوا أنهم فحصوا السماء فوجدوها ملئت أخذا وخطفا شديدا وشهبا، فلما رأوا ظواهر غير مألوفة تحدث في السماء أخذوا في البحث ليعرفوا هل حدث شيء عظيم وبسببه حدث هذا التغير في السماء. وذكروهم بأنهم كانوا في الماضي يقعدون مقاعد لسمع هل نزل من السماء شيء أو حدث شيء، –ولم يُر ولم يُسمع شيئا– فمن يستمع[117] الآن يجد له شهابا يُترقب به حدوث شيء!

وأنا لا ندري أأُريد شر بمن في الأرض بهذه الشهب، إن هم لم يؤمنوا بالرسول، أم أراد الله بهم رشداً، بأن يرشدهم بهذه الشهب إلى ظهور النبي وصدقه!

ثم تتواصل الآيات التي تؤكد أنهم بشر –نصارى–، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجن, ١١-١٥]

فالآيات تصرح أنهم بشر، فيأبي المفسرون إلا أن يجعلوهم كائنات أخرى، ونعرض نموذجا لذلك.

[117] لاحظ أن الله تعالى قال في أول السورة: "قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن" فالجن لما سمعوا قراءة الرسول كانوا "يستمعون"، فهم خرجوا طلبا لسماع ما سمعوا عنه!

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره للآيات: "و{هَرَباً} فيه وجهان: الأول: أنهما حالان، أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. (من أين أتى الإمام الفخر الرازي بهذه الجملة؟ ليس لها أي وجود في الآية؟) والثاني: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً، ولن نعجزه هرباً إن طلبنا. (...) وقوله تعالى: {بَخْساً وَلاَ رَهَقاً} البخس النقص، والرهق الظلم، (...) السؤال الثاني: الجن مخلوقون من النار، فكيف يكونون حطباً للنار؟ الجواب : أنهم وإن خلقوا من النار، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحماً ودماً هكذا، قيل : وههنا آخر كلام الحسن...[118]" اهـ

فكما رأينا فلقد اضطُر الإمام الفخر إلى زيادة جملة من عند نفسه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ١٢﴾ [سورة الجن, ١٢]، فتكلم: عن السماء! مع أن النص يتكلم عن الأرض، ومن غير المنطقي أن يتكلم الجن عن الأرض إذا كانوا يطيرون في الأرض ويمسُّون السماء!!

وكذلك لمّا كان قوله تعالى: كانوا لجهنم حطبا، يسبب إشكالاً لهم، اضطر الإمام الفخر الرازي إلى قبول القول الذي يقول أنهم تحولوا إلى لحم ودم! وهذا ما نقول به أصلا بدون أي حديث عن التحول! فهم بشر والقاسطون منهم كانوا لجهنم حطبا!

أما نحن فنقول: استمر هؤلاء النصارى في تذكير قومهم بحالهم، فذكروهم بأنهم –كإسرائيليين– منهم الصالحون ومنهم أمم دون ذلك، –كما قال الله في حقهم: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ ... ١٦٨﴾ [سورة الأعراف, ١٦٨] وأنهم كانوا طرائق متباينة مختلفة متناحرة، لكلٍ منها هواها! وأنا ظننا

[118] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الثلاثون، ص.141-142.

أن لن نعجز الله في الأرض[119] التي قُطعنا وتفرقنا فيها، ولن نعجزه بالهرب، ففي أي مكان سيأتي بنا الله.

وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا (فهؤلاء كان عليهم إصر وأغلال طالما كانوا على شريعة موسى، وبإتباعهم شريعة محمد لا يخافون بخسا ولا رهقا) ويواصلون تذكير قومهم بما هم عليه، فهم ليسوا فقط صالحين ودون ذلك، بل منهم مسلمون وقاسطون، فمن أسلم فأولئك تحروا[120] رشدا، وأما القاسطون[121] الجائرون (الذين قسموا الكتب فآمنوا ببعضها وكفروا ببعض) فأولئك كانوا لجهنم حطبا!

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ⁂١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ⁂١٧﴾ [سورة الجن, ١٦-١٧]

وتستمر الآيات التي تؤكد بشرية هؤلاء، فيقول الله أنهم لو استقاموا على الطريقة على الطريقة الحقة، –بدلاً من اختلاف طرائقهم– التي جاء بها موسى وعيسى، لسُقوا ماءً

---

[119] قد يرى بعضهم أن هذه الآية دليل على أن المتحدث من الجن، فهي تدور حول إعجاز الله، والبشر لن يظنوا هذا الظن! إلا أن الناظر في القرآن يجد كثير من الآيات تتحدث عن نهي البشر عن التكبر والظن أنهم سيفوتون الله، مثل قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ [سورة الأنعام, ١٣٤]، ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ... ٢﴾ [سورة التوبة, ٢]، "أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ٢٠﴾ [سورة هود, ٢٠]، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٢٢﴾ [سورة العنكبوت, ٢٢]

[120] من معاني التحري كما جاء في اللسان: "... طَلَبُ ما هو أَحْرَى بالاستعمال في غالب الظن، كما اشتق التَّقَمُّن من القَمِين. وفلان يتَحَرَّى الأَمرَ أَي يتَوَخّاه ويَقْصِده. والتَّحَرِّي قصْدُ الأَوْلى والأَحَقِّ، مأْخوذ من الحَرَى وهو الخَليقُ، والتَّوَخِّي مثله. وفي الحديث: تحَرَّوْا ليلةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأَواخِرِ أَي تعَمَّدوا طلبها فيها.." اهـ

[121] القسط كما جاء في اللسان: "القِسْطُ الحِصَّةُ والنَّصِيبُ. يقال: أَخذ كل واحد من الشركاء قِسْطَه أَي حِصَّتَه. وكلُّ مِقدار فهو قِسْطٌ في الماء وغيره. وتقَسَّطُوا الشيءَ بينهم: تقسَّمُوه على العَدْل والسَّواء. والقِسْط، بالكسر: العَدْلُ، والإِقْساطُ العَدل في القسْمة والحُكم؛ يقال: أَقْسَطْتُ بينهم وأَقسطت إِليهم. وقَسَّطَ الشيءَ: فرَّقَه، ويقال: قَسَّطَ على عِيالِه النفَقةَ تَقْسِيطاً إِذا قَتَّرَها"، والناظر في القرآن يجد أن الله قد أثنى على المقسطين فقال في أكثر من موطن: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾ [سورة الحُجُرات, ٩]، بينما توعد القاسطين هنا بالوعيد الشديد، والفرق بين القاسط والمقسط أن المقسط يعطي لغيره أما القاسط فهو يقتطع ويأخذ لنفسه! وأخطر ما يكون فيه الاقتطاع هو كتاب الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ... ٩١﴾ [سورة الأنعام, ٩١]

غدقا! وهذه النعمة لا تكون إلا للبشر، فهل سينعم الله على الجن الناري بالماء الغدق؟!

وبهذه الآيات نكون قد أنهينا الجزء المختص بالجن، وكما رأينا فهي كلها تتحدث عن بشر يعيش في الأرض، سيسقى ماءً غدقا، وباقي الآيات تخاطب الرسول الكريم وتذكره بما حدث لعبد الله عيسى[122] عند دعوته الله.

وقبل أن ننهي تناولنا لهذه السورة، نعرض لآيات آخر السورة، حتى يتأكد القارئ أن الشهاب الذي يجده المستمع هو له وليس ضده!

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ[123] أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الجن, ٢٦-٢٨]

فهنا نجد أن الله تعالى يقول أنه يسلك لمن ارتضى من رسول "رصدا"، وهذا الرصد ليس ليعذب الرسول وإنما ليعلم، أي أن وظيفة الرصد هو الإعلام، وكذلك كانت الشهب للجن إشارة تعلمهم بحدوث شيء جلل!

---

[122] المشهور أن المراد من "عبد الله" في الآية هو الرسول الكريم، ولكن الآية تخاطب الرسول وتقول له أنه لما قام عبد الله، فمن المفترض أن يكون عبد الله هذا شخصاً آخر، والوحيد الذي سماه الله في القرآن "عبد الله" هو عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم, ٣٠]، فهذا تذكير بعبوديته رداً على من أشركوه بالله وجعلوه ابنا له

[123] لاحظ أن الله تعالى لم يقل أنه يُظهر من ارتضى من رسول على الغيب، وإنما قال: فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا!

أي أن الله لا يُظهر على غيبه أحد، والاستثناء هم من ارتضى من الرسل (وليس كل الرسل) ولا يعني كونهم استثناءً أنه يظهرهم على غيبه، وإنما يسلك بين يدي من ارتضى منهم ومن خلفه رصدا!

وغيب الله الذي نفاه الله عن البشر وعن الملائكة هو الثلاثة أصناف التي جاءت في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان, ٣٤]، وبما أن الساعة مستبعدة، فيكون الأقرب هو الحديث عن عدم دراية الموت!

فيكون الأنسب للسياق في الرد على المشركين الذين يسألون أين ومتى ينزل العذاب فنهلك، القول بأن الله لا يُظهر على غيبه، (وهو محل وزمان نزول الموت بالإنسان وماذا يكسب في غده) أحدا، إلا من ارتضى الله من رسول، –مكافأة له– فإنه يرسل إليه لإشارات ودلائل كثيرة، تجعله يترقب وفاته، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وأدوا ما عليهم فلم يبق شيء، وليطمئن إلى أن الله أحاط بما لديهم، وأحصى كل شيء عددا.

وبهذا نكون قد أنهينا هذه السورة وأظهرنا كيف أنها تتحدث عن بشر لا عن كائنات خارقة، وأظهرنا كيف أن القراءة المجتزأة للسورة، والتي لا تتبع النص القرآني صبغتها بصبغة خرافية.

مُلك سليمان في الكتب القديمة

بعد أن تناولنا سورة الجن، والتي كانت وقائعها في زمان النبي المصطفى، ننقل رحالنا عبر التاريخ إلى زمن سابق، لنحل عند النبي الصالح الملك سليمان الحكيم، لما له من ارتباط وثيق بمحور حديثنا: الجن.

ذلك الملك الذي دعا الله القدير دعاءً فريداً: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ص ,٣٥] فحقق الله له مبتغاه وأتاه ملكاً عجيبا، وقص علينا في كتابه طرفاً من أخبار هذا الملك، وحيك حوله الكثير والكثير من الأساطير في تراثنا الإسلامي!

وسنعرض في عجالة لسيدنا سليمان ولملكه في الكتب القديمة، قبل أن نعرض للآيات التي ذُكر فيها الجن مع سيدنا سليمان عليه السلام.

السورة الوحيدة التي أُفرد لسيدنا سليمان جزءً كبيرا منها هي سورة النمل، ومما ذُكر في هذا السورة أن سيدنا سليمان كان له جيش من الجن والإنس والطير، وأنه فهم كلام النملة وخاطب الهدهد، وهي قدرات خارقة.

إلا أننا وجدنا من يستغرب مثل هذه الأمور ويقول أن كتب اليهود والنصارى ليس فيها أي ذكر لهذا، وهم يعملون دوما على التفخيم والتهويل، فلماذا يخفون أمراً كهذا، من المنطقي أن ينفخوا فيه لا أن يخفوه!! وينسى هؤلاء أن اليهود يحملون في أنفسهم بغضاً خاصا لسيدنا سليمان، حتى أنهم قد كفّروه، ولقد نقل لنا القرآن هذه الفرية

وكيف أنهم تقولوا عليه الأقاويل، وأنه ما كفر وإنما أحبارهم هم الذين كفروا، بجعلهم هذا الباطل موجوداً في كتبهم ونسبته إلى الله العليم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ... ١٠٢﴾ [سورة البقرة, ١٠٢] فلهذا لا عجب أن لا نجد ذكراً لهذا الملك الواسع في كتب اليهود المعتمدة. ولأن ما ذكره القرآن كان واقعا موجوداً يوماً من الأيام، فمن غير الممكن أن يُخفى كليةً، وبالفعل وجدنا في كتب اليهود غير المعتمدة ذكراً لهذا الملك، وإن كان بتحوير وتهويل –وهذا هو الفارق بين الصياغة البشرية والصياغة الإلهية–.

فنجد أن الترجوم الثاني من سفر استير يقول: "إن القدوس جعل سليمان حاكما لجميع الشياطين والوحوش الضارية والأرواح الشريرة وهي خاضعة له.

والقرآن لم يقل أنه سخر له كل الحيوانات، وإنما كانت الطيور فقط في جيشه –وكان تسخيرها بشكل مألوف–، كما أنه لم يقل أنه سخر لسليمان جميع الشياطين والأرواح الشريرة، وإنما قال أن بعضهم كان يعمل بين يديه، بدليل قوله: ﴿... وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ ... ١٢﴾ [سورة سبإ, ١٢]

"كما ان كتاب (عهد سليمان) الذي يعود للقرن الأول الميلادي قد ذكر: "أن خادم سليمان في الهيكل يأتيه الشيطان أورنياس ويأكل أكله، وأن سليمان الملك أعطى هذا الخادم خاتمه، وطلب منه أن يضرب به الشياطين ويختمهم به ليسخرهم لخدمته" (وبهذا نعرف أصل أسطورة: خاتم سليمان. –عمرو–) ومن الأساطير المدونة في هذا الكتاب أن شيطان الريح المدعو **Ephippas** كان يتعاون مع شيطان البحر الأحمر المسمى **Abezithbod** في جلب عمود من الأرجوان من البحر الأحمر، وهذا مطابق لما جاء بالآية 82 من سورة الانبياء: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [سورة الأنبياء, ٨٢]، وقد ورد في الآية 37 من سورة ص "وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ [سورة ص, ٣٧]، وهذا يؤيد

ما جاء بكتاب (عهد سليمان) اليهودي من أن سليمان سخّر الشياطين لبناء الهيكل ومنهم الشيطان ازموداي ...[124]" اهـ

فكما رأينا فالقصص القرآني حول سيدنا سليمان له أصل في كتب اليهود القديمة، ولم يختف تماما من تراثهم! ولا يقتصر الأمر على ما ذكرنا، وإنما يتعداه إلى قصته مع النملة ومع الهدهد، وإن ظهرتا بشكل مختلف.

وذُكرت هاتان القصتان –وغيرهما– في التلمود البابلي، ونبدأ بعرض –تعريب– نص قصته مع النملة ثم نثني بقصته مع الهدهد: "تاهَ سليمان في أحد المرات في وادي النملِ أثناء رِحلاتِه، فسَمعَ نملةِ تأمر كُلّ النمل الآخر بالتَرَاجُع، لتَفادي السْحَقَ بجيوشِ سليمان، تَوقّفَ الملك واستدعىَ النملةَ التي تَكلّمتْ، فأخبرتْه أنّها ملكةَ النملِ، وأنها أصدرت أوامرها بالانسحابِ.

أرادَ سليمان تَوجيه سؤال إلى ملكةِ النملةَ، لَكنَّها رَفضتْ الإجابة ما لم يرفعها الملك ويضعَها في يَدِّه. فرَضخَ، وبعد ذلك قدّم سؤالَه: "هَلْ هناك أحد أعظم مِنْي في كُلّ العالمِ؟ " فأجابت النملةَ "نعم". فسأل سليمان: "من ؟" فأجابت النملة" :أَنا" فقال سليمان: "كيف يكون هذا؟" فقالت النملة: لو لم أكن أعظمَ منك، لما كان الله سيَقُودُك نحوى لتضْعني على يَدِّك"

ومما جاء كذلك في التلمود البابلي: "سليمان، كما يجب أن يُعرف، لم يحكم على الأنس فقط، بل وعلى وحوش البر وطيور الجو والشياطين والأرواح وأشباح الليل أيضا، لقد عرف لغاتهم كلهم وهم عرفوا لغته. (...) في أحدى المناسبات أفتقد سليمان الهدهد من بين الطيور، ولم يستطع أحد أن يجده في أي مكان، فأمر الملك بغضب أن يؤتى به ويعاقب على تكاسله. فظهر الهدهد وقال: "مولاي، ملك العالم، أصغ بأذنيك وأنصت لكلامي. فقد مضت ثلاثة أشهر منذ أن بدأت بالتشاور مع نفسي لأحدد لنفسي خطة لعملي. لم أتناول خلالها طعاما ولا شربت ماء لأتمكن من

[124] صباح إبراهيم، مقال في موقع الحوار المتمدن، بعنوان: تشابه القرآن مع ما جاء في كتب الأقدمين!

الطيران حول أرجاء العالم لأرى أن كان هنالك بقعة في أي مكان من العالم لم تخضع لسلطان مولاي الملك. ولقد وجدت مدينة، وهى مدينة كيتور، في الشرق. التراب الذي هناك أعلى قيمة من الذهب، والفضة كأوحال الطرق، أشجارها نبتت منذ بداية العالم، وهي تمتص الماء الذي ينبع من جنة عدن. المدينة مملوءة بالرجال. وعلى رأسهم يوجد امرأة تسمى ملكة سبأ. أسعد كلام الهدهد الملك. فجمع موظّفي أرضه. وكتبوا رسالة وربطوها بجناح الهدهد. صعد الطائر إلى السماء، أطلق صيحة و طار بعيدا ،متبوعا بكل الطيور الأخرى." اهـ

ونكتفي بهذا القدر من القصة، ولعل القارئ قد لاحظ الفرق بين الصياغة القرآنية وبين هذه الصياغة القصصية المعتمدة على المبالغة والتفخيم.

ونلفت انتباه القارئ إلى أن القرآن صرح بأن سيدنا سيلمان عندما دعا الله أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، أُعطي شيئان اثنان فقط، هما: الريح: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة ص ,٣٦] وصنف مخصص من الشياطين، وهو البنّاءون والغواصون منهم: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ص ,٣٧]، أما ما عدا ذلك فليس مما تفرد به سليمان، وهو مما أُعطي وسيُعطى لغيره.

وبما أننا نتكلم عن تسخير الريح، فنشير إلى الخرافة التي ارتبطت بها وهي: بساط الريح! تلك الخرافة التي قالت أن الجن صنعت لسيدنا سليمان بساطاً جد كبير، وكان يركبه هو وجيشه، ويأمر الريح بنقلهم حيث شاء!

وعلى الرغم من أن المفسرين لم يقبلوا بهذه الخرافة، إلا أن تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ... ﴿١٢﴾﴾ [سورة سبإ ,١٢] حمل قدرا كبيرا من الخرافة لانحرافهم عن النص! فلقد قالوا أن المراد من "غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" أنها تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الروحة مسيرة شهر! وهكذا جعلوا الغُدُو

بمعنى الغَدْو، والرواح بمعنى الروحة! ولست أدري كيف لم ينتبهوا إلى أن "الغُدُو" جمع وليس مصدرا! وكذلك الرواح جمع! ومفردهما الغدوة والروحة من المشتهر، كما جاء في حديث النبي الشهير: " ... واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة!"

ولقد وردت كلمة الغُدُو صريحة في بعض آيات في الكتاب الكريم، منها: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [سورة الأعراف, ٢٠٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الرّعد, ١٥]

فكيف قبلوها هناك جمعاً وجعلوها هنا مصدراً؟! إن المعنى الظاهر أنها تجري شهرا ذاهبة إلى الأرض التي بورك فيها وشهرا آيبة، لا أن جريها في الغدوة الواحدة مسيرة شهر –بمقياس الإنسان!–.

شياطين أم نجارون؟!

قبل أن نبدأ حديثنا عن الجن في سورة سبأ نطرح السؤال الحتمي: هل كان الجن الذي سُخر لسيدنا سليمان بشرا –مهرة محترفين– أم كانوا من كبار الشياطين القادرين؟!

وتأتي الإجابة بأن الله تعالى أجاب طلب سيدنا سليمان أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده بأن سخر له الشياطين كل بناءٍ وغواص! فلو كانت الشياطين بشراً بأي شكل من الأشكال –كما يرى أصحاب الرأي القائل بأن الشياطين هم العمال المهرة، الذين أرسلهم ملك صور الفينيقي حيرام إلى سليمان– فكيف يكون هذا ملك لا ينبغي لأحدٍ من بعده؟!

إن هؤلاء مجموعة من النجارين والنحاتين المُعارين، أو حتى أي عمال آخرين وُجد وسيوجد من هو أفضل منهم، ومن يستطيع أن يأتي بما هو أحسن، مع التطور العلمي المتراكم. ثم إن كتب اليهود القديمة التي عرضت لسيدنا سليمان ذكرت أن الله سخر له الأرواح الشريرة –الشياطين–، فيكون هذا دليلاً مؤكداً لما نقول!

وقد يستدل بعضهم بأن الله تعالى قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾ [سورة ص, ٣٨]، فيقولون: هل من الممكن أن تُقرن الشياطين في الأصفاد؟ إن البشر أو الحيوانات هم ما يُقيد بالقيود، أما الشيطان فلا يمكن لأنه سيعود إلى حالته الأصلية "النارية الهوائية"، ومن ثم يهرب من القيود. فنقول: ليس هذا مما خفي على العلماء فلم ينتبهوا إليه، والإمام الشبلي ذكر توجيهاً لهذه الآية فقال: "قد قدمنا أن مذهب المعتزلة أن الجن أجسام رقاق ولرقتها لا نراها، وعندهم يجوز أن يكثف الله أجسام الجن في زمان الأنبياء دون غيره من الأزمنة وأن يقويهم بخلاف ما هم عليه في غير أزمانهم. (قال القاضي) عبد الجبار: ويدل على ذلك ما في القرآن الكريم من قوله تعالى في قصة سليمان بن داود عليهما السلام: "إنه كثفهم له حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى كانوا يعملون له الأعمال الشاقة من المحاريب والتماثيل والجفان والقدور الراسيات، والمقرن في الأصفاد لا يكون إلا جسماً كثيفاً[125]" اهـ

ويجب أن نتذكر أن تدخل الجن في العالم كان بإذن الله عز وجل، وكان تسخيرهم بأمره، فمن كان يزيغ عن أمره يذاق من عذاب أليم، ومن ثم فلم يكن للجن أن يهربوا، فلو تخلصوا من القيود لذاقوا أشد العذاب، فهم يرضون بالعذاب الأقل.

هذا إذا قلنا أن الأصفاد قيود حديدية، وهذا هو أصل الإشكال، فلمّا ظنوا أنها قيود حديدية قالوا أنها لا تفلح في تقييد الجن وإعاقة حركته، ولنا أن نتساءل: ما المانع أن تكون الأصفاد من مادة أخرى؟ فإذا كان الحديد يقيد الإنسان، فما المانع أن تكون قيودهم من شيء يعيقهم؟!

[125] بدر الدين الشبلي، آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، ص.34.

وبهذا يكون سيدنا سليمان قد سُخر له الريح –التي تهلك الحضارات وتحمل السحاب بالماء– وعُمال بقدرات لا مثيل لها في البشر، وهم مهرة الشياطين، فبهذا يكون قد أوتي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

ثم ما فائدة قوله تعالى: ﴿... وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ [سورة سبإ, ١٢] فهل عمل جماعة من البناءين يكون بإذن الله، وهل يكون عاقبة الزائغ في البناء أن يُذاق من عذاب السعير؟!

أما على قولنا فإن قوله "بإذن ربه" إشارة إلى أن الجن/الشياطين غير مأذون لهم بالعمل المادي في عالمنا، وعمل هؤلاء لسيدنا سليمان كان حالة استثنائية بإذن الله لهم في ذلك التدخل في عالمنا! وكانوا مجبرين على هذا العمل!

الجن في سبأ .. وأعماله

كما رأينا فإن الجن الذي سُخر لسيدنا سليمان كانوا من كبار الشياطين –الذين كانوا ملائكة– وإذا قلنا بهذا فمن المنطق أن نتساءل: لماذا سخرهم الله الحكيم؟ هل سخر الله تعالى كبار الجن لسيدنا سليمان، ليفعلوا الأشياء التي ذكرها المفسرون تفسيراً للمحاريب والتماثيل والجفان كالجواب والقدور الراسيات؟ تبعاً لأقوال المفسرين فإن تسخيرهم كان ضرباً من ضروب العبث، تعالى الله عن ذلك، ومن ثم فالواجب أن ننظر إلى تسخيرهم بعين الحكمة، ونتساءل: لماذا؟!

تأتي الإجابة بأن الملك الذي لا ينبغي لأحدٍ يكون بعلمٍ لا ينبغي لأحد، ولقد أعطى الله سيدنا داود وسليمان علماً عظيما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ... ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ

ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾] سورة النمل, ١٥-١٦] أعطاه علماً يسبق الزمن الذي وُجد فيه سيدنا سليمان بمراحل عديدة، وأعطاه فهما وعقلاً عظيما، حتى أنه عُرف بسليمان الحكيم!

كما يسّر له مواداً خاما، لم تكن ميسرة قبله، -وإن كان من بعده سيستخدمونها- فأسال الله له عين القطر! ومن العجب كذلك أن المفسرين يقولون أن القطر هو النحاس! ولست أدري كيف يكون النحاس عينا؟! إن النحاس لا يوجد بأي حال بشكل سائل في الطبيعة، والله عز وجل لا يقول أنه جعل له النحاس سائلا -حتى نقول أنها آية له- وإنما يتكلم عن إسالة عين القطر، وهذا يعني أنها كانت أصلا عيناً والله تعالى أسالها لسيدنا سليمان!

والذي أراه والله أعلم أن عين القطر هي إما "البترول" عامة أو القطران خاصة، فالبترول يوجد في الأرض على شكل سائل، ومن الممكن استعماله في صناعات عدة!

وإذا كان سيدنا سليمان يستطيع أن يأتي -بما حباه الله من علم ومواد- باختراعات عظيمة، فإنه كان يحتاج إلى عمال ذوي قدرة خارقة، يستطيعون أن ينفذوا له ما يبتكر ويخترع، لأن التقنيات التي كانت متاحة في زمانه بالإضافة إلى البشر الموجودين في ذلك العصر لم يكونوا صالحين لتنفيذ التطبيقات العلمية التي سيقول بها سيدنا سليمان، لذا سخر الله تعالى له الجن، لما لهم من قدرات "جسدية!" وليس عقلية! قادرة على تنفيذ تلك الأشياء البديعة التي سيبتكرها.

لاحظ أن الله تعالى قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ ... ﴿١٣﴾] سورة سبإ, ١٣]، فالجن لم يكن يخطط أو يصمم، وإنما سيدنا سليمان هو من كان يخطط ويرسم، وليس للجن أي دور سوى التنفيذ (أنفار!). ولم يكن تنفيذ الأمور التي يطلبها سيدنا سليمان بالأمر اليسير بالنسبة لهم، وإنما كانت شاقة عسيرة، حتى أنهم نعتوها بعد موت سيدنا سليمان ب: العذاب المهين.

فإذا نظرنا في الأشياء التي بنتها الجن لسيدنا سليمان، وجدنا أن أول شيء بنته الجن هو المحاريب، فما هي هذه المحاريب؟ المحاريب هي جمع محراب، فإذا نظرنا في كتب التفسير بحثاً عن معناها وجدنا أن المفسرين قد ذكروا أقوالاً عدة فيها، فقيل أنه القصر، وقيل أنه مكان مخصص للعبادة، وقيل أنها المساكن ... وغير ذلك من الأقوال.

إلا أنه من الواجب علينا أن نتساءل: لماذا يسخر الله تعالى الجن لتبني هذه الأشياء لسيدنا سليمان؟ إنها من الأشياء المألوفة في كل الحضارات، لذا فعلينا أن نتفكر فيها لنصل إلى أقرب مدلول محتمل. محراب: على وزن مفعال، وهو اسم آلة مثل مفتاح ومسمار ومنشار ومثقاب وملقاط ... الخ.

ولقد ذُكر المحراب في القرآن كمكان للعبادة في أكثر من موطن، منها: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ... ﴿٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران, ٣٩]

ولكن هل تُسخر الشياطين لبناء أماكن العبادة؟!

تميل نفسي إلى أن المحاريب هي من عتاد الحرب، (اسم آلة من: حرب)، فيمكن القول بأن المحاريب هي أبنية مخصصة للحرب (قلاع، حصون أو ما شابه). والذي يدلل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة ص, ٢١]

فلقد تسور هؤلاء الخصم المحراب، وهذا يعني أنه مبنى ذو أسوار، ولمّا دخلوا على داود فزع منهم، أفلا يكون في هذا إشارة إلى ظنه أنهم من الأعداء الذين اقتحموا حصناً هو فيه، وليس مجرد أنهم دخلوا عليه في مكان عبادته؟! الله أعلى وأعلم!

فإذا تركنا المحاريب وانتقلنا إلى ثاني ما عمله الجن لسيدنا سليمان، وهو التماثيل، فعلينا أن يتوقف لنتفكر: لماذا تعمل الجن تماثيل لنبي؟! هل هي اختراع حديث؟ ألم تكن التماثيل موجودة من قبل سيدنا سليمان؟ ألا يستطيع سيدنا سليمان ومن معه أن

يصنعوا تماثيل؟ قد يقول قائل: ربما صنعت له الشياطين تماثيل عظيمة جدا لا يقدر على صناعتها! فنقول: إن هذا أدعى إلى تقديسها فيما بعد، ... ثم أين هي؟!!

إن السؤال البديهي: لماذا صناعة التماثيل أصلا؟ ألم تنه التوراة عن اتخاذ صورة؟ ألا تجر هذه التماثيل العظيمة إلى الشرك؟ فهل لنا أن نقول أن المراد من التمثال ليس فقط الصنم على شكل إنسان أو حيوان، وإنما "البناء على مثال غيره" فهل كانت الجن تبني له صوراً مصغرا من حصون الأعداء، أو تقلد له بعض الأشكال الطبيعية، حتى يعرف طبيعة البلاد التي سيذهب إليها؟ الله أعلم!

وهل لنا أن نقول أن التمثال هو "إنسان آلي"؟! فما هو تمثال إلا أنه متحرك؟

قد يستغرب القارئ هذا القول ويعده من سعة خيال الكاتب، ولكن الناظر في كتب التفسير يجد بعض التلميحات إلى هذا الأمر، فمن ذلك ما ذكره الإمام الألوسي في تفسيره: "وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن ابن عباس أنه قال في الآية: اتخذ سليمان عليه السلام تماثيل من نحاس، فقال: يا رب انفخ فيها الروح فإنها أقوى على الخدمة، فينفخ الله تعالى فيها الروح فكانت تخدمه واسفنديار من بقاياهم؛ وهذا من العجب العجاب ولا ينبغي اعتقاد صحته، وما هو إلا حديث خرافة[126]" اهـ

ومن ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره:"وقيل: إن هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فنها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولايحيك فيهم السلاح. ويقال: إن إسفنديار كان منهم، والله أعلم[127]" اهـ

وما ذكره الإمام القرطبي أكثر تحديدا، فلو نعتنا ما قاله بلغتنا المعاصرة لقلنا أن الرجال من النحاس الذي يقاتلون في سبيل الله ولا يؤثر فيهم السلاح هو جنود آليون! فهل كانت تماثيل سليمان جنود آلية؟ الله أعلم! وبالإضافة إلى المحاريب والتماثيل

[126] محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الجزء الثاني والعشرون، ص.118–119.

[127] أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الجزء الرابع العشر، ص.272.

قام الجن بعمل جفان كالجواب، وقال المفسرون أن الجفان جمع جفنة وهي قصعة الطعام العظيمة.

ونحن نتساءل: ما الفائدة من قصاع كبيرة، هل هذا ما ينتصر به الجيش في المعركة أو من معالم التقدم العلمي، أن يجتمع الناس على طبق كبير؟!

إن هذا القول أشبه ما يكون بمن يقومون بأفعال عجيبة، فيصنعون مثلاً أكبر فطيرة أو أكبر كوب عصير، لمجرد أن يدخلوا موسوعة الأرقام القياسية! ومعاذ الله أن يكون النبي الكريم يصنع أشياء لا حكمة فيها ولا نفع للناس[128]! والله أعلم لماذا كانت هذه الجفان! وإن كنا نميل إلى أنها كانت أحواضا ضخمة تخزن فيها المياه، التي تنزل من الأمطار أو تنحدر من على الجبال[129]؟! وكذلك صنعوا له قدوراً راسيات، وقال المفسرون أن القدور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه من فخار أو غيره، وهي ثابتات لا تتحرك من مكان الإيقاد عليها لكبرها ولعظمها، التي قيل أنها كانت كالجبال.

ونحن نتساءل كذلك: ما الحكمة من صنع قدورٍ راسيات وما العظمة فيها؟! إن احتمالية خسران الطعم فيها أكبر، فلو فسدت طبخة واحدة لضاع الطعام العظيم!

وهناك من قال أن المراد من القدور الراسيات هو المفاعلات النووية، استناداً إلى أنها شبيهة بالقدور –وابحث في الشبكة المعلوماتية عن صور للمفاعلات النووية إذا كنت لا تعرف هيئتها، تجدهما متشابهين!– ونحن نرى أن صاحب هذا الرأي قد أبعد النجعة، فلم ينتبه إلى أن الله تعالى قال في حق هذه القدور أنها راسيات ولم يقل أنها ثابتات! والرسو لم يستعمل في القرآن إلا مع الجبال، وذلك لأن أصولها الممتدة في باطن الأرض لا تستند إلى قاعدة ثابتة وإنما هي راسية في ذلك اللب السائل!

---

[128] هناك من قال أن المراد من الجفان هي الأطباق اللاقطة الكبيرة، وأن سيدنا سليمان هو أول من امتلك طبقا لاقطا كبيرا، مثل تلك التي نراها في المراصد الأوروبية الكبيرة!

[129] الجوابي جمع جابية وهي حوض الماء العظيم، وهناك حديث في البخاري عن أنس يحكي حال المدينة بعد مطر عظيم فيقول: "حتى صارت المدينة كالجوبة"

ونحن نستعمل الرسو كذلك مع السفن، لأنها ترسو في الماء بجوار الشاطئ! فهل يمكننا القول أن قدور سيدنا سليمان الراسيات كانت في البحر؟ فهل كانت قدوراً يستخرج بها شيئاً من البحر؟ أم أنه كان يستغل البحر في الحصول على الطاقة من أجل "غلي" أو معالجة المواد الموجودة في تلك القدور؟! الله أعلم.

وعلى أي حال فإن قول الله العظيم: "راسيات" يشير إلى ارتباطها بالبحر! ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۝٣٧﴾ [سورة ص, ٣٧] فالشياطين كانت تغوص في أعماق البحار لتفعل شيئا لسيدنا سليمان، -غير استخراج اللؤلؤ- فهل احتاج سليمان إلى الشياطين من أجل بناء هذه القدور في البحر؟ الله أعلم!

وبهذا نكون قد عرضنا للأشياء التي صنعها الجن لسليمان، وبيّنا كيف أن المفسرين تعاملوا معها بسطحية وعبثية، أما نحن فأبرزنا لماذا سُخر الجن لسليمان، وماذا كانوا يعملون له -على الأرجح-.

وبهذا نفهم أن الجن المذكور في سورة النمل في جيش سيدنا سليمان هو كذلك من الشياطين، وكان دوره في الجيش نقل المعلومات، والعمل على قذف الرعب في قلوب جيوش الأعداء.

تفسير الدكتور محمد البهي

قلنا أن هناك من قال أن الجن المذكور في القرآن هم بشر يعملون في خفاء، وممن قالوا بهذا القول هو الدكتور محمد البهي، وزير الأوقاف المصري الأسبق.

ونعرض هنا للقارئ تفسيره لآيات سورة النمل، والذي يرى أن الجن فيها هم من البشر -والتي نخالفه بشأنها- ونترك الحكم للقارئ: قال الدكتور محمد البهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾

]سورة النمل ,١٧["في جانب القوة كانت جنوده من الجن والإنس والطير، وكان الارتباط بينها وثيقا، بحيث تمنع من التفرق والانتشار، وتلتزم بالتجمع والنظام، فهم يوزعون، أي يُمنعون من التشتت. ومعنى حشر هذه الجنود هو إخراجها وجمعها عند المسيرة أو السفر من الشام إلى اليمن.. من الشام حيث توجد عاصمة المملكة إلى اليمن حيث توجد سبأ. والجنود من الجن هي التي تعمل في مهمة سرية؛ والجنود من الإنس هي التي تعمل في العلن، والجنود من الطير هي التي تُكلف بالرسائل في المسافات البعيدة.[130]" اهـ

وكما رأينا فلقد قال الدكتور البهي أن الجن هم من نسميهم بلسان عصرنا "رجال المخابرات"!

وهذا الرأي ليس مما تفرد به الدكتور البهي، وكنت أتوقع أن يقول بهذا القول، إلا أن تفسيره للآيات الأخرى هو الذي أثار عجبي! فلقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾] سورة النمل ,٣٨-٤٠[

"وجمع سليمان أصحاب الرأي عنده وطلب إليهم وضع خريطة تصور مملكة بلقيس، كي يستعد لغزوها. وطلب وضع هذه الخريطة وأن تكون جاهزة عنده قبل أن يأتيه الرد منها على رسالته الثانية بالخضوع والقبول. (...) وهنا انبرى واحدٌ من الأقوياء، واسعي الحيلة، وشديد الدهاء، من غير الظاهرين في ملأه، ووعد بأن يأتي بها قبل أن يغادر مكان الاجتماع، وأكد استطاعته على ذلك، وأمانته ودقته في العمل والتنفيذ. (...)

[130] محمد البهي، تفسير سورة النمل، ص.15.

ولكن من كان يعلم الرسم والكتابة بين أهل الرأي في الاجتماع وعده بأن يحضره في أقصر مدة ممكنة، وهي ما يعبر عنها ب "قبل ارتداد الطرف[131]". اهـ

وكما رأينا فلقد جعل الدكتور محمد البهي العرش بمعنى الخريطة أو صورة الشيء! وهو قول عجيب، لم أسمع به من قبل، إلا أنه أظهر الارتباط والمنطقية في ذكر من عنده علمٌ من الكتاب!

وبهذا نكون قد أنهينا الآيات التي تحدثت عن الجن بشكلٍ يُفهم منه أنهم من غير البشر، والتي هي عمدة القائلين بأن الجن المذكور في القرآن كائن ناري مكلف، وبيّنا أنها في البشر أو الشياطين، وليست في جنس ثالث.

إلا أننا لن نكتفي بهذا وسنعرض في عجالة لباقي الآيات التي ذُكر فيها الجن، -بدون أي نعت يجعل كونهم من البشر مستبعدا- ونقدمها للقارئ من منظورنا المخالف، حتى يرى بعينه أن تصورنا حولها أكثر منطقية من التصور الآخر، وأظهر في اتصال الآيات ببعضها!

الجن في سورة الأنعام

أول موطن ذُكر فيه الجن في كتاب الله العظيم كان في سورة الأنعام، وذُكر فيها ثلاث مرات، ونذكر للقارئ الكريم السياق الذي وردت فيه الآيات: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ ... وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [سورة الأنعام, ١٠٠-١٢١]، كما هو جلي، فإن الآيات تتحدث عن أن الظالمين جعلوا لله شركاء، وهؤلاء

[131] المرجع السابق، ص. 19.

الذين جُعلوا شركاء هم الجن! ثم تتواصل الآيات إلى أن تقول أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين بشأن تحريم بعض المطعومات، وأن المؤمنين إن أطاعوهم أصبحوا مشركين! أي أن المؤمن إذا أطاع ولي الشيطان جعله شريكا لله! فيكون هذا دليلا على أن المقصود من الجن هم أولياء الشياطين من البشر، الذين يجادلون في آيات الله، والذين جعلهم فريقٌ من الناس شركاء لله بطاعتهم وهجرهم أمر الله! فعندما أطيعُ مشرعاً يشرع بغير شرع الله يكون هذا شركا بالله!

وننتقل إلى الموطن الثاني، وسنعرض عددا من الآيات حتى يظهر السياق مؤكِداً بشكل قاطع لما نقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝١٢٣ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ۝١٢٤ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ ... ۝١٢٧ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ۝١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾ [سورة الأنعام, ١٢٣-١٣٤]

وكما نرى، فالله تعالى يتحدث عن وجود أكابر مجرمين وأن هؤلاء لا يؤمنون وتصل درجة كبرهم إلى المطالبة بأن يُؤتوا هم الرسالات، ويوم يحشرهم جميعا، أي أكابر المجرمين والناس العاديين، الذين كانوا تبعا لهم (أولياءهم) والمؤمنين، فيخاطب الله

أكابر المجرمين ب: معشر الجن، ويعترف أولياءهم من المستضعفين أنهم انتفع بعضهم ببعض –وليس تلذذ[132]– وبلغوا الأجل الذي جعله الله لهم لإهلاكهم.

والسؤال الذي نطرحه كيف انتفع الجن بالناس وكيف انتفع الناس بالجن، وكيف استكثر الجن من الإنس؟ (تبعا للفهم المألوف) فلهؤلاء عالم ولنا عالم؟! الفهم السطحي جعل الاستمتاع بمعنى التلذذ، وفهموه على أنه زواج الجن من الإنس! على الرغم من أن المتعة لا علاقة لها بالتلذذ!

أما نحن فنقول أنهم ككبار انتفعوا بالصغار، فهم الذين كانوا يقضون لهم رغباتهم، ويساعدونهم على بسط سلطانهم على الآخرين، وفي المقابل كان هؤلاء الصغار يتلقون الفتات من الكبار ويرضون به غنيمة! وهكذا استمر التعاون بين الكبار المجرمين وبين الصغار المعاونين حتى وصلت الأمة إلى الأجل الذي أجله الله فهلكت الأمة بسبب هذا التعاون الآثم! ولو حدث أن كبار المجرمين لم يجدوا أتباعا نعالا لهم، لما استمر لهم بقاء في المجتمع!

ويبين الله تعالى أن الولاية تكون بين من هم على شاكلة واحدة، فهم وإن كانوا صغارا إلا أنهم ظالمون، لذلك تولوا هؤلاء المجرمين الكبار، ولم يتبعوا سبيل الله! ولنا أن نتساءل: ما علاقة زواج الجن بالإنس أو الممارسة الجنسية بينهم بدون زواج بهلاك الأمة؟! أما على قولنا فالعلاقة واضحة فهي أصل الفساد كله.

ثم يعاتب الله تعالى الإنس والجن على أنهم أتاهم رسل منهم، إلا أنهم لم يؤمنوا، وهذه الآية حاسمة للمسألة، فالرسل ما أرسلوا إلا من البشر العاديين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [سورة يوسف, ١٠٩]

[132] من الكلمات التي يُساء فهمها كلمة "متع" فتُفهم بمعنى اللذة! وليست كذلك فهي أصلا بمعنى الانتفاع، ونحن نستعملها في حديثنا أحيانا بهذا المعنى، مثل: متعة المرأة المطلقة، فليس المقصود هنا التلذذ بداهة!

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [سورة النحل, ٤٣]

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [سورة الفرقان, ٢٠]

فالرسل رجالٌ من أهل القرى يوحَى إليهم، وهم يعيشون حياتهم العادية، فهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويموتون فلا يخلدون!

وهنا يقول الله تعالى للإنس والجن أنهم جاءهم رسلٌ منهم، وهذا يعني أنهم جنس واحد "بشر"، ولو كان الجن جنسا غير الإنسان، لكانت الآية غير صحيحة ولقالوا أنهم لم يأتهم منهم أحد؟!

ثم إن الله تعالى يتحدث بعد ذلك عن إهلاك القرى وأنه لا يهلك الغافلين، وإنما يهلك من أرسل إليهم الرسل فكذبوا –كما في آية يوسف– فهل كان الجن يهلكون مع البشر عند نزول العذاب؟! فهل تهلك الريح أو المياه، –التي كان الله يرسلها إهلاكا للأمم– الجن؟!

ثم يبين الله أن لكلٍ درجات وأن الله ليس بغافل، ثم يقول أنه غني وأنه لو شاء لأذهبنا نحن البشر واستخلف بعدنا أي كائن آخر، فلماذا يُذهب البشر ولا يفعل المماثل مع الجن؟ ثم يبين الله لنا أن ما نوعد آت وأننا لن نعجزه. (تذكر آية الجن: وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض)

وكما رأينا فإن هذه الآيات التي تحدثت في هذه السورة عن الجن كانت تقصد بهم "الأكابر" (المترفين) الذين يتصدون للدعوة، ويستكثرون حولهم الأتباع نصرة، وليظهروا بمظهر من هو على الحق، وبيّنت أنه عند نزول العذاب في الدنيا والآخرة فإنه ينزل بالجميع!

الجن في سورة الأعراف

إذا تركنا سورة الأنعام وانتقلنا إلى سورة الأعراف، وجدنا الله العليم يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٥ ... قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ۝٣٨﴾ [سورة الأعراف, ٣٤-٣٨]

تبدأ السورة بالحديث عن آدم وخروجه من الجنة ثم تخاطب بني آدم، وبعد عدة آيات تقول أن لكل أمة أجل، ثم تعود فتخاطب بني آدم أنه من يتقي ويصلح عندما يأتيهم رسول منهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون! أي أن الرسول الذي يأتي سيكون من البشر، وفي الآيات السابقة قال الله أنه لم يرسل إلا بشرا، فيكون للجن حجة على الله، لأنه لم يرسل إليهم رسولا منهم بشرعة تناسبهم!

أما على قولنا فالله تعالى يتحدث عن أمة تهلك عند مجيء أجلها وعندما تدخل النار فإنها تنضم إلى أمم سابقة –مكونة– من الجن والإنس.

ولنا أن نتساءل: متى كوّن الجن (العفاريت) والإنس أمة واحدة؟ لم يحدث هذا عبر التاريخ كله، أما على فهمنا أن الجن هم الأكابر –والذين يكونون غالبا مترفين مفسدين– فتكون الأمم من الجن والإنس، فالله يقول أن القادة والأتباع المخالفين لأمره سيكونون في النار! كلما دخلت أمة لعنت أختها.

ولقد فهم المفسرون قول الله تعالى بالشكل التالي: ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم، أمم من الجن وأمم من الإنس! أي أن الله تعالى يخاطب البشر لينضموا إلى

مثلهم من البشر وغيرهم من الجن! وبغض النظر عن أن الآية لم تقل إلا "أمم ... من الجن والإنس" أي أنه من المفترض أنها مكونة منهم[133]، فإن الآية تقول أن هذه الأمم "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم"، وأن الأمة اللاحقة تلعن السابقة.

فهل عرف البشر أمم الجن ورأوا مهلكم ولم يتعظوا به، أم أنهم رأوا مهلك السابقين لهم ولم يتعظوا به وساروا على دربهم حتى هلكوا مثلهم، لذلك فاللاحق يلعن السابق، والسابق يرى أن اللاحق لم يكن له عليه فضل وأنه يستحق العذاب بما كسب!

وعلى قولنا فإن كل أمة بإنسها وجنها تلعن أختها، وتبعاً لقولهم فإن كل أمة تلعن أختها، ولنا أن نسأل: لماذا تلعن أمم الجن أمم الإنس؟ هل أغووهم وأضلوهم أم ماذا فعلوا بهم؟! لا مبرر للعن أمم الجن أمم الإنس!

ونترك هذا الموضع وننتقل إلى الموضع الثاني في السورة، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [سورة الأعراف, ١٧٩]

وأول ما يلحظه الناظر في هذه الآية هو اتحاد تشريح الجن والإنس، فلكليهما قلوب وأعين وآذان، فإذا قلنا أن كليهما كائن واحد "بشر"، ينقسم إلى كبار وصغار (قادة وأتباع) كانت الآية مستنداً لنا!

أما على قولهم أن الجن كائن غير البشر فعجيب، فإذا كان الجن (العفريت) كائن هوائي ناري فكيف يكون له هذه الأعضاء؟! لا بد أن تختلف أعضاء الجن عن أعضاء البشر حتى تستطيع أن تقوم بالوظائف المنوطة بها! فكيف يجمعهما الله مع بعضهما كأنه لا فارق بينهما؟!

[133] كما نقول: ادخلوا في جموع من الرجال والنساء، ولو كنت أريد إظهار انفصال هذه الجموع عن تلك لكان لزاما أن أقول: ادخلوا في جموع من الرجال وجموع من النساء.

والناظر في السياق الذي وردت فيه الآيات يجد أنها كذلك تتحدث عن بني آدم:
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ... وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ... مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف, ١٧٢-١٨٠]

فالآيات تتحدث عن بني آدم ثم عن الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، وكيف أن من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل فهو الخاسر، وكيف أن كثيرا من القادة والأتباع هم من أصحاب النار –وليس هذا مكتوبا عليهم– وإنما لأن لهم قلوب لا يعقلون بها وأذان لا يسمعون بها وأعين لا يبصرون بها، فهم أضل من الأنعام!

الجن في سورة سبأ

إذا تركنا سورة الأعراف نجد أن الجن قد ذُكر في سورة الكهف والنمل، وقد عرضنا لآيات هاتين السورتين فلا حاجة لأن نعرض لهما مجدداً!

وبعد هاتين السورتين يظهر الجن في سورة سبأ في ثلاثة مواضع، تناولنا موضعين منهما، فنعرض للثالث فقط هنا، وهو قوله: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبإ, ٤١]

والجن في هذا الموضع يُحتمل أن يكون المراد منهم "الشياطين" كذلك، أو يراد منهم كبار المجرمين من البشر (السادة المترفون) أو كلاهما معا، ونذكر للقارئ الكريم

السياق الذي وردت فيه الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٣٣ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤ ... وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سورة سبإ, ٣١-٤١]

وكما رأينا فإن الآيات تحكي تنازع المستضعفين المستكبرين، وكيف أنهم هم السبب في عدم إيمانهم، وتبرأ المستكبرين منهم، وكيف أن المستكبرين هم من يتصدون للدين ويسعون لإبطاله، وأنهم يربطون الرزق بصحة المسلك، وفي هذا اليوم يُحشر المستضعفون والمستكبرون ويسأل الله الملائكة[134]: هل كانوا يعبدونكم فقط؟ فيتبرأ

[134] ومسألة أن الجاهليين عبدوا الملائكة من المسائل التي لا يجد المرء في كتب التاريخ أو التفسير ما يريح البال فيها، لذلك وجدنا الدكتور جواد علي يقول في كتابه: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.738:

غير أن المفسرين، لم يشيروا إلى أولئك الذين تعبدوا للملائكة، ولم يذكروا أسماءهم، مع أنهم ذكروا اسم من تعبد للجن، بل يظهر من تفسيرهم للآية المذكورة، أنها وردت على سبيل الاستفهام: كقوله عز وجلّ لعيسى: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال النحاس: فالمعنى أن الملائكة صلوات اللّه عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم، فهو استفهام توبيخ للعابدين. ولكنهم أشاروا في مواضع أخرى إلى أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات اللّه، وكانوا يعبدونها. ويقولون إن أمهاتهن بنات سروات الجن، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس.

وقد أشير في القرآن الكريم، إلى أن من الجاهليين من زعم أن الملائكة بنات الله. وتحدث المفسرون في تفسير ذلك، غير أنهم خلطوا في الغالب بين الملائكة والجن. ولم يأتوا بشيء يُذكر عن رأي أهل الجاهلية في الملائكة. وما ذكروه هم عن الملائكة، هو إسلامي، يرجع في سنده إلى أهل الكتاب، ولا سيما القصص الإسرائيلي، ولهذا فهو مما لا يمكن أن يقال عنه انه يعبر عن رأي الجاهليين. ويظهر أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الملائكة، لأن الاعتقاد بالملائكة من عقيدة الديانة اليهودية ثم النصرانية، وهم لا يعرفون الكتاب، إلا من كان منهم على دين اليهودية أو النصرانية، أو كان من الحنفاء أو على اتصال بأهل الكتاب، كأمية بن أبي الصلت وأمثاله.

منهم الملائكة ويقولون أنهم كانوا يعبدون الجن! أي أنهم كانوا يطيعونهم فيما يأمرونهم به، سواء كان المراد من الجن الشياطين أو كبار القوم المترفين (وإن كنا نرجح أن المراد من الجن هنا كبار القوم الذي أمروهم فأطاعوا!)

الجن في سورة فصلت

فإذا انتقلنا إلى سورة فصلت، وجدنا أن "الجن" ذُكر في موضعين متتالين، وهما قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۝٢٩﴾ [سورة فصّلت, ٢٥-٢٩] فالله تعالى يقول أنه قُيض لأعداء الله قرناء من الشياطين، -كما جاء في قوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦﴾ [سورة الزخرف, ٣٦] -فحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس (ونفس ما قيل في الأعراف بشأن "أمم ... من" يقال هنا) فالحديث عن أمم قد خلت قبل المكذبين بالقرآن، فكذبوا برسلهم وكُتب ربهم، فحق عليهم العذاب، والناس لا يعلمون إلا بتاريخ الناس، وليس عندهم أي دراية بتاريخ الجن!! وعندما يدخل الذين

وقد أشير إلى الملائك،أي "الملائكة" في شعر ينسب إلى "أمية بن أبي الصلت"، هو: وكأَن برِقعَ، والملائك حوله سدرٌ تواكله القوائم أجرد

وورد "ملأك" في شعر رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، قيل هو النعمان. وقيل هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير: فلست لإنسي، ولكنِ لملأك تنزل من جو السماء يصوب." ا.هـ

كفروا النار يودون أن يريهم الله الذين أضلوهم من "القادة ومن الأتباع العوام" ليجعلونهم تحت أقدامهم!

الجن في سورة الأحقاف

فإذا انتقلنا إلى سورة الأحقاف وجدنا أن الجن ذُكر فيها في موضعين اثنين، وأنها تؤيد أن المراد من "أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس" هو أمم البشر ولا علاقة بالعفاريت بها!

والناظر في السورة يجدها تجادل الذين يعبدون من دون الله (أسيادهم/رجال دينهم/ عيسى ... الخ، والحديث هنا عن عبادة عاقلين وليس جمادات) فيسألهم الله أين ما خلقوا أم لهم شرك في السماوات، وتبين أنهم على ضلال مبين وأن من عبدوهم سيكفرون بعبادتهم: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف, ٤-٦]

فإذا وصلنا للموطن الأول الذي ذُكر فيه "الجن" نجد أنه قد جاء بنفس التركيبة التي جاءت في سورة فصلت والأعراف "في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس"، ونفس ما قيل هناك يقال هنا، إلا أنه يضاف إليه أن الآية السابقة قد أكدت هذا المدلول، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأحقاف, ١٧-١٨]

فالذي يستبعد أن يُخرج يَرُد على والديه بأن القرون قد خلت من قبله ولم يُخرج أحد، -والقرون هم الأجيال وليسوا السنين الزمنية-، فيقول الله أن أولئك المكذبين حق عليهم القول وخلوا كما خلى السابقون! فنلاحظ أنه يستدل على والديه بخلو القرون، -الأجيال والأمم السابقة-، فقال الله أن المكذبين حق عليهم القول في أمم قد خلت قبلهم من الجن والإنس.

فإذا انتقلنا إلى الموضع الثاني وجدنا أنه جاء في سياق الحديث عن نصرة الله لأوليائه وإهلاكه لأعدائه، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٢٦ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٧ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٨ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢ ... فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [سورة الأحقاف, ٢٦-٣٥]

فلقد أنذر هود عاداً بالأحقاف فلم يؤمنوا فأهلكوا فلم يغن عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم، ولقد أهلك الله القرى المحيطة بمكة وصرف الله لهم الآيات، فلم تنفعهم آلهتهم التي اتخذوها ولم ترفع عنهم العذاب.

وإذا كنتم يا أهل مكة لم تؤمنوا بمحمد فإن من نصرة الله له أنه صرف إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن، ولما استمعوا آمنوا وولوا إلى قومهم منذرين.

والدليل القاطع على أن هؤلاء الجن كانوا بشرا متخفين من قبائل أخرى أتوا ليستمعوا النبي قولهم لقومهم: ﴿... فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحقاف, ٣٢] فهم ينتمون إلى قوم يعيشون في الأرض، فهذا دليل على أنهم بشر وليسوا جنا يطير ويصعد السماء! ولو كانوا يطيرون في السماء لما كان للكلمة معنى!

والدليل الثاني قولهم: ﴿... وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ... ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحقاف, ٣٢] فإذا كان البشر يتولون الجن ويستقوون بهم ويعوذون بهم –كما يدعي أصحاب الفهم التقليدي– فمن يتولاهم الجن؟!

أما نحن فنقول أن هؤلاء ينذرون قومهم أن عليهم الإيمان بالرسول ليغفر الله من ذنوبهم ولكي يجيرهم الله من العذاب في الدنيا فلا يهلكون، (لاحظ أنه قال: عذاب أليم، ولم يقل: العذاب الأليم) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، فمهما فعل وأينما ذهب فسينزل به العذاب في الدنيا، وليس له أولياء ينصرونهم، أو يرفعون عنهم العذاب، ثم يأمر الله النبي بالصبر على قومه ولا يستعجل لهم العذاب، فكأنهم يوم يرون ما يوعدون –وهو العذاب نازلا بهم– لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

الجن في سورة الذاريات

إذا تركنا سورة الأحقاف وانتقلنا إلى سورة الذاريات، وجدنا أن "الجن" ذُكر كذلك في معرض التوعد، فالله تعالى يقول: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو

ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [سورة الذاريات , ٥٠-٦٠]

فالله تعالى يأمر النبي بالتذكير، وأنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فهو لا يريد منهم رزق ولا إطعام، فالله هو الرزاق، وعلى الظالمين ألا يستعجلوا العذاب، فويل لهم من يومهم الذي يوعدون!

فإذا عرضنا الآيات من منظورنا نحن نقول: يأمرنا الله تعالى بالفرار إليه وألا نجعل معه إلها آخر، (ولأن أكثر الناس يعبدون سادتهم وكبراءهم) يقول الله تعالى لهم أنه ما خلق السادة ولا الأتباع إلا ليعبدوه، فهو لا يريد منهم رزقا، ويذكر الأتباع الذين يعبدون السادة بسبب ظنهم أنهم يرزقونهم، بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن للذين ظلموا ذنوبا من العذاب مثل ذنوب أصحابهم، فلا يستعجلون نزوله، فويل لهم من يومهم الذي يوعدون.

الجن في سورة الرحمن

إذا تركنا سورة الذاريات وانتقلنا إلى سورة الرحمن، نجد فيها دليلا قاطعا آخر على أن الإنس والجن هما "إنسان/بشر"، فالله تعالى يخاطب الناس في أول السورة، ويأمرهم بإقامة الوزن وعدم تخسير الميزان، ثم يقول لهم بعد ذلك: فبأي آلاء ربكما تكذبان!

ولله الحمد فلم يكن هناك أي مذكور يعاد عليه ضمير المثنى من أول السورة إلى الآية الثالثة عشر إلا الإنسان! فإذا قلنا أن الله تعالى خاطب البشر بصيغة الجمع: "ألا تطغوا ... وأقيموا ...ولا تخسروا" ثم عاد وقسمهم إلى قسمين –سيبينهما بعد آيات– فلا إشكال، وهذا هو المنطقي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ

رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [سورة الرحمن, ١-١٣]

أما أن نقرأ هذه الآيات ثم نقول أن الله تعالى يخاطب البشر وكائنا آخر، فما الدليل على هذا؟ إن هذا الكائن لم يسبق له ذكر، وليس هذا من المفهوم بداهة، مما لا يختلف عليه اثنان!!

وبعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ... سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝٣٣﴾ [سورة الرحمن, ١٤-٣٣]

فالله العليم يتحدث عن مادة خلق الإنسان ومادة خلق "الجان" (وليس الجن)، ثم يخاطب معشر الجن والإنس –وهذا يعني أنهم قوم يتعاشرون يعيشون مع بعضهم، لا أن هذا يعيش في عالم والآخر في عالم آخر!– بأنهم إن استطاعوا أن ينفذوا ... الخ

فإذا واصلنا قراءة الآيات تأكد أن الإنس والجن جنس واحد، وأن "الجان" غيرهما فالله العليم يقول: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ۝٣٩﴾ [سورة الرحمن, ٣٥-٣٩] فالإنس والجن يرسل عليهما شواظ من نار ونحاس، وهذا يعني أنهم يعيشون مع بعض، وأن العذاب ينزل بهما سويا!

ونلاحظ أنه عند حديثه عن الآخرة لم يقل: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جن"، وإنما قال: ﴿إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ۝٣٩﴾ [سورة الرحمن, ٣٩]، وذلك لأن الإنس جنس، والجان جنس آخر. وفي الآيتين الأخريين اللتين ذُكر فيهما الطمث، نجد أن الله تعالى

يذكر "الجان" وليس "الجن"، فيقول: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤﴾ [سورة الـرحـمـن, ٧٤]

وبهذا نكون قد أنهينا كل الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر "الجن"، وكما رأينا فالآيات تتحدث عن صنف من البشر، وليس عن صنف آخر!

أما الآيات التي تتحدث عن "الجان" و"الجنة" فهي تتحدث عن صنف آخر غير البشر، ف: "الجان" مقابل "الإنسان"، و: "الجنة" مقابل "الناس".

هل الشيطان ليس إبليس؟

رأينا من خلال تناولنا لآيات الذكر أن كلمة "شيطان/شياطين" في لسان العرب وفي بيان القرآن، قد استُعملت مع البشر ومع غير البشر. ومن البديهيات عند المسلمين أن "الشيطان" المذكور في القرآن هو إبليس، ذلك الكائن غير البشري. إلا أن الجماعة الأحمدية القاديانية كان لها رأيٌ مخالف تماماً بهذا الشأن.

فالجماعة الأحمدية تنفي وجود الجن الشبحي –ونحن نتفق معهم في هذه النقطة– إلا أنهم يقولون أنه لا وجود للشياطين بالتصور المشهور، فليس هناك إلا بشر وملائكة. ويرون أن الشيطان اسم عام بمعنى البعد والتطرف والطغيان والزيادة، ومن ثم فإنه يصدق على أشياء كثيرة وهو يُستعمل في اللسان مع الإنسان والحيوان، ومع كل ما كان الشطط والشطن حاله، إلا أنه لا يوجد خلق مستقل اسمه الشياطين! فالشياطين كذلك من الناس!

وإبليس كان وحداً من البشر الموجودين مع سيدنا آدم، إلا أنه ليس الشيطان الذي أغواه! فالشيطان الذي أغواه كان فرداً آخر!

ولأن هذا القول يصادم الآيات الصريحة التي تتحدث عن مادة خلق الجان، فهم يؤولون الآيات الصريحات الواردة المخالفة لهم، فيقولون أن قول الرب العليم: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [سورة الحجر ,٢٧] ليس حديثاً عن مادة الخلق، وإنما عن الطباع مثل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [سورة الأنبياء ,٣٧] فليس المراد من "عجل" مادة الصنع بل الطبع[135]، أي أن الإنسان بطبعه عجول، فكذلك ليس المراد من نار السموم، مادة الخلق وإنما الطبع السائد في الشياطين!

كما يؤولون الآيات والأحاديث الواردة في ذكر الشياطين تأويلاً، يجعلها واردة في الإنسان. وهذا القول من أعجب العجب! فإذا كان الله تعالى يخاطب الملائكة بالسجود لآدم، فما شأن إبليس –البشري– بهذا الأمر؟! إذا كان الخطاب للملائكة فكيف سمعه إبليس وفهمه؟! ولو فهمه فلماذا ينفذه إذا كان بشراً؟!

ثم كيف يخاطب إبليسُ البشري الله العظيم؟! فكما نرى فلقد خاطبه الله وردّ إبليس عليه، فكيف يكون هذا من بشر ولبشر؟! فما أهنئ ذلك البشري العاصي الذي تشرف بمخاطبة الله له! ثم أي إنسان بدائي هذا –على قولهم– الذي يفهم طبائع النفوس ويرى أن طبعه ناري ومن ثم يكون هذا الطبع –الحاد– مبررا لرفضه السجود لآدم؟!!!

ثم كيف يكون إبليس بشرا والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سورة سبإ ,٢٠] فكيف عاش ذلك البشري إلى زمان سبأ حتى أغواهم؟! إن قولهم بأنه بشري يعني أن الأمر أصبح شبيها بقصص الخيال العلمي التي تتحدث عن شخصية تظهر في كل العصور، لتقوم بدور الشر البارز! ومن ثم فإنه من الواجب علينا أن نبحث في التاريخ عن شخصية تظهر وتختفي لنحملها دور الشيطان! وقولهم أن المراد من "نار السموم" ليس مادة الخلق يبطله السياق، الذي

[135] يمكن أن يفهم أن "العجل" متعلق بمادة الخلق أيضا، فكلمة "العجل" يمكن فهمها على أنها حالة من حالات الماء، فتكون الآية عن مادة الخلق أيضا.

يحتم أن يكون المراد منها مادة الخلق، فالله عز وجل قال في الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحجر, ٢٦]، ثم تحدث بعد ذلك عن الجان، فيحتم هذا أن يكون الحديث عن مادة الخلق. وهم يقولون أن المراد من الصلصال أن الإنسان طبعه لينٌ قابل للتشكيل بسهولة مثل الصلصال! وهذا تأويلٌ بعيد لا يوجد ما يوجب الحمل عليه!

كما أن قولهم أن إبليس شخص والشيطان شخص آخر هو من العجب كذلك، ويرد عليهم قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة طه, ١١٦-١١٧]

فكما رأينا فالله تعالى قال لآدم أن هذا (إبليس) عدوٌ له، وحذّره من أن يقع في حبائله فيخرجه من الجنة.

فإذا انتقلنا إلى سورة الأعراف وجدنا الرب العليم يقول عن الشيطان: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف, ٢٢] فالله تعالى يلوم آدم على أنه استمع للشيطان على الرغم من تحذير الله تعالى له، والذي رأيناه في القرآن صراحةً هو أن الله حذره من إبليس فيكون هو الشيطان.

إن قولهم بأن الشياطين هي نوازع النفس السيئة قولٌ لا دليل عليه مخالف للتصور القرآني، فالله تعالى يقول مثلا: ﴿... إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ ... ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأعراف, ٢٧]، فهل نوازع النفس أو البشر الأشرار يروننا من حيث لا نراهم؟! وقوله "من حيث" دليلٌ كافٍ على أن للشياطين عالم آخر غير عالمنا يروننا منه، ولذلك لا نراهم!

كما أننا نجد أن الله يحكي عن الشيطان: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [سورة إبراهيم, ٢٢]

فمَن مِن البشر الذي أضل البشر بشكلٍ عام، ووعدهم فأخلفهم على عكس وعد الله؟! أم أن نوازع الشر هي التي تقول هذا؟!

إن الناظر في كتاب الله تعالى يجد حديثاً عن جنس غير جنس البشر، وهو: الجنة، ومن هذا الجنس من يلعب دورا في إضلال الناس: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [سورة الـناس, ٦]، والإنسان مأمور بالاستعاذة بالله من شر الوسواس الخناس سواء كان من الجنة أم من الناس!

نخرج من هذا كله بأن القول بأن إبليس والشياطين ما هم إلا بشر، قول غير دقيق، فنعم هناك شياطين بين البشر –بنص كتاب الله– ولكن أن نحصرهم فيهم فهذا غير صحيح، فهناك شياطين من جنس غيرهم (الجِنّة)، يعملون على إضلال الناس حتى لا يكونوا وحدهم أصحاب الجحيم.

الفصل الرابع: الجن في الروايات

بعد أن تحدثنا عن "الجن" في كتاب الله تعالى، ورأينا كيف أنه يتحدث عن عنصر الإفساد والضلال عبر العصور والأمكنة والعوالم، وهم القادة المستكبرون، الذين يجذبون الأتباع الصغار إليهم، ليستقووا بهم وليصيروا عوناً لهم.

بعد هذا ننتقل إلى الروايات الواردة عن النبي الكريم، لننظر هل تتطابق مع ما ورد في كتاب الله تعالى، أم أنها تقول بقول آخر. ونحن نعرض لهذه الروايات لأنها أكبر مستند لمن يرفض أن يكون الجن من البشر، لأن الروايات تقول صراحة أن الجن خلق آخر! فنعرض لها لنبين أنها ليست المستند القوي للرافضين.

فالناظر في الروايات الواردة عن النبي بهذا الشأن يجد أنها مما لا يمكن جمعه في سلة واحدة، فمنها ما هو صحيح وأُسيء فهمه ومنها ما هو مختلق ليُقدم كتفسير! لآيات القرآن بهذا الشأن، ومنها ما جاء مؤيداً لما كان عند العرب قبل الإسلام من الخرافات، إلا أنه نُسب إلى الرسول الكريم، ليُصبغ بصبغة إلهية ربانية!

وبالفعل تقبل المسلمون هذه الخرافات وأصبحت من الدين الواجب الإيمان به! وهكذا أصبح لكل طاعن في الدين متكئا، فإذا كان الإسلام قد أيّد أساطير العرب فهذا يعني أنه ابن بيئته! وإلا لماذا لا تصح إلا أساطير العرب، وتصبح أقاويل العرب هي التي أصابت كبد الحقيقة بخلاف أساطير باقي الشعوب، والتي هي أساطير وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان؟!

ولأن الجن والشياطين قد ذُكروا في عدد كبير من الروايات، لا يمكن الإلمام به في فصل أو باب، وإنما يحتاج إلى كتاب كامل من القطع الكبير أو أكثر، لذا فإننا سنكتفي بمناقشة نماذج من أصناف الروايات الواردة بشأن الجن، فنعرض لروايات

قُدمت كتفسير لآيات سورة الجن، لنبين أنها تخالف آيات السورة كلية، وكيف أنه من غير الممكن أن تكون الواقعة التي نزلت بعدها السورة!

ونعرض لرواياتٍ تقول أن الجن هم بشر، لنبين كيف أن الرواة أضافوا إليها ما ليس منها ليجعلوها في الكائن الخرافي، كما نعرض لرواياتٍ يظهر فيها التطابق بين معتقدات العرب الجاهلية وبين ما تقول به، كما نعرض لرواياتٍ تظهر أن الجن خلق طفيلي ضعيف! كم سنعمل على إبراز التناقضات في بنية الرواية نفسها والتي تسقطها من تلقاء نفسها!

روايات عن سورة الجن

أول ما نبدأ به حديثنا هو الروايات الواردة والمذكورة في كتب التفسير كمناسبة لنزول سورة الجن، وسنعرض هنا الروايات الواردة في تفسير الإمام الفخر الرازي مفاتيح الغيب.

ولن نكتفي بذكر الروايات، وإنما سنذكر تعليق الإمام الفخر الرازي حول هذه الروايات ومحاولة توجيهه لها، وذلك حتى لا يقول القارئ أنك تذكر الروايات مجردة، ولا تذكر أقوال العلماء حولها وتوجيههم لها!

لذا نذكر هنا ما قال الإمام الفخر الرازي –وهو من هو– والذي قد يُحسب بدرجة من الدرجات على المدرسة العقلية، ليبصر القارئ بعينه كيف أن توجيهه ودفاعه ضعيف ولا يصلح بحال لتقوية هذه الروايات، وكيف أنها ستظل دوما مناقضة للقرآن، مختلَقة لتُقدم كتفسير للآيات!

قال الإمام الفخر الرازي في معرض تفسيره لأول آية في سورة الجن: "اختلفت الروايات في أنه عليه الصلاة والسلام هل رأى الجن أم لا؟ فالقول الأول: وهو مذهب

ابن عباس أنه عليه السلام ما رآهم، قال: إن الجن كانوا يقصدون السماء في الفترة بين عيسى ومحمد فيستمعون أخبار السماء ويلقونها إلى الكهنة فلما بعث الله محمداً عليه السلام حرست السماء، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم فرجعوا إلى إبليس وأخبروه بالقصة فقال: لا بد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها واطلبوا السبب فوصل جمع من أولئك الطالبين إلى تهامة فرأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر.[136]" اهـ

وكما رأينا فالإمام الفخر الرازي يعرض الأقوال في هذه المسألة، وأول رأي يذكره هو رأي ابن عباس، الذي يقول أنه لم يرهم، ولن نتساءل: من أين أتى ابن عباس بهذه المعلومات عن تسمع الجن؟! وإنما سنعلق على نقطة أخرى فنقول: أول ما يلحظه المرء هو أنه يخلط بين الجن والشياطين، فبعد أن كان الحديث عن الجن في أول القول: "إن الجن كانوا يقصدون السماء" أصبح الحديث عن الشياطين: "وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم فرجعوا إلى إبليس"

وتبعاً لهذه الرواية فإن الجن هم الشياطين، ويصبح الشياطين مخاطبين بالقرآن، وهكذا تكون الشياطين قد آمنت بالقرآن العزيز!

فإذا تركنا هذه النقطة وجدنا أن هناك عجباً أكبر في هذه الرواية، وهو أنه لم يكن هناك شياطين في جزيرة العرب، أو على الأقل في مكة وما يجاورها! وحتى لا يقول القارئ: من أين أتينا بهذا، فالرواية لا تقول هذا؟! نقول: كيف خفي على الشياطين خبر ظهور النبي؟! هل كانوا في الإجازة السنوية أو القرنية، ولذلك لم يعلموا بظهور النبي؟!!

إننا ندعو القارئ الكريم للتفكر: كيف حدث هذا؟ إذا كان لكل إنسان شيطان —حتى الرسول نفسه— كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ

[136] فخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، الجزء الثلاثون، ص.134.

قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ[137]"

والذي رواه أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الشَّيَاطِينِ. قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ[138]"

وكذلك ما رواه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلِجُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ. قُلْنَا: وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَمِنِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ[139]"

وبغض النظر عن معنى: "فأسلم"، فالشاهد في الروايتين، هو أن لكل واحد من البشر شيطان، فكيف خفي خبر ظهور الرسول عن الشياطين؟!!

كما نستخرج من هذه الروايات شاهداً آخر، وهو أن الرواة كانوا يستعملون كلمة "الجن" مكان الشياطين! فكما رأينا فإن بعض الروايات استعملت كلمة "الجن" مكان كلمة "الشياطين/الشيطان" وهذا الذي سبب الإشكال كله، وجعل المسلمين يظنون أن الجن هم الشياطين!!

فإذا قبلنا هذه الروايات التي تقول أن لكل إنسان قرينه من الشياطين، فيكون من الواجب علينا أن نرد الروايات التي تقول أن الجن لم تعلم بظهور الرسول! ويكون هذا أول مسألة غير منطقية في هذه الروايات!

ونترك هذه النقطة ونكمل تحليل ما ذكره الإمام الفخر الرازي: "فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا والله هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾[140]" اهـ

---

[137] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الرابع.

[138] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، المجلد الأول، ص. 257.

[139] المرجع السابق، المجلد الثالث، ص.309.

وهذا ثاني ما يناقض النص القرآني، فلقد قال القرآن أنهم آمنوا ونزهوا الله عن الصاحبة والولد، ولم تذكر الرواية هذه الجزئية لأنها تعني إيمان الشياطين! والشيطان لا يؤمن! وبغض النظر عن هذا كله، فإن هذا يعني أن ملة الشياطين هي المسيحية! أي أنهم كانوا يؤمنون بدين بولس! وضع ما يحلو لك من علامات التعجب!

ونكمل ما ذكره الإمام الفخر الرازي: "فأخبر الله تعالى محمداً عليه السلام عن ذلك الغيب وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ كذا وكذا، قال: وفي هذا دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن، إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي فإن ما عُرف وجوده بالمشاهدة لا يُسند إثباته إلى الوحي، (...) واختلفوا في أن أولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم؟ فروى عاصم عن ذر قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ... ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الأحقاف ,٢٩]، وقيل: كانوا من الشيصبان، وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم.[141]" اهـ

ومن هذا المقطع الذي ذكره الإمام الرازي تظهر لنا خرافة جديدة من خرافات العرب، وهي جن زوبعة، وكما جاء في الرواية "رهط زوبعة"! والزوبعة ريح مشهورة، لذلك نجد ابن منظور يقول عند تعريفه لها في لسان العرب: "الزَّوْبَعَةِ الرّيحِ المعروفة، والزَّوابِعُ الدواهي، والزَّوْبَعُ والزَّوْبَعةُ ريح تدور في الأَرض لا تَقْصِد وجْهاً واحداً تحمل الغُبار وترتفع إِلى السماء كأَنه عمود أُخِذَت من التَّزَبُّع ،وصبيان الأَعراب يكنون الإِعصار أَبا زَوْبَعةَ يقال فيه شيطان مارد[142]" اهـ

[140] فخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، المجلد الثلاثون، ص.134.

[141] فخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، المجلد الثلاثون، ص.135.

[142] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، الجزء الثالث، ص.1807.

فكما رأينا فالعرب لمّا لم تستطع أن تجد تفسيراً لحدوث هذه الزوبعة، تلك الرياح التي تلتف حول نفسها، ولأنها تحمل في داخلها غباراً وما شابه، فإنها تأخذ شكل عمود، قالوا أن بداخل هذه الرياح جناً وأنه هو المسبب لها!

وعلى الرغم من أن عامة المسلمين لا يصدقون بهذه الخرافة الآن، إلا أنهم لا يرفضون وجود جن زوبعة ... بدون زوبعة!!

ونواصل مناقشة ما ذكره الإمام الفخر الرازي، وسنجد أنه انتقل لذكر الرأي الثاني الذي يقول أن النبي الكريم رأى الجن، فيقول: "القول الثاني: وهو مذهب ابن مسعود أنه أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمسير إليهم ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، قال ابن مسعود: قال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟[143]" اهـ

ويُفهم من هذه الرواية أن الجن موجودة في مكان معينة سيذهب إليها النبي! ولنا أن نتساءل: لماذا لم تأت الجن إلى النبي في داره إذا كانوا غير مرئيين؟! ولا يشغلون حيزا من الفراغ؟! ثم هل يكفي الجن أن يقرأ الرسول عليهم القرآن مرة ليؤمنوا؟! وما حال من لم يحضر هذه الليلة ومن ليس من جن العرب أصلا؟!

وهل يعد هؤلاء الجن من الصحابة لأنهم رأوا الرسول؟!!

ونواصل ذكر ما قاله الإمام الفخر الرازي: "فسكتوا، ثم قال الثانية فسكتوا، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله: قلت أنا أذهب معك يا رسول الله. قال: فانطلق حتى إذا جاء الحجون عند شعب ابن أبي دب، خط علي خطاً فقال: لا تجاوزه" (ولست أدري لماذا كان النبي الكريم يريد أن يأخذ معه أحدا من أصحابه إذا كان سيخط له في نهاية المطاف خطاً لا يتجاوزه، ويذهب معهم بمفرده؟! –عمرو–) "ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة

[143] المرجع السابق، ص.135.

في دفوفها حتى غشوه، فغاب عن بصري فقمت، فأومأ إلي بيده أن أجلس،" (لن أقول: المفترض أن الرسول بعيد وأنه لا يراه في الظلام، ولا أنه كان لا يراه لأن الجن قد غشيته، وإنما أتساءل: كيف يكون الرسول قد غاب عن بصره، ثم يومأ إليه بيده ليجلس؟! فكيف غاب عن بصره وعلى الرغم من ذلك يرى يده؟!) "ثم تلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى صرت أسمع صوتهم ولا أراهم. وفي رواية أخرى فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنت؟ قال: أنا نبي الله، قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: هذه الشجرة، تعالي يا شجرة! فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انصبت بين يديه، فقال: على ماذا تشهدين لي؟ قالت: أشهد أنك رسول الله، قال: اذهبي، فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت. قال ابن مسعود: فلما عاد إلي، قال: أردت أن تأتيني؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: ما كان ذلك لك، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر، فلا يستطيبن أحد بعظم ولا بعر.»[144]" اهـ

ولا بد أن نتوقف مع الجزء المتعلق بالشجرة في الرواية، لأنه يبطل الدين كليةً، فهو يقول أن الرسول ذهب ليعرض على الجن الدين، وبدلاً من أن يقدم لهم القرآن دليلاً على نبوته، قدم لهم "آية"! كما أعتقد، فمن المفترض أن الرسول كان قد ذهب ليقرأ عليهم القرآن! فهل لم يكف القرآن فقدم لهم آية حسية؟! ثم إن القرآن كررها أكثر من مرة أنه لن يقدم آية حسية لكي يؤمن الناس، فلماذا قدمها للجن؟!!

فإذا تركنا هذه النقطة وجدنا أن الرواية تقول: "ثم ولوا إلى قومهم منذرين"، والجن لم يكونوا قد ولوا إلى قومهم بعد! وعلى الرغم من هذا فإننا نغض الطرف ونتساءل: هل كان ابن مسعود يسمعهم أما لا؟

[144] المرجع السابق، ص.135.

فطبقا لما قال سابقا، فمن المفترض أنه كان يسمعهم ويرى الرسول –على الرغم من أنه كان بعيدا عنه!– ولكن هنا يفترض أنه لم يكن يسمع الرسول فقص عليه الرسول ما حدث بينه وبين الجن!

ومسألة الزاد هذه سنعلق عليها عند تناولنا لروايات الجن البشر!

والعجب كل العجب أن الإمام الفخر الرازي –والذي يبدو أنه كان يشعر أن الروايات غير منطقية ومتناقضة– قال: "واعلم أنه لا سبيل إلى تكذيب الروايات، وطريق التوفيق بين مذهب ابن عباس، ومذهب ابن مسعود من وجوه، أحدها: لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولاً، فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة، ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود. وثانيها: أن بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة، إلا أنه عليه السلام أمر بالذهاب إليهم، وقراءة القرآن عليهم، إلا أنه عليه السلام ما عرف أنهم ماذا قالوا، وأي شيء فعلوا، فالله تعالى أوحى إليه أنه كان كذا وقالوا كذا. وثالثها: أن الواقعة كانت مرة واحدة، وهو عليه السلام رآهم وسمع كلامهم، وهم آمنوا به، ثم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ وكان كذا وكذا، فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لأقوامهم، وإذا كانت هذه الوجوه محتملة فلا سبيل إلى التكذيب.[145]" اهـ

وكما رأينا فالإمام الفخر الرازي الذي يرى أن الروايات متناقضة يلزم بقبولها باحتمالات! والاحتمالات التي ذكرها لا تتفق مع الرواية أصلا!

فإذا أخذنا بالاحتمال الأول تكون رواية ابن مسعود غير ذات علاقة بالآية، فلماذا تُذكر عند تأويلها؟! وإذا أخذنا بالاحتمال الثاني وجدنا أنه يخالف رواية ابن مسعود، والذي كان يسمعهم ويراهم من بعيد، فكيف بالرسول الذي بينهم؟! والاحتمال الثالث هو القول الوحيد المقبول، إلا أنه يشغب عليه كل التناقضات الموجودة في رواية ابن

[145] المرجع السابق، ص.135.

مسعود نفسها، بغض النظر عن تعارضها مع الرواية الواردة عن ابن عباس، فمن ثم يجب الرد والرفض لا التكذيب!

وكما رأينا فالروايات التي ذكرها الإمام الفخر الرازي كتفسير للآية روايات متناقضة تهدم نفسها بنفسها، كما أنها لا تتطابق مع الآيات، ومن ثم فإنها لا تصلح كتأويل لآيات الذكر الحكيم.

روايات جن البشر

بعد أن عرضنا لنماذج من الروايات الواردة في كتب التفسير بشأن سورة الجن، ورأينا أنها مخالفة للنص القرآني وأنها متناقضة في داخلها، وأنها اختُلقت اختلاقا ننتقل إلى نوع آخر من الروايات، والذي يقول بأن الجن الذين أتوا الرسول كانوا من البشر، إلا أن يد الرواة –أو ألسنتهم– تلاعبت بالرواية لتجعلها في ذلك المخلوق غير البشري، وننظر لنبصر كيف حدث هذا.

أول ما نبدأ به هو ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ: هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ فَقَالَ عَلْقَمَةُ: أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ قَالَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ، قَالَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمِ الْقُرْآنَ قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ. وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا

تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ. وحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ: وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَسَأَلُوهُ الزَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِ الشَّعْبِيِّ مُفَصَّلًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ دَاوُدَ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْلِهِ: وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.[146]" اهـ

أول ما يلحظه القارئ في هذه الرواية هو قول ابن مسعود أنه لم يكن مع النبي أحد في ليلة الجن، وهذا يبطل كل ما ذكره الإمام الفخر الرازي سابقا عن ابن مسعود! والناظر في الروايات يجد أن هناك من نسب إلى ابن مسعود وهو في حياته أنه كان مع النبي الكريم في تلك الليلة، لذلك كان يُسأل هل كان مع النبي فيها أم لم يكن.

ثاني ملحوظة هو أن الرسول أتاه داعي الجن فذهب معه، أي أن الرسول مشى مع داعي الجن حتى ذهب إلى مكان الجن فقرأ عليهم القرآن! ثالث ملحوظة هو أن لهؤلاء الجن آثار وآثار نيران، أي أنهم يمشون على الأرض ويتركون آثارا، كما أنهم كانوا يستعملون نيران للتدفئة و للإضاءة! ومن ثم فيجب التساؤل: هل يحتاج الجن إلى نارٍ للتدفئة أم البشر؟!

قد يبدو للقارئ أن ما نقول به ونناقشه عديم النفع، فهؤلاء الجن قد سألوا النبي الزاد فجعل لهم كذا وكذا، فهل هذا طعامٌ للبشر؟! فنقول: هذه هي النقطة الفاصلة، فهذه الزيادة المتعلقة بالزاد "وسألوه الزاد ... الخ الحديث" ليس من الثابت أنها من قول الرسول، والراجح أنها من قول الشعبي! ولو كانت من قول الرسول لقال: وسألوني الزاد، وليس فسألوه الزاد! لذلك نجد أن الإمام مسلم قد روى الحديث نفسه بالزيادة وبدونها، لتردده في نسبتها إلى النبي!

[146] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد الأول، ص.332.

إن مسألة الزاد هذه قد قال بها شخص ما وكانت معروفة لدى الرواة، فلما روى بعضهم هذا الحديث عن النبي الكريم، زاد إليها الشعبي هذه المعلومة من عنده، فالتبس الأمر على من أتى بعده فظنها من قول ابن مسعود! إلا أن أغلب أئمة الحديث كانوا يعلمون أن هذه الزيادة من قول الشعبي نفسه! فنجد الإمام الترمذي يروي هذه الرواية بالشكل التالي: "عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ وَلَكِنْ قَدْ افْتَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَقُلْنَا اغْتِيلَ أَوْ اسْتُطِيرَ مَا فُعِلَ بِهِ، فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا أَوْ كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءَ قَالَ فَذَكَرُوا لَهُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَقَالَ: أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ فَانْطَلَقَ فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَسَأَلُوهُ الزَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ فَقَالَ كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادُ إِخْوَانِكُمْ الْجِنِّ.[147]" اهـ

وكما رأينا فالإمام الترمذي جزم بأن الزيادة للشعبي ولم ينسبها إلى الرسول!

فإذا نظرنا في مسند أحمد ألفيناه يصرح بأن الزيادة كذلك للشعبي: "حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ: هَلْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ (...) قَالَ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: سَأَلُوهُ الزَّادَ قَالَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ عَامِرٌ: فَسَأَلُوهُ لَيْلَتَئِذٍ الزَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ فَقَالَ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنْ الْجِنِّ.[148]" اهـ

[147] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الخامس، ص.382.

[148] أحمد بن حنبل، المسند، المجلد الأول، ص.436.

فإذا نظرنا في السنن الكبرى للبيهقي وجدناه يقول: رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن المثنى هكذا، ورواه عن على بن حجر عن إسماعيل بن إبراهيم عن داود بن أبي هند بهذا الإسناد إلى قوله: وآثار نيرانهم. قال الشعبى: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله (...) ثم قال: قال داود: ولا أدرى في حديث علقمة أو في حديث عامر أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الزاد، فذكره (أخبرناه) أبو الحسن المقري انا الحسن بن محمد بن إسحاق نا يوسف بن يعقوب نا محمد بن أبي بكر نا محمد بن أبي عدى عن داود فذكره ورواه جماعة عن داود مدرجا في الحديث من غير شك.[149]" اهـ

وكما رأينا فالإمام البيهقي قد انتبه هو كذلك إلى هذه الزيادة!

فإذا نظرنا في السنن الكبرى للنسائي، وجدناه يروي الرواية عن ابن مسعود، بدون الزيادة التي ذكرها الشعبي: عن عامر عن علقمة قال: قلنا لعبد الله: هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم أحد ليلة الجن؟ قال: لم يصحبه منا أحد، إلا أنا بتنا بشر ليلة بات بها قوم إنا افتقدناه فقلنا استطير أو اغتيل فتفرقنا في الشعاب والأودية نطلبه فلقيته مقبلا من نحو حراء، فقلت: بأبي وأمي بتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: إنه أتاني داعي الجن فأجبتهم أقرئهم القرآن. وأراني آثارهم وآثار نيرانهم.[150]" اهـ

فإذا نظرنا في مستخرج أبي عوانة وجدناه لا يعرف إذا كانت هذه الزيادة من قول ابن مسعود أم من قول الشعبي، فيقول: قال: «إنه أتاني داعي الجن لأقرئهم القرآن» فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، قال: فقال الشعبي: سألوه الزاد، قال: فقال: «كل عظم يقع في أيديكم لم يذكر اسم الله عليه أوفر ما كان لحما، والبعر علفاً لدوابكم» قال: فقال: «لا تستنجوا بالعظام ولا بالبعر فإنه زاد إخوانكم من الجن» قال داود: فلا أدري هذا في الحديث أو شيء قاله الشعبي؟!![151]" اهـ

---

[149] أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، المجلد الأول، ص.109.

[150] أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الجزء السادس، ص.499.

[151] أبو عوانة الاسفرائني، مسند أبي عوانة، الجزء الثاني، ص.450.

وبغض النظر عن الزيادة، فإن الرواية تقول أنه كان لهؤلاء الجن كذلك دواب! ولست أدري ما حاجة كائن يصعد السماء إلى دابة؟! وكذلك نجد أن الإمام الدارقطني يرجح في سننه الرواية التي تقول أنه لم يشهد أحد مع النبي ليلة الجن، وكذلك فإن الإمام ابن حبان لا يذكر في صحيحه الزيادة المتعلقة بالزاد، فيروي الرواية بدونها!

فكما رأينا من أكثر كتب الحديث فإن أصحابها كانوا يرجحون أن الزيادة لم تكن من قول ابن مسعود عن النبي وإنما من قول الشعبي، والذي لم يخبر من أين أتى بها، وإنما أضافها إلى الرواية من عند نفسه!!

فإذا تركنا مسألة الزيادة والتفتنا إلى النص نفسه وجدناه يقول بما نقول به، فهؤلاء الجن يرسلون داعياً إلى النبي فيخرج ليقابلهم في مكان خارج مكة، فهذا مرجح أن هؤلاء أناس أتوا متخفين إلى النبي الكريم ليسمعوا القرآن، وللحصار المفروض على النبي أو بسبب المضايقات لم يدخلوا مكة وإنما ظلوا بخارجها وخرج لهم النبي فقرأ عليهم القرآن فآمنوا! ولو كانوا جنا/عفاريت لما احتاج النبي إلى الخروج إليهم، ولأتوا النبي في بيته لا يراهم أحد! ثم إن هؤلاء الجن/البشر لهم آثار وآثار نيران، فهذا يعني أنهم يسيرون على الأرض ويوقدون نارا للتدفئة والإضاءة، ولو كانوا جنا كما يتصور الناس لطاروا في الهواء ولما احتاجوا إلى تدفئة، فكيف يؤثر فيهم الريح والبرد أصلا؟!

ثم ما العلاقة بين أن يري النبي أصحابه آثار النيران وأن يسألوه الزاد؟ فبعد أن أرى النبي ابن مسعود نيرانهم، كان من المفترض أن يسأله كيف هم هؤلاء الجن، كيف يبدون؟ إن العجب كل العجب أن يعرف الصحابة أن الرسول قد التقي جنا –كائناً غير بشري– فلا يسألونه عن شكلهم ولا أحوالهم، وإنما يسكت الصحابة ولا يهتم النبي إلا بأن يخبرهم أنهم سألوه الزاد!

إن الواضح من الرواية أن النبي الكريم والصحابة لم يروا في ليلة الجن حادثاً خارقا، وإنما مقابلة لوفد من الوفود أتى متخفيا، وفي هذا الوفد نصرة للإسلام ليس أكثر ولا

أقل، ولهذا لم يسأل الصحابة عن أي شيء، ولهذا أراهم النبي الآثار ليطمئنهم، وليعلموا أنه قد انضم إليهم عدد من المسلمين الجدد!

والعجيب أن القول بالزاد (بغض النظر عن نوعه) مصدق لنا فيما نقول، فإن هذا يعني أنهم بشر يسيرون على الأرض، يرتحلون بدواب، ويحتاجون إلى زاد في رحلتهم، لذلك سألوا النبي الزاد! أما أن يكونوا جناً يطير في الهواء بسرعة هائلة فلماذا الاحتياج إلى الزاد، إذا كان سيصل إلى موطنه في ثوان معدودة؟!

وكما رأينا فهذه الرواية جزء منها سليم يتحدث عن أناس من خارج مكة وجوارها أتوا للنبي متخفين (جنا) فآمنوا ثم انصرفوا، –وهذه الواقعة غير الواقعة التي نزلت فيها سورة الجن، لأن الآخرين لم يعلم بهم النبي– فلمّا تنوقلت الرواية ظنها بعض الرواة تتحدث عن كائنات غير بشرية فأضاف إليها ما كان يسمعه من الناس! وهكذا صُبغت الرواية كلها بصبغة خرافية، فرفضها فريقٌ لمخالفتها العقل والمنطق، وقبلها فريق آخر بفهمها المعوج على الرغم مما فيها!

أما نحن فأخذنا الثابت عن النبي ورفضنا الزيادة وفهمناها فهماً يلغي أي تناقض أو تعارض فيها، بعيدا عن الأفهام الأعجمية للسان العربي!

وحتى لا يقول القارئ أن ما ذكرناه هو استنتاج، وليس قولاً صريحة في الرواية نذكر له رواية صريحة تقول أن الجن تُستعمل إشارة إلى طائفة من البشر، وهي ما رواه الإمام مسلم: "... عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر: عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، (...) يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما

نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.[152]" اهـ

فكما رأينا في الرواية، فلقد استعملت "إنسكم وجنكم" في مخاطبة العباد –البشر– فيكون هذا تأكيداً لقولنا بتقسيم البشر إلى إنس وجن. وحتى لا يقول قائل أن الخطاب في الرواية للجنسين البشر والجان، نلفت الانتباه إلى أنه قيل "فأعطيت كل إنسان" ولم تقل: فأعطيت كل واحد، فهذا دليلٌ على أن الإنس والجن تابعان لجنس واحد وهو البشر/الإنسان. والروايات التي جُعلت في الجن على الرغم من أنها كانت تتكلم عن بشر! لا تقتصر على ما ذكرنا، فهناك غيرها، من ذلك ما رواه الإمام البخاري: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ. بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ فَقَالَ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ، عَلَيَّ الرَّجُلَ. فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ. قَالَ فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا. قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ: يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،...[153]" اهـ

فكما رأينا فالبخاري ذكر أن عمر سأل الكاهن عن أعجب ما جاءت به جنيته! وهذا يصدق التصور الجاهلي، بينما نجد في دلائل البيهقي أن الحديث عن إنسان بشر، وليس جناً تابعا للكاهن: عن ابن عمر قال: « بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلا فقال : قد كنت مرة ذا فراسة، وليس لي رأي إن لم يكن قد كان هذا الرجل

[152] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الرابع، ص.1994.

[153] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجزء الخامس، ص.48.

ينظر، ويقول في الكهانة، ادعوه لي، فدعوه، فقال عمر: من أين قدمت؟ قال: من الشام. قال: فأين تريد؟ قال: أردت هذا البيت، ولم أكن أخرج حتى آتيك، فقال عمر: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ قال: بلى. قال: هل كنت تنظر في الكهانة شيئا؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عن بعض ما رأيت. قال: إني ذات ليلة بواد إذ سمعت صائحا يقول: يا جليح، خبر نجيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله للجن وإياسها، والإنس وإبلاسها والخيل وأحلاسها. فقلت: من هذا، إن هذا لخبر يئست منه الجن، وأبلست منه الإنس، وأعملت فيه الخيل، فما حال الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم[154]» اهـ

وكما رأينا فالرواية كانت تتحدث عن بشر يصيح، صوت لم يُعلم قائله، لذلك جعله الرواة عند البخاري جناً، لأنه إن لم يُعلم القائل فهو لا محالة جن!!

ولا يقتصر الأمر على هذا، وإنما وجدنا روايات تُشد شداً إلى الجن، منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه: "... عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ. (...) وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ بَاب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ[155]" اهـ

فقالوا في تفسير! هذا الحديث أن المراد من الخبث ذكور الجن والخبائث إناث الجن! ولست أدري لماذا لم يقل الرسول: أعوذ بك من الخبيثين والخبيثات؟!

إن الذين يقرءون مثل هذا الحديث ينسون أن الرسول –ومن معه– كانوا يذهبون لقضاء حاجتهم في الصحراء، فلم تكن هناك "مراحيض" في البيوت، ومن ثم فإن احتمالية وقوع الأذى والضر من الثعابين والحيات والعقارب والحشرات الضارة، في

(154) أبو بكر أحمد البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الجزء الثاني، ص.245.246.

(155) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، المجلد الأول، ص.41.

تلك الحالة التي لا يستطيع الإنسان الدفاع فيها عن نفسه جيدا، تكون عالية، لذلك كان النبي يستعيذ بالله من تلك الدواب الضارة!

وبعد أن رأينا من الرواية أنها تتحدث عن بشر متخفين –وليس كائناً غير الإنسان– نقول أن باقي الروايات التي ورد فيها ذكر عفاريت أو جن مكلف فهي بين روايات ضعيفة –بحكم أهل الحديث أنفسهم، ونحن نجزم بوضعها!– وبين محمولة على أن المراد منها المعنى اللغوي وأريد بها الإنسان.

فمن ذلك ما روه البخاري في صحيحه: "... حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ، فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاغًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَادَ لِيَجْتَازَ فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ مِنْ الْأُولَى، فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ وَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ خَلْفَهُ عَلَى مَرْوَانَ فَقَالَ: مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ.[156]" اهـ

وكما رأينا فليس المقصود من الشيطان في هذا الحديث إبليس أو أحد أعوانه، وإنما هو النعت والسمة والمسلك، أي أن من يفعل هذا يكون حاله أنه شيطان! لا أنه يخرج من جنسه البشري! فهذه الرواية وأمثالها أسيء فهمها، وكانت سبباً في أن الرواة نقلوا الروايات الأخرى بغير ألفاظها، ظانين أنه لا فارق بين المعنيين، فجعلوها في ذلك الكائن الخرافي، ثم استُخدمت كدليل على ما يقولون به فيما بعد.

[156] المرجع السابق، ص.108.

روايات .. من الجاهلية

بعد أن عرضنا لروايات كانت تتحدث عن البشر وجُعلت في جنس آخر، ننتقل لنعرض لروايات نُسبت إلى الرسول الكريم وهي مما اشتهر بين العرب قبل الإسلام. والواقع يقول أن المسلم إذا سمع بهذه الخرافات استنكرها وحكم بكونها خرافة لأنها مما يناقض العقل والعلم، فإذا علم أنها منسوبة إلى الرسول توقف فيها، وحاول أن يقنع نفسه بتقبلها، بإدراجها تحت باب الغيبيات!

لذا نتوقف مع هذه الروايات لنبين أنها من خرافات العرب، ونُسبت زواً وبهتاناً إلى الرسول الكريم!

الناظر في الخرافات المنقولة عن عرب الجاهلية يجد أن الحية احتلت فيها منزلة عظيمة، فهي أكثر الحيوانات ذكراً في قصص الجن، وارتبطت ارتباطاً وثيقا بالجن، بل إنها اعتبرت نوعاً من الجن!

وليست هذه النقطة مما تفرد به العرب وإنما وجدناها في جل الحضارات المشركة، فنجد أنها غالباً ما ألّهت الحية وعبدتها، وهي نقطة تدفعنا للتساؤل: لماذا احتلت الحية تحديداً عند شعوب الأرض هذه المنزلة العظيمة، التي يكادون يجمعون عليها، بخلاف باقي الحيوانات؟!

وبغض النظر عن هذه فقد خاف العرب الجاهليون من الحية بشكل كبير، حتى أنهم كانوا يتجنبون قتلها خوفاً من أن تكون من الجن فيثأر الجن لها! ويعرض العلامة جواد علي لمنزلة الحية عند العرب، فيقول: "ولم تنفرد مخيلة الجاهليين وحدها باختراع أسطورة أن الحيات هي من الجن، وأنها جنس منها، فان غير العرب من الساميين مثل العبرانيين كانوا يقولون أيضاً بهذا القول. وكذلك قال بهذه الأسطورة غيرُ الساميين، مما يدل على أنه من الأساطير القديمة جداً التي انتشرت عند البشر، بسبب ما قاسوه -في أيام بداوتهم- من هذا الحيوان. ونجد قصة الحية في سفر التكوين، وهي في

هذا السفر أشد الحيوانات حيلة، فهي التي خدعت حواء خدعتها الشهيرة، وسببت طردها وطرد زوجها آدم من الجنة إلى الأرض. ولعقيدتهم هذه في "الحية"، كانوا إذا وجدوا حية ميتة، كفنوها ودفنوها. فعلوا ذلك في الإسلام أيضاً، جاء أنه بينما كان (عمر بن عبد العزيز) يمشي في أرض فلاة، فإذا حية ميتة، فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها. وورد أنه كان جمع من أصحاب رسول الله يمشون فرفع لهم إعصار، ثم جاء إعصار أعظم منه، ثم انقشع، فإذا حية قتيل، فعمد رجل منا إلى ردائه وكفّن الحية ببعضه ودفنها. فلما جنّ الليل إذا امرأتان تتساءلان: أيكم دفن عمرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري ما عمرو بن جابر. فقالتا: إن كنتم ابتّغيتم الأجر، فقد وجدتموه، إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم. فقُتل عمرو، وهو الحية التي رأيتم. وفي الحديث: انه نهى عن قتل الجنان. هي الحيات التي تكون في البيوت، واحدها جان،وهو الدقيق الخفيف. والجان الشيطان أيضاً، وورد فيَ الحديث: ذكر الحيات، فقال: من خشي خبثهن وشرهن وإربهن، فليس منا. أي من توقى قتلهن خشية شرّهن فليس ذلك من سنتنا. وكانت الجاهلية تقول أنها تؤذي قاتلها أو تصيبه بخبل[157]." اهـ

وكما رأينا فإن العرب كانت تعتقد أن الحية من الجن، ولربما لعبت التوراة دوراً رئيسا في هذا، وعلى الرغم من ورود الحديث الذي يرد على خرافات الجاهلية والذي يحث على عدم الاستسلام للخرافات التي تخوف من الحية، مثل الذي ذكره الدكتور جواد في معرض حديثه، ومثل الذي رواه أبو داود في سننه: "عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ فَمَنْ خَافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنِّي.[158]" اهـ

والذي يبين أن الحية ليست من الجن، وأنها لا تثأر من قاتلها بعد موتها! على الرغم من ذلك فإن الخرافة قد انتشرت وثبتت بفضل روايات أخرى كثيرة أكدت المعنى الموجود عند الجاهليين.

---

(157) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.726–727.

(158) سليمان ابن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، ص.785.

فنجد مثلاً أن الإمام الطبراني يروي رواية تقول صراحة أن الحيات صنف من الجن!! " عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: الجن على ثلاثة أصناف: صنفٌ لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنفٌ حيات وصنفٌ يحلون ويظعنون[159]" اهـ

ولم يقتصر الأمر على الإخبار بأن الحيات من الجن، وإنما تعداه إلى النهي عن قتلها إلا بعد إعلامها بذلك، فنجد الإمام مسلم يروي ما نصه: "عن السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلْ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى قَالَ فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، وَقُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ[160]" اهـ

فكما رأينا فهذه الرواية تقول أن علينا أن نطلب إلى الحية الانصراف ونتركها ثلاثة أيام، لأنه ربما تكون جناً! فإن لم تفعل علمنا أنها شيطان فيحل لنا قتلها! ولست أدري

---

(159) سليمان الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الجزء الثالث، ص.141.

(160) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الرابع، ص.1756.

لماذا يظل الجن أو الشيطان الأحمق على هيئة، تمكن من قتله؟ لست أدري لماذا لا يختفي ويحمي نفسه ويريحنا؟!

إن هذه الرواية المخالفة للعقل والعلم والقرآن ما هي إلا من آثار الجاهلية، كما أنها مخالفة لروايات أخرى عن الرسول الكريم تأمر بقتل الحيوانات الضارة مثل الحيات، مثل ما رواه البخاري:"عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لِأَقْتُلَهَا فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ: لَا تَقْتُلْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ. قَالَ إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، وَهِيَ الْعَوَامِرُ[161]" اهـ

وعلى الرغم من أن الأمر الأول كان أمراً عاماً، خوطب به المسلمون على المنبر، والآخر عرف به بعضهم وغاب عن كثيرٍ منهم، مثل ابن عمر وعائشة وأبو هريرة، فيمكن القول أنه كان إشارة إلى أن القتل هو للضار وليس لكون الحية حية، فإذا كانت لا تضر فلا حاجة لقتلها، فلم يُخرج المسلمون ليبيدوا أياً من أصناف الدواب!

ونلاحظ أن بعض الرواة أضاف من عند نفسه "وهي العوامر"، كتوضيح للكلمة وظناً بأن النهي متعلق بالجن!!

إن الناظر في الأحاديث الواردة عن الرسول –بخلاف أحاديث النهي عن قتل الحيات– يجد أن هناك أحاديث تأمر بقتلها، كما أن تعامل الرسول والصحابة مع الحيات كان تعاملاً عاديا، فإذا حدث وظهرت حية، كان يأمر بقتلها حتى لا تؤذيهم، فإذا هربت لا يتتبعونها، فالأمر ليس ثأراً أو انتقاماً، وإنما هو حماية. واستمر ذلك حتى قرب وفاة النبي الكريم، فالإمام أحمد يروي في مسنده: "... أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِذْ سَمِعْنَا حِسَّ الْحَيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْتُلُوا. قَالَ: فَقُمْنَا قَالَ فَدَخَلَتْ شَقَّ

[161] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجزء الرابع، ص.127–128.

جُحْرٍ، فَأُتِيَ بِسَعَفَةٍ فَأُضْرِمَ فِيهَا نَارًا وَأَخَذْنَا عُودًا فَقَلَعْنَا عَنْهَا بَعْضَ الْجُحْرِ فَلَمْ نَجِدْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا وَقَاهَا اللَّهُ شَرَّكُمْ كَمَا وَقَاكُمْ شَرَّهَا(162)". اهـ

فكما رأينا فالرسول عندما سمع حس الحية أمر بقتلها، ولم يسألها الرحيل! وعندما هربت أمرهم بتركها! وإذا كان هذا قد حدث في حجة الوداع، قبل موت الرسول الكريم بأشهر معدودات، فهذا يشير إلى أن الروايات الواردة في النهي هي مما دُس وأضيف بعد وفاة الرسول الكريم.

ومن خرافات الجاهلية التي تسللت إلى الحديث، ونُسبت إلى الرسول، القول بأن الجن هو الذي يسبب الطاعون.

فإذا نظرنا في "الحيوان" وجدنا الجاحظ يقول: "زعم العرب أن الطاعون طعن من الشيطان قال: والعرب تزعم أن الطاعون طعنٌ من الشيطان، ويسمُّون الطَّاعون رماح الجنّ، قال الأسديُّ للحارث الملك الغسّاني:

لَعَمْرِكَ ما خَشيتُ على أُبيٍّ رِماحَ بني مُقيِّدة الحمارِ

ولــكني خَشيت على أُبيٍّ رِماحِ الجنِّ أو إياكَ حارِ

يقول: لم أكن أخاف على أُبيّ مع منعته وصرامته، أن يقتله الأنذال، ومن يرتبط العير دونَ الفَرس، ولكني إنما كنت أخافك عليه، فتكونُ أنت الذي تطعَنه أو يطعَنه طاعونُ الشّام.

وقال العُمانيّ يذكر دولة بني العبّاس:

قد دَفع اللّه رِماح الجن وأذهب العذابَ والتَّجنِّي

وقال زيد بن جُندب الإياديّ:

(162) أحمد بن حنبل، المسند، المجلد الأول، ص.385.

ولولا رِماحُ الجنِّ ما كان هزهم رِماح الأعادي من فصيح وأعجم

ذهب إلى قول أبي دؤاد:

سُلِّط الموتُ والمنونُ عليهم فلهم في صَدى المقابر هامُ

يعني الطاعون الذي كان أصاب إياداً. وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه ذكر الطَّاعون فقال: "هو وَخْزٌ من عَدُوِّكم" وأنَّ عَمْرو بن العاص قام في النّاس في طاعون عَمَواس فقال: إنّ هذا الطاعون قد ظهر، وإنما هو وخْزٌ من الشَّيطان، ففِرُّوا منه في هذه الشِّعاب. وبلغ مُعاذ بن جبَلٍ، فأنكر ذلك القول عليه.[163]" اهـ

وكما رأينا فالقول بأن الطاعون من طعن الشيطان معروف عند الجاهليين، ولما حدث أن قال عمرو بن العاص بهذا القول بعد الإسلام وبلغ معاذً بن جبل هذا، أنكر عليه هذا القول، لأنه يعرف أن هذا من دجل الجاهلية!

وعلى الرغم من هذا نُسبت هذه الخرافة إلى الرسول الكريم، فروى الإمام أحمد بن حنبل: "حدثناه أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عبد الله بن قيس أن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر الطاعون فقال: وخز من أعدائكم من الجن، وهي شهادة المسلم.[164]" اهـ

ولقد حاول بعض علماء العصر الحديث، مثل الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا وغيرهما، تأويل الأحاديث التي تكلمت عن الجن وربطته بالمرض، بالقول بأن المراد من الجن في هذه الأحاديث –وليس في كل الأحاديث– هو الميكروبات والجراثيم!

[163] عمرو الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء السادس، ص.218–220.

[164] أحمد بن حنبل، المسند، الجزء الرابع، ص.413.

ولو كان هذا القول مما تفرد به الرسول، لكان من الممكن القول أن هذا الفهم محتمل، ولكن مع وجود هذه الخلفية عند المتلقين، والذين هم حديثو عهد بالإسلام، ولا تزال التصورات الجاهلية راسخة عندهم، فلا فائدة منه! فعلى فرض قول الرسول لهذا الحديث فلن يفهم السامعون إلا أن الرسول الكريم يؤكد التصور الشائع المتداول بينهم! ولم يقتصر الأمر على الحية وإنما تعداه إلى الكلاب، فنجد أن العرب كانت ترى أن الكلاب صنف من الجن، بل ووصل الأمر بهم إلى ظنهم أن لها عيناً تحسد بها البشر، لذلك كانت يتوقون شرها بأن يلقوا لها فتات طعامهم حتى لا "تنظر" لهم الطعام! ولا يزال هذا الاعتقاد منتشراً بين العوام، فنجد بعضهم يقول: "أعطي له حاجة من عينه!" حتى لا ينظر الطعام!

وتسللت تلك المعتقدات إلى الحديث النبوي، بسبب إساءة فهم أقوال وردت عن النبي الكريم! فالناظر يجد بعض الروايات تقول بأن النبي أمر بقتل الكلاب، وروايات تقول أنه رخص بعد ذلك في كلاب الصيد والحراسة!!

فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه: "أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتل الكلاب، حتى أن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله، ثم نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن قتلها وقال: (عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان)" وكذلك: ... عَنْ ابْنِ الْمُغَفَّلِ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ ثُمَّ قَالَ: (مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكِلَابِ)، ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ.[165]" اهـ

ويظهر أن الكلاب الشاردة الضالة كانت قد انتشرت في المدينة، لذلك أمر النبي الكريم بقتلها. ويبدو أن الصحابة تنافسوا في تقتيل الكلاب، فلم يتركوا منها شيئا! حتى أن الرسول الكريم تعجب من فعلهم وقال: "ما بالهم وباب الكلاب"؟! أي ما هذا الانشغال بقتلها، ولأن الأمر كان لمناسبة أباح الرسول اقتناء الكلاب لمن سأله

[165] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الثالث، ص.1200.

بعد ذلك. وتخصيص النبي الكريم الكلب الأسود بالقتل لأنه شيطان، أي أنه شرس، كثير الأذى والعقر، لا أن شيطان متشكل بهيئته! وللأسف أُسيء فهم القول، -وهذه هي العادة، فإذا كان من الممكن حمل القول على الخرافة حُملت عليها لا العكس!- فقيل أن شيطان تعني الكائن المتمرد العاصي لله، وليس أنه شيطان بالمعنى اللغوي، والذي كانت العرب تطلقه على كل عات متمرد!

ولذلك وجدنا ذكراً للكلاب في كل الكتب التي تتحدث عن الجن -من المنظور الإسلامي- وتقسيماً لأنواعها المنطوية تحت الجن، ونسبة ذلك إلى الرسول!! ومن ذلك ما ذكرته حليمة خالد في تناولها للجن، فقالت: "يرتبط الجن بالكلب الأسود ارتباطاً وثيقاً، حتى قالوا: "السود من الكلاب الجن" والبقع منها الحن، وبما أن "الحن ضعفة الجن" فالكلاب كلها من الجن، وقد أثبت ذلك ما ورد عن النبي "عليه السلام" قوله: "لولا أن الكلاب أمة، لأمرت بقتلها، ولكن خفت أن أبيد أمة، فاقتلوا منها كلَّ أسود بهيم، فإنه جنّها"، وقد أقر الرسول "عليه السلام" ذلك بقوله: "الكلب الأسود شيطان".[166]" اهـ

والروايات التي تستدل بها الأستاذة حليمة خالد -وأمثالها- دليلٌ لنا وليس علينا، فإذا أخذنا الرواية التي تقول: "... فاقتلوا منها كلَّ أسود بهيم، فإنه جنّها" نجد أنهم فهموها: فاقتلوا منها كل أسود بهيم، فإنه جن متشكل بهيئتها، أو مندس فيها"، على الرغم من أن الرسول قال: جنها!

ولو تذكر القارئ ما قلناه عن أن لكل شيء جن، لفهم ما كان النبي يقصده بهذا القول، فالنبي يقول أن الأسود جن الكلاب أي أنه القوي الشديد فيها، وهو الذي يُخشى ضره وشره، فلذلك يُقتل!

وتبعاً لهذا الفهم نفهم باقي الروايات التي ورد فيها أنه شيطان، فالمراد أنه شرس عقور مفترس، أما هم فيفهمون أنه كائن غير أرضي متشكل!!

---

[166] حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، ص.175.

وكما رأينا فلقد حارب الرسول الكريم الخرافات التي كانت موجودة في عصره، إلا أن أنصار الخرافة التفوا حول أقوال الرسول، ونسبوا إليه ما يؤيد هذه الخرافات، وفسروا أقواله بما يوافق الخرافات!

فإذا كان الرسول الكريم قال أنه "لا غول" –كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم– ووجدنا من العلماء من يؤولها ويقول أنه ليس المراد بذلك نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها، أي أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا، وهي موجودة!! فماذا ننتظر بعد ذلك؟!

الباب الثالث

أقاويـل

الفصل الأول: غرام .. واختطاف!

بعد أن عرضنا لتصور الجن في الإسلام، وأظهرنا كيف أن الجن في كتاب الله وفي أقوال الرسول الكريم الصحيحة، هو غير الجن الذي نظن، تبعاً لتصوراتنا المحكومة بالخرافة والوهم. ولأننا أظهرنا أن الكتاب العزيز تكلم عن مخلوق غير بشري اسمه "الجان" –وليس: الجن– كان من الواجب علينا أن نكمل الرحلة إلى النهاية. فمن قال أنه لا خلق إلا الإنسان –أو الإنسان والملائكة– أراحوا أنفسهم، فالشياطين هم من البشر، والظواهر التي لا نعرف لها تفسيراً في أيامنا هذه هي من ألغاز الطبيعة، والتي سنكتشفها في يومٍ من الأيام.

لذا لا يمكننا أن نتوقف عند هذه النقطة ونقول أنه لا جن بالمعنى الخرافي، لأنه من الممكن أن يتقبل القارئ ما نقول به، ويقر فعلا بعدم وجود الجن/العفاريت، إلا أنه من الممكن أن يقوم بعملية إزاحة وإسقاط! فيزيح كل التصورات الموجودة عنده عن الجن، ويسقطها على شياطين الجان! وبهذا يكون كل جهدنا قد ضاع من أجل حرف!

فبدلاً من الخوف من الجن، نخاف من الجان! وخاصة إذا كان هذا الجان ملاك سابق، فهذا يعني أن له قدرات خارقة! وبدلاً من القول بأن الجن يمس (يركب) الإنسان، سيصبح السؤال: هل يركب الجان الإنسان؟!

لذا نتوقف مع أبرز الخرافات التي نسبت إلى الجن، والتي لا تزال تعشش في العقلية العربية/الإسلامية، –بل وحتى غير العربية– لنبين أنها حديث خرافة، ما أنزل الله به من سلطان. كذلك لنعرف القارئ بمقدار الشيطان وبقدر تدخله في حياتنا، لنظهر أن الأقوال المنتشرة حول الجن ما هي إلا أوهام، علينا اجتثاثها من جذورها، وتنظيف أدمغتنا منها، وأنه حتى من غير المقبول أن تكون قصص تحكيه العجائز للأولاد قبل النوم، لأن هذا مما يرسخ في عقولهم ووجدانهم، وأنه لا يجوز لنا كمسلمين متبعين للحق، أن نؤمن بهذه التُرهات، أو أن ندعي أن ديننا مصدقٌ لها!

لذا ندعوك معنا أيها القارئ الكريم لتصطحبنا في هذه الرحلة السريعة في عالم الجن المزعوم، لتدك معنا أركانه في عقلك وفي عقول من تعرف!

خرافة .. واختطافه

من الكلمات المشتهرة، الكثيرة الاستعمال عند حديثنا عن الأشياء الغريبة التي لا يصدقها العقل، كلمة "خرافة"، فما هو معنى كلمة خرافة؟ نقول: تختلف كلمة خرافة عن مثيلاتها من الكلمات التي تدل على نقل حدث واقع إلى نص منطوق أو مكتوب، والتي تشير إلى العنصر الأبرز في عملية النقل هذه. فكلمة أسطورة تشير إلى أن هناك نص مسطور في ورق، وكلمة رواية تركز على عملية تناقل النص بين القائلين والمستمعين، وكلمة قصة تشير إلى عملية تتبع الأحداث ... الخ.

أما "خرافة" فلا تشير إلى أي شيء من هذا، وذلك لأنها بكل بساطة اسم لشخص، إنسان عربي جاهلي، واسع الخيال، كان يختفي عن قومه عدة أيام، ثم يعود فيدعي أن الجن اختطفته، ثم يبدأ في قص الأحداث التي وقعت له في تلك الأيام. ومع تكرر هذه الأمر من خرافة هذا، أصبح يُضرب به المثل في الحديث الذي لا يُصدق، فإذا حدث إنسان بحديث عجيب عن كائنات غريبة، أو وقائع عجيبة، لم يصدقه أحد وقالوا: حديث خرافة!

ولقد خلّد الشاعر العباسي أبو علاء المعري هذه الكلمة في بيت شهير، فقال:

عزفتَ عن المدام وأنت حيُ لما وعدوك من لبنٍ وخمر

حياة ثم موت ثم حشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومع مرور الزمن وعدم معرفة القائلين بأصل الجملة، أصبح يقال: خرافة، فقط، بدون كلمة حديث، وأصبحت الكلمة إشارة إلى الأحاديث التي يُعلم بطلانها.

وعلى الرغم من أن حديث خرافة أصبح مضرب مثل عند العرب للكذب المستملح، وجدنا من ينسب إلى الرسول أنه قال أن خرافة لم يكن كاذباً وأن حديثه كان حقا!!

فنجد أحمد بن حنبل يروي رواية تقول: "عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَدِيثًا فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأنَ الْحَدِيثُ حَدِيثَ خُرَافَةَ! فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلًا مِنْ عُذْرَةَ، أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْرًا طَوِيلًا ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الْإِنْسِ فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنْ الْأَعَاجِيبِ فَقَالَ النَّاسُ حَدِيثُ خُرَافَةَ[167]" اهـ

وعلى الرغم من أن من علماء الحديث من ضعّف كل الأحاديث التي ذُكر فيها خرافة، ونسبت إلى الرسول، –مثل الشيخ الألباني رحمه الله– إلا أننا وجدنا من أهل الحديث من يدافع عنها، ويقول أن حديث خرافة ...حق!! وظاهرة خرافة هذه ليست بالعجيبة، فهو ينتمي إلى قبيلة عذرة، ويبدو أن رجال هذه القبيلة كان لهم تميز فكري وعقلي مختلف عن باقي القبائل العربية، فهذه القبيلة هي التي نُسب إليها الحب العذري! وذلك لكثرة عشاقها المتيمين الصادقين في حبهم، الذين يتملكهم الحب والوجد، حتى يصل بهم الحال إلى درجة من الضنى والهزال، قد تودي بهم إلى الموت!

وبسبب ورود خرافة هذا في الحديث النبوي –والذي لم يصح– وجدنا من يتحدث عن خطف الجن للإنسان، وعن الأحكام الشرعية المترتبة على تغيّب المخطوف من الجن، كم تنتظره زوجته قبل أن تُطلق!! ولست أدري كيف يُحكم على المتغيب بأنه مخطوف من الجن!! ولست أدري ما دليلهم على أن الجن تختطف الإنسان! هل تعد رواية ذلك الرجل الذي اختطفته الجن في عهد عمر بن الخطاب، وعاد بعد أكثر من أربع سنوات– دليل؟!

ونذكر للقارئ نموذجاً ذكره السيوطي في "لقط المرجان"، يتحدث عن اختطاف جن بشرا، ليحكم بنفسه على هذه القصص، حيث قال: "عن النضر بن عمرو الحارثي

---

[167] أحمد بن حنبل، المسند، الجزء السادس، ص.157.

قال: كنا في الجاهلية إلى جانبنا غدير فأرسلت ابنتي بصفحة لتأتينا بماء فأبطأت علينا فطلبناها فأعيتنا، فوالله إني لذات ليلة جالس تعباً تحت مظلتي إذ طلع علي شبح، فلما دنا مني إذ ابنتي فقلت: ابنتي؟ قالت: نعم ابنتك. قلت: أين كنت أي بنية؟ قالت: أرأيت ليلة بعثتني إلى الغدير؟ أخذني جني فاستطار بي فلم أذل عنده حتى وقع بينه وبين فريق من الجن حرب فأعطى الله عهداً إن ظفر بهم أن يردني عليك، فظفر بهم فردني عليك. فإذا هي قد شحب لونها وتمرط شعرها وذهب لحمها فأقامت عندنا فصلحت، فخطبها ابن عمها فزوجناها وقد كان الجني قد جعل بينها وبينه أمارة إذا أرابها ريب أن تدخن له، وإن ابن عمها ذاك عيّب عليها وقال لها: جنية شيطانة ما أنت بإنسية. فدخّنت. فناداه مناد: مالك ولهذه؟ لو كنت تقدمت إليك لفقأت عينك، رعيتها في الجاهلية بحسبي وفي الإسلام بديني...[168]" اهـ

إن هذه الرواية وأمثالها، تعد نموذجا أكثر من ممتاز للخرافة، إنها سمر لبعض الأشخاص، فهل تُعد حجة وبرهانا؟! وعلى الرغم من ذلك وجدنا من يتخذها متكأ ودليلاً! إن هذه القصص تصلح أن توضع بين قصص ألف ليلة وليلة، لا أن تُقبل كخبر عن واقع حاصل، لأنه لا دليل جازم بوقوعها!!

إننا نسأل الذين يقولون أن الجن تخطف البشر، لأي سببٍ كان، سواء كان للانتقام أو للعشق، ما الذي يمنع الجن أن تخطف البشر كلهم أو على الأقل الخارق الجمال فيهم، فتخطف الجنية لنفسها أجمل الرجال! ويخطف الجني لنفسه أجمل النساء؟!

إن الله تعالى قال أنه سخر لنا ما في السماوات والأرض جميعاً منه، فهل اختطاف الجن الإنسان من تسخيرها لنا؟!

إن الله تعالى لم يحدثنا في كتابه عن اختطاف الجن/الجان للبشر، ولو كان هذا ممكن الحدوث لأعلمنا الله به ولعلّمنا كيف نتقيه، أو حتى وجدنا في حديث الرسول الكريم ما يشير إليه، ولكننا لم نجد هذا ولا ذاك، وهذا يعني أن هذه الخرافات لم تكن

(168) جلال الدين السيوطي، لقط المرجان في أحكام الجان، تحقيق: مصطفى عاشور، ص.94.

موجودة في الجاهلية وإنما كانت مما تأخر ظهوره بعد الإسلام، بعد أن ترسخت صورة الجن الخرافية عند الداخلين الجدد في الإسلام، والذين بدأوا في التعرف عليه ممزوجا بالثقافة العربية! إننا نتساءل: كيف يختطف الجن الإنسان؟ إن صورة الجني عند عامة الناس هي أقرب ما يكون إلى الشبح، (دخان على هيئة إنسان تقريباً)، فكيف يحمل جسماً معه ويختفي به؟! فإذا قلنا أنه شفاف وقادر على الاختفاء، فإنه لا يستطيع حتما أن يُكسب جسد البشري المختطَف هذه المزية! أي أنه يظل مرئيا، مجبراً على أن يسير على الأرض، لا يقدر على أن يطير في الهواء! فكيف يختفي البشر؟!

وإذا قيل أن الجني يتجسد ويتشكل بأي شكل يستطيع أن يحمل به الإنسان، -وعلى الرغم من رفضنا لتشكل الجن- نقول: إن الجني في هذه الحالة يكون محكوما بطبيعة الجسد الذي تشكل به! -كما قلتم أن الجن يمكن قتله إذا تشكل بهيئة حيّة أو أي دابة- فكيف يمكنه أن يطير في هذه الحالة؟!

إن آفة من يقبل بوجود الجن أنه لا يُعمل عقله في أي مسألة، فطالما أن الأمر متعلق بالجن فلا تفكر كيف حدث هذا، وهل يقبل العقل هذا أم لا؟! فالجن قادرٌ على كل شيء -معاذ الله- فهو يظهر ويختفي -كما يحدث في أفلام الرعب- ولا تسل كيف قطع المسافة من بلدٍ لآخر، أليس جناً؟! ويتحول من شكل لآخر كما يحلو له! وعلى الرغم من تحوله لهيئة ما فإنه يمتلك نفس القدرات الموجودة عنده بدون أي نقصان!

أما نحن فنحاكم الذين يصورون الجن على أنه كائن طفيلي، أقرب ما يكون للبشر، ونقول لهم: طالما أنكم جعلتموهم من عالمنا، فلزامٌ أن يكونوا محكومين بسنن عالمنا، والتي بثّها الله في كونه، أما أن يعطي الله لهؤلاء هذه القدرات وهم يخوضون معنا نفس الاختبار، فإن هذا يعني أنهم هم خلفاء الأرض ... وليس نحن!

نكاح الجن للإنسان

بعد أن عرضنا لمسألة اختطاف الجن للإنسان وأظهرنا بطلانها، نعرض لمسألة أخرى أكثر شهرة، وهي مسألة نكاح الجن الإنسان، وهي من الأمور التي نسمع عنها دوماً، وتُحاك حولها الكثير والكثير من القصص. وأنا نفسي استمعت إلى قصة من إحدى قريباتي، وكانت تؤكد بكل ثقة أن إحدى قريباتها كانت تُضاجع من الجن!!

والناظر في كتب الفقه بخصوص هذه المسألة يجد أن الفقهاء قد تحدثوا عن حكمها في كتبهم، فوجدنا أن منهم من قال بالتحريم مثل الإمام أحمد، ومنهم من قال بالكراهة مثل الإمام مالك وغيره، ومنهم من قال بالإباحة مثل بعض الشافعية!!

والحديث عن حكم مسألة في كتب الفقه مترتبٌ على وقوعها أو إمكان وقوعها، وعلماء الفقه كانوا يكرهون "الأرأيتين"، –الذين يفترضون مسائل لم تحدث، ويسألون الفقهاء عنها قائلين: أرأيت لو حدث كذا وكذا–، وكانوا لا يجيبونهم، ويقولون أنهم سيردون عند وقوع المسألة.

ولست أدري لماذا لم يجيبوا بهذه الإجابة عند عرض هذه المسألة عليهم! إنه لم يقم دليلٌ في كتاب الله على وقوع هذا النكاح، ولم يأت ذكرٌ لها في أقوال الرسول إلا في روايات قليلة في الكتب التي حوت الموضوعات والأحاديث شديدة الضعف!

والله المتعال العظيم قال في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم, ٢١] فمن آيات الله أن جعل لنا من جنسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة! فكيف يتحقق ذلك مع الجن؟! ولماذا يتحقق أصلا؟!

من المفترض أن كل خلقٍ من خلق الله لا يجد اللذة إلا مع جنسه، فالقرد لا يطأ إلا قردة، والحمارُ إتان، والأسد لبؤة، وهكذا.

فإذا أخذنا في الاعتبار أن الإنسان والخنزير هما اللذان يمارسان الجنس شهوة، بخلاف باقي الحيوانات التي تمارس الجنس في موسم التزاوج فقط، فإن لنا أن نتساءل: هل يمارس الجن –المزعوم– الجنس شهوة أم في موسم التزاوج؟!

وإذا قلنا أنه يمارسه شهوة فمن المفترض أن تكون شهوته في بنات جنسه، وليس في جنس آخر، فما الذي يدفع الجني إلى فعل هذا الشيء إلا إذا كان شاذا؟!! وعلى هذا فمن المفترض أن التركيب –الجسماني– للجن هو نفس تركيب الإنسان إلا أنه في صورة دخانية! فهل سيتلذذ وهو بهذه الصورة بالمرأة البشرية المكونة من اللحم والدم!

لاحظ أن كل النساء اللاتي يدّعين أن الجن يضاجعهن يقلن أنه يضاجعهن بدون أن يظهر، وبدون أن يتشكل في هيئة بشرية! أي أنهن يشعرن فقط بأنهن يمارسن العملية الجنسية، ولم تقل واحدةٌ منهن أن الجني تشكل في هيئة بشر!

فكيف لتلك المرأة أن تحكم أن ما يحدث له هو وطء من جني، وليس خيالات في رأسها، راجعة إلى مرض نفسي أو حرمان جنسي؟!

والناظر في الأدلة التي استدل بها القائلون بوقوعه يجدها أدلة موضوعة في غير موضعها، والاستدلال بها سذاجةٌ متناهية وجذبٌ للآيات لما يؤمن به الإنسان! ويجد الطرح نفسه متكلف! فإذا نظرنا في طرح الإمام السيوطي لهذه المسألة نجده يأتي بأقوال وتفسيرات يأبها العقل والعلم والقرآن: "فقيل: إنه غير ممكن، والحق إمكانه، قال الثعالبي: زعموا أن التناكح والتلاقح قد يقعان بين الجن والإنس، قال تعالى: (وشاركهم في الأموال والأولاد). وأخرج الحكيم الترمذي وابن جرير، عن مجاهد، قال: إذا جامع الرجل أهله، ولم يسم، انطوى الجان على إحليله، فجامع معه، فذلك قوله تعالى: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان). وقال الطرطوشي في كتاب "تحريم الفواحش"، باب من أي شيء يكون المخنث: (...) عن ابن عباس، قال: المخنثون

أولاد الجن. قيل لابن عباس: كيف ذلك؟ قال: إن الله ورسوله نهيا أن يأتي الرجل امرأته وهي حائض، فإذا أتاها سبقه الشيطان، فحملت، فجاءت بالمخنث[169]" اهـ

فكما رأينا فهذا نموذجٌ فج للي آيات الكتاب لتُتخذ دليلاً! فمشاركة إبليس لنا في الأولاد تعني أن إبليس يضاجع أزواجنا! ومن ثم فكان من المفترض أن يقول الله: وشاركهم في الأموال والأزواج! لأن الواحد منا يضاجع زوجه وكذلك يضاجعها إبليس، فالاشتراك وقع في الزوجة وليس في الولد!

كما أننا رأينا تصوراً جديداً في القول المنسوب إلى مجاهد، فالجن لا يضاجع المرأة، وإنما ينطوي كله على ذكر الرجل فيدخل معه! وهذا يعني أن الجان كله –وليس عضوه– أصبح داخل المرأة، ولست أدري كيف يضاجع هذا الكائن الصغير المرأة! كما رأينا نموذجا للجهل الصريح في القول المنسوب إلى ابن عباس، والذي جعل المخنثين أولاد الجن، بسبب نكاح الرجل زوجه في الحيض!

وبغض النظر عن أن العلم أظهر سبب حدوث المخنثين فإن الحمل لا يحدث في فترة الحيض أبدا!

العجب كل العجب فيمن يقول أنه ممكن وقوعه عقلاً، فالذين يدعون هذا يقولون أن الجن قادر على الخلق!! والله وحده هو الخلاق العليم! فإذا قلنا أن الجني قادر على التشكل في هيئة بشر ومضاجعة المرأة، فهذا يعني أنه قادر على الإنزال في رحمها، وهنا نتساءل: من أين أتى الجني بهذا المني؟! من المفترض أن الجني من نار، فإذا استطاع تحويل المواد النارية إلى ماء مهين، فهذا يعني أنه أقدر من الله! –تعالى الله عن ذلك– فالله خلق الإنسان من ترابٍ مر بمراحل عديدة، حتى كوّن منها خلية غُرست في الأرض، نشأ منها الإنسان، وخرج الناس من الأرض[170]، أما ذلك الجني

---

[169] المرجع السابق، ص.30–31.

[170] نطلب إلى القارئ قراءة كتابنا: نشأة الإنسان، ليتعرف على تفاصيل نظريتنا حول خلق الإنسان الأول.

فيستطيع أن يحول بعضاً منه إلى ماء في لمح البصر، ويحول نفسه كله إلى لحم وعظم ودم!

وإذا كان قادراً على تحويل بعضه إلى ماء، فبالتأكيد هو قادر على أن يحول بعضه إلى إنسان، فما أقدر هذا الجني، إنه خالق حقيق!!

ونقول للمدافعين الذين سيقولون أن التشكل في الظاهر فقط، أي أنه نوعٌ من خداع أعين الناس وأنه يظل على طبيعته بدون تغير: لماذا قلتم أن الجني المتشكل يمكن قتله؟ إن هذا يعني أنه اكتسب طبيعة جديدة، وليس أن التغيير في أعين الناس! ومن ثم فهو يخلق!

وبغض النظر عن هذا كله فلماذا لا يُحبل الجن جل نساء البشر؟! لماذا لا يضعون مائهم! في أرحام النساء؟! إن هذا من أكبر ما يمكن أن تتعرض له المرأة، أي امرأة، شرقية كانت أو غربية، أن تجد في بطنها جنيناً لا تعلم من أين أتى! ناهيك عن المشكلات التي ستتعرض لها النساء الشرقيات المسلمات خاصة، بسبب هذا الحمل!!

في ختام نقاشنا لهذه النقطة نسأل المصدقين بها مجددا: هل ترى أن الجن قادرٌ على الخلق؟ فإن كانت الإجابة بلا، انتهى تماما النقاش حول مسألة نكاح الجن للبشر!!

مثلث برمودا .. والشيطان

ليست الأزمنة الغابرة فقط هي الأزمنة التي انتشرت فيها الخرافات وعششت، وإنما زماننا هذا والأزمنة القادمة وكل زمان قابل لأن تظهر فيه خرافات وتعشش وتفرخ! وتُكسى الخرافة في كل زمان بما يناسبها، وبما يجعلها مقبولة مستساغة عند المتقبلين، أو على الأقل في حيرة منها لا يستطيعون إيجاد تبريرٍ لها!

ويعد مثلث برمودا نموذجا مثالياً للخرافة، التي يعمل كثيرون على ترسيخها وتهويلها، حتى تصبح من المسلّمات، ثم يتفنن آخرون في إيجاد تعليلات لها، فتخرج لنا المخيلة البشرية أفكاراً عجيبة مستندة على أسس واهية!

فما هو هذا المثلث، وما ارتباطه بالشيطان؟!

مثلث برمودا هو منطقة جغرافية على شكل مثلث تقريبي وليس حقيقياً، مساحته حوالي 1.1 مليون كم^2، يقع في في الجزء الغربي من المحيط الأطلسي بجوار الساحل الجنوبي الشرقي لولاية فلوريدا، ويقع بين برمودا، وبورتوريكو، وفورت لودرديل (فلوريدا)، ويعرف كذلك ب "مثلث الشيطان".

وبرمودا التي سُمي المثلث باسمها هي عبارة عن مجموعة من الجزر، يبلغ عددها 300 جزيرة، ليست كلها مأهولة بالسكان، وإنما المأهول منها فقط ثلاثين جزيرة، عاصمتها "هاملتون" وتقع في الجزيرة الأم. واشتهرت هذه المنطقة عن غيرها بسبب مؤلفات كُتبت في النصف الثاني من القرن العشرين، تحدث مؤلفوها حالات اختفاء غير طبيعية في هذه المنطقة.

والحق يقال أنه قد وقعت بالفعل في هذه المنطقة بعض حوادث اختفاء في هذه المنطقة، كُتب لبعضها الانتشار والشهرة، مثل:

اختفاء اثنتين من أخوات السفينة "السايكلوبس" في آخر شهر نوفمبر وبداية ديسمبر في عام 1941.

اختفاء طائرة الجيش سي-45 في عام 1947 على بعد 100 ميل من برمودا.

اختفاء طائرة في يوم 30 يناير من عام 1948، بعد رحلة ترانزيت إلى برمودا.

اختفاء طائرة دي سي-3 في عام 1949، كانت تحمل ثلاثين رجلاً وامرأة وطفلين.

وهناك حالات اختفاء أخرى غير هذه الحالات، إلا أن أشهر حالات الاختفاء، كانت حالة اختفاء السرب رقم 19 بقيادة الملازم تشارلز تايلور، والتي بدأ بعدها ظهور كتابات كثيرة عن هذه المنطقة، بل وتم تجسيد هذه الواقعة في فيلم شهير من إخراج ريتشارد فريدنبرج. ومن يقرأ ما كُتب عن هذه الرحلة –وغيره– يعجب كيف اختفت هذه الرحلة وهذا السرب، فمما وُصفت به حالة الاختفاء هذه: "وهؤلاء الرجال الذين يعملون في السرب 19، قد أنجزوا طلعات جوية ناجحة طوال عدة سنوات، وتتراوح مدة خبرة أفراده ما بين ثلاثة عشر شهرا وست سنوات (...) وفي الساعة الرابعة بعد الظهر.. تلقت القاعدة الجوية رسالة من قائد السرب تشارلز تيلور – ينادي. القائد: نحن في حالة طوارئ.. يبدو أننا خارج خط السير تماماً.. لا استطيع رؤية الأرض.. لا استطيع رؤية الأرض.. القاعدة: أين موقعك بالضبط؟ القائد: لا استطيع تحديد المكان، ولا أدري حتى أين نحن على الإطلاق! أعتقد أننا قد فُقدنا في الفضاء! (...) القائد: لا أدري في أي اتجاه يوجد الغرب.. كل شيء غريب.. لا استطيع تحديد أي اتجاه، حتى المحيط أمامنا يبدو في وضع غريب.. لا استطيع تحديده. وقد زادت دهشة رجال القاعدة، لأنه حتى في حالة ما إذا تعطلت البوصلة، فمن غير المعقول ألا يوجد من ضباط الطائرات من يستطيع تحديد الغرب، إذ يمكن أن يعتمد في ذلك على الرؤية البصرية، لأن الشمس في هذا الوقت تكون قد مالت نحو الغرب.[171]" اهـ

من يقرأ مثل هذه الكتابات لا بد أن يصدق أن هناك ظواهر غريبة تحدث في هذه المنطقة، ومن ثم تشطح الأذهان في تصور العلة في حدوث حالات الاختفاء التي لا يوجد لها سبب مباشر، والتي تحدث في وضح النهار، وبدون تقلبات جوية. فيظهر من يقول أنها ظواهر طبيعية غير مفهومة، وآخر يقول أنها كائنات من كواكب أخرى، تخطف البشر لتجري عليهم تجارب ولتتعرف علينا!

ويعرض محمد عيسى داود بعض الآراء المطروحة كتفسير لحالات الاختفاء في مثلث برمودا فيقول: "في قضية (برمودا)، فما زالت التأويلات والتحليلات بعيدة المنال:

[171] مروة عماد الدين، الرحلات المفقودة عند مثلث برمودا، جزر الشيطان المخيفة، ص.57–58.

كمن قال إنها أمواج عاتية، سببها زلازل في قاع المحيط، ومن قال إنها صواعق كروية تحرق الطائرات المارة على المثلث. وتظرّف بعضهم في خياله فقال بوجود (التفاف في متصل الزمان) يقود إلى بعد زمني آخر. وما زال أقوى الآراء هو الرأي الذي يعزو الأمر كله للأجسام الطائرة المجهولة الهوية أو الأجسام الغاطسة المجهولة، ويربط بين المثلث وهذه السفن الفضائية الغامضة، مؤكدين جميعاً أنها مقودة بطواقم طيارين من عوالم أخرى، وأنهم يختطفون البشر للحصول على نماذج من سكان الأرض، وأمثلة عن التكنولوجيا الأرضية المعاصرة. وهناك رأي شاذ لأحد علماء النفس الأوروبيين – توفى سنة 1944م، وكان يُلقب ب (النبي النائم)– يعتقد فيه أن قارة أطلنطس قد غرقت في (بحر بيميني) وهو مكان الكثير من حوادث الاختفاء، وأن مصادر الطاقة التي كان يستخدمها سكان الأطلنطس لا تزال تؤثر على البوصلات والأجهزة الحديثة.[172]" اهـ

ولم يقنع بعض المحسوبين على التيار الإسلامي بالتبريرات التي قدمها الغربيون – الكفار– لتلك الظاهرة، ومن ثم أدلوا بدلوهم في الموضوع، فقدموا تفسيراً إسلاميا!! لحالات الاختفاء تلك، فقال بعضهم أن حالات الاختفاء هذه راجعة إلى أن تلك المنطقة هي مقر المسيخ الدجال[173]! فهو مقيد بإحدى الجزر –كما جاء في الروايات–، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون هو سبب هذه الحوادث.

ولم يقنع آخرون بهذا فقالوا أن المسيخ الدجال ليس هو المسئول وإنما الشيطان الأكبر نفسه! واستندوا في هذا إلى الحديث الذي رواه مسلم –وغيره– والذي يروي عن النبي الكريم أنه قال: "... عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم

---

[172] محمد عيسى داود، الخيوط الخفية بين المسيخ الدجال، وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة، ص.146–147.

[173] المسيخ الدجال خرافة مسيحية، اختُلقت للصد عن الرسول الكريم، وعندما جاء الإسلام حُورت حتى لا يظهر صدق الرسول الخاتم وأنه هو المبشر به، بل وصبغت بصبغة إسلامية، وجُعلت في شخصية تظهر في آخر الزمان، بسمات خرافية! ولقد عرضنا لهذه الخرافة في كتابنا: عقائد الإسلاميين بين وحدة المنهج وتباين الأحكام، وأظهرنا أنها تتعارض مع أصول الدين!

يقول: إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة[174]" اهـ

فبما أن عرش إبليس على البحر، وهناك منطقة تحدث فيها حالات اختفاء غير طبيعية، وهناك حديث عن أجسام غير مألوفة تظهر فوق هذه المنطقة، فحتما هذه الأجسام مرتبطة بالشياطين، وليست أطباق طائرة لمخلوقات غير أرضية[175]، ويكون عرش الشيطان في هذه المنطقة، والويل لمن يقترب من عرشه!!

ولهذا اعتُبر مثلث برمودا من الألغاز الطبيعية التي تثير الفضول وخاصة عند الشباب، الذين يجذبهم المجهول. وهنا نتوقف لنبين كيف أن الاعتماد على كتّاب غير موثقي المصادر، والاعتماد على قيل وقال، وأن عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية يؤدي إلى نتائج كارثية، من بينها ظهور خرافات عالمية، مصبوغة بصبغة علمية! ومثلث برمودا المثال الأفضل لمثل هذه الحالات.

---

[174] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الرابع، ص.2176.

[175] ليس بعض المحسوبين على التيار الإسلامي هم فقط من يربطون بين ما يُسمى بالأطباق الطائرة والشياطين، فهناك من المسيحيين من يفعل ذلك أيضا، فنجد أن الباحث المسيحي مجدي صادق –المدرس بمعهد الدراسات القبطية– يؤيد هذا التوجه في كتابه: الأطباق الطائرة هل هي مركبات الكروبيم، ويدافع عن وجهة النظر التي تقول هذا، ومما ذكره في كتابه المذكور في صفحة 19: "ذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن الأطباق الطائرة هي في حقيقتها مركبات شيطانية، خرجت علينا من أقسام الأرض السفلى، وأن خروجها ما هو إلا مقدمات تمهد لمقدم المسيح الدجال. فالأطباق الطائرة وفقا لما يرى أنصار هذا الاتجاه هي أرواح ملائكية ساقطة تأخذ في ظهوراتها وتجلياتها شكل السحب أو كرات النار أو البرق الكروي.

ويلخص نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات اللاهوتية العليا والبحث العلمي أهم آراء القائلين بهذا الرأي بقوله: إن هناك نظرية حديثة غريبة الشكل تفسر ظاهرة الأطباق الطائرة بأنها خرجت من أقسام الأرض السفلى، وأن هذه الظهورات ما هي إلا مقدمات للحرب التي سيقودها الشيطان ضد الكنيسة في الأيام الأخيرة، وهذا التفسير يستند إلى أسس علمية. فقد لاحظ العلماء أن ظاهرة السحب الملونة وهى عظيمة الشبه بالأطباق الطائرة تتواجد بكثرة في منطقة القطب الشمالي. وقد اكتشف العلماء عند القطب الشمالي تجويفا أرضياً يمتد إلى باطن الأرض.

هذا الكشف العلمي الحديث جعل العلماء –لأول مرة– بعد أن تبرهن لهم وجود علاقة بين التجويف الأرضي الممتد إلى باطن الأرض وظاهرة السحب الملونة– يستنتجون أن هذا التجويف يؤيد فكرة وجود عالم سفلى هو عالم الأرواح السفلية، حيث الشيطان وكل جنوده حيث الجحيم بحسب ما ورد فى كل التراث الإنساني." اهـ

هدم الأكذوبة

إن الحقائق تقول أن هذا المثلث لا يختلف عن غيره، إلا أن الإنسان يميل دوماً إلى تصديق الكتابات المثيرة، -والتي يرنو أصحابها إلى الكسب المادي والانتشار-، فلما ظهرت كتابات في العقد السادس من القرن العشرين تصف حالات الاختفاء في هذه المنطقة، مثل ما كتبه جورج ساندز في مقالة في مجلة المصيرFate magazine في عام 1952، تحدث فيها عن غموض في اختفاء مركبات في هذا المثلث. ثم توالت الكتابات بعد ذلك، ومن ذلك كتاب: عالم نسيان المفقودين، والذي ألفه جون والاس سبينسر في عام 1969، وركز فيه على حوادث الاختفاء في هذه المنطقة بعينها، ولم يعرض لحوادث الاختفاء الكثيرة في مناطق أخرى.

وبما أن هذه الكتب صادرة في الغرب، فلا بد أن مؤلفيها من الثقات، الذين ينقل المرء عنهم بدون أي شك، ومن ثم ظهر عدد من الكتب باللسان العربي تتحدث عن نفس الظاهرة، تنقل عن أي كتاب تصادفه حول هذه المنطقة، ولا يهم من كان مؤلف هذا الكتاب، فهو بالتأكيد ثقة. ومع كثرة الكتابات والمعالجات بالأفلام الوثائقية والدرامية بمختلف لغات العالم، ظُن أن ما يقال حقائق مؤكدة، ومن ثم تدخل بعض الإسلاميين ليدلوا بدلوهم وليمثلوا بتدخلهم عنصر تصديقٍ وتأكيد لما يُروى عن ذلك المثلث!

والعجب كل العجب أن الأكثرية تميل دوماً إلى نظرية المؤامرة أو الفاعل الخفي، ومن ثم فلا تصدق أن كل ما يقال هو نوعٌ من التهويل والتخويف، على الرغم من أن الدراسات الموثقة تقول أنه لا شيء يختلف في ذلك المثلث عن غيره من المناطق البحرية الأخرى، وظهرت كتبٌ عديدة منذ فترات طويلة، أبطلت تلك الخرافات، إلا أنه لم يُلتفت إليها!

ومن ذلك كتاب مثلث برمودا– تم حل اللغز، والذي صدر في عام 1975 ، حيث تحرى مؤلفه لاري كوشيه، حول هذه الإدّعاءات الموجودة في المقالات والكتب. فقام بالبحث والتنقيب بعناية في السجلات التي أهملها الآخرون.

ووجد أن معظم الحوادث التي وُصفت بأنها غريبة لم تكن غريبة في أغلب الأحيان، وكان المؤلفون يذكرون أن سفنا أَو طائرات اختفت فيما كان البحر هادئاً بصورة غير طبيعية، بينما كانت سجلات خفر السواحل تشير إلى عواصف عاتية كانت تضرب منطقة الحادثة. أو عندما يذكر البعض أن السفن اختفت بصورة غامضة ولم تظهر، تكون الحقيقة أن بقايا تلك السفن قد وُجدت وتم التعرف على سبب الغرق.

فهذا الكتاب وغيره، أظهر أن هذا الوهم الكبير ما هو إلا "فبركة" مؤلفين ومخرجين، ونقل عنهم من نقل بدون تحرٍ كاف! وحتى لا يظل النفي نفياً عاماً نعرض للقارئ الكريم بعض ما ذكره الدكتور عبد المحسن صالح في تفنيد بعض الخرافات التي أثيرت حول هذا المثلث. "والآن... ما هو رأي العلم في هذه الأمور الغريبة؟

الواقع أن ما أثير حول هذا المثلث المرعب فيه مبالغات ومغالطات كثيرة، ولو أنصفناه لظهر لنا أن العالم كله أكثر رعبا من مثلث الرعب ... فهناك إحصائيات دقيقة تشير إلى عدد الحوادث التي تتم في قطاعات مختلفة من هذا العالم، ومن هذه الإحصائيات يتضح أن مثلث برمودا بريء من حوادث الموت والتدمير، أو القوى الخفية التي تتسلط على مائه وأرضه وهوائه، وأن ما يحدث فيه –رغم شدة الحركة فيه– أقل مما يحدث في أماكن كثيرة مماثلة في العالم.

فمؤسسة لويدز للمعلومات بلندن، وكذلك تقارير إدارة حرس السواحل الأمريكية – وهي جهات موثوق بها وبمعلوماتها وإحصائياتها– تشير إلى أن ما فُقد في مثلث برمودا في عام 1975 كان أربع سفن لا غير من مجموع ما فقد حول السواحل الأمريكية جميعها، ويقدر عددها بإحدى وعشرين سفينة مفقودة... أي أن نصيب مثلث برمودا من هذه الحوادث كان أقل من 20%.

وفي عام 1976 –على حسب ما تقول إدارة حرس السواحل الأمريكية– فإن المفقود في مثلث برمودا بلغ ست سفن من 28 سفينة مفقودة حول سواحل أمريكا، وهذا ينفي تلك اللعنة التي ألصقت لصقا بذلك المثلث البريء. أضف إلى ذلك أن إدارة حرس السواحل الأمريكية في دهشة من هذه المعلومات المضللة والخادعة التي تنشرها تلك الكتب غير الجادة، والتي تستقي معلوماتها من خيال وخزعبلات تضر ولا تنفع... فعلى حسب إحصائيات ملفات إدارة حرس السواحل فإن مثلث برمودا يعتبر من أكثر المناطق في العالم حركة وازدحاما، إذ ينطلق على سطح مياهه أكثر من 150 ألف سفينة من كل الأنواع والأحجام، وأنها –أي الإدارة– تتقبل من إشارات الاستغاثة سنوياً حوالي عشرة آلاف استغاثة، لذلك فإن هذا العدد الضئيل للغاية من السفن التي تغرق سنويا في هذه المنطقة (ما بين 4–6 على حسب آخر إحصاء)، يشير إلى عدم وجود قوى خفية مزعومة تخطف السفن وتستولي على المتاع، وتسبي الناس![176]" اهـ

وكما رأينا فالمنطقة لا تزيد عن غيرها في حوادث الاختفاء، إلا أن بعض الكُتاب أصحاب الخيال الواسع، كتبوا قصصا حول هذه المنطقة، وللأسف الشديد اعتُبرت كتباً موثقة! ومما قدمه الدكتور عبد المحسن كنماذج للإضافات، التي أضافها المؤلفون من عند أنفسهم: "ويظهر عدم دقة هؤلاء المؤلفين، وتقديم معلومات خاطئة، أو ذكر عبارات مثيرة مضللة، أو أقوال ليس لها من أساس... يظهر هذا وغيره من التحقيقات الجادة التي تثار عادة بعد نشر هذه المعلومات الغريبة... فعلى سبيل المثال نعود لنذكر تلك العبارة التي وردت في كتاب "مثلث برمودا" عند غرق السفينة اليابانية رايفو كومارو. إذ وردت صيغة الاستغاثة هكذا: "الآن الخطر يشبه الكابوس"... وصحتها كما وردت في التسجيلات الخاصة بإدارة حرس السواحل "الآن خطير جدا"، وعندما توجهت إليها إحدى السفن القريبة –التي سمعت نداء الاستغاثة– وجدتها

[176] عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، ص.207–208.

تتعرض لعاصفة مروعة أطاحت بها وأغرقتها ... وهذا يعني أن هناك سببا أو تعليلا ملموسا لغرق السفينة، ولم تغرق بسبب قوى أسطورية تسيطر على المنطقة[177]" اهـ

ولا يقتصر الأمر على التلاعب بالألفاظ، وإنما على التلاعب بالمعلومات، ومن ذلك: "وجاء أيضا في قصة الطائرات التي اختفت دون أن تترك أثرا أن اختفاءها كان في الساعة 4.25، وهذا يعني أن الاختفاء كان في وضح النهار، وهذا ليس صحيحا، بل ضلت الطائرات طريقها في الظلام، إذ دلت التقارير على أنها كانت لا تزال على اتصال بالقاعدة حتى السابعة مساء، وفرق كبير بين طيران في النور وطيران في الظلام ... أضف إلى ذلك أن بيرليتز قد أكد أن الطقس وقتها كان صافيا، وهو حقا لم يكن كذلك، إذ أن سجلات الأرصاد الجوية قد أوضحت أن الطقس كان عاصفا، والبحر مضطربا، كما أن الطيارين –باستثناء الليفتنانت تايلور[178]– كانوا حديثي عهد بالطيران، ولا شك في أن سوء الأحوال الجوية والظلام قد أضافا مزيدا من الأعباء على مهمة القائد، وعلى الطيارين الشباب الذين كان معظمهم حديثي عهد بالطيران فوق المنطقة. (...) وفي كتابه الجديد "من دون أثر" يحبك بيرليتز الأسطورة ويعطيها طعما جديدا، إذ إنه يذكر في طبعته الجديدة عبارة غريبة ترد على لسان الليفتنانت تيلور وتقول "لا تتبعني... كأنما هم قادمون من الفضاء"!... أي أنه بهذا يريد أن يوهم الناس بأن مثلث برمودا هو المنطقة المختارة لنشاط الأطباق الطائرة التي أصبحت على كل لسان في الولايات المتحدة، وبهذا يجد استجابة لما يكتب، وتصديقا فيما يتخيل، أو كأنما هو يريد أن يقول –بطريق غير مباشر– إن سبب الكوارث في هذا المثلث إنما تحدث بفعل هذه المخلوقات الشريرة التي جاءت تعلن الحرب والانتقام من أهل الأرض،

---

(177) المرجع السابق، ص.208.

(178) تشير التقارير بأنّ تشارلز تايلور كان يعاني من الصداع بسبب الكحول، ولم يستطع أن يجد شخصا ليحل مكانه في رحلة التدريب، وكان هو القائد والجميع يتبع تعليماته ويعتمد على توجيهاته. وبعد فترة من الطيران تعطلت بوصلة تايلور. لكنه قرر الاستمرار بالطيران اعتمادا على معالم بعض الجزر في الأسفل، لكونه خبيرا بتضاريس جزر فلوريدا حيث كان يعيش، وكان يشعر بالثقة بالاعتماد على البصر في الطيران. واعتقد تايلور بأنّهم كانوا يحلقون فوق خليج المكسيك، وأمر الدورية بالاتجاه شرقا بحثاً عن اليابسة، بينما كانوا على أطراف الأطلسي! وبالفعل أُرسلت طائرة للاستكشاف ولم تعد هي الأخرى، ولكن هذا لم يكن بسبب مثلث برمودا، وإنما لأنها انفجرت في الجو بعد 23 ثانية من الإقلاع، وشوهد انفجارها من القاعدة!

وخاصة من الأمريكان، ونحن لا ندري –بدورنا– لماذا جاءت هذه المخلوقات الكونية العاقلة الفائقة الذكاء والتليدة الحضارة، لكي تقتل وتدمر وتسرق؟![179]" اهـ

فكما رأينا فالمنطقة من مناطق الملاحة المزدحمة ولا بد أن يحدث فيها حوادث اختفاء، ولكن خيال البشر تدخل مضيفاً ونافخاً، ومن ثم أظهر الأمر بشكل اللغز، والذي أصبح لاحقاً أسطورة كبرى! وما هي إلا خرافة عظمى!

وهكذا كل الخرافات في تاريخ البشرية، تعود إلى أصلٍ ما، إلا أن العقل البشري يرفض قراءة الحدث وعرضه كما هو، ويصر على التدخل وصبغه بغموض محبب، ومع تناقل الأحداث تتغير وقائعها العادية وتصبح أمرا أسطورياً .. وعلى السامع أن يتقبل... فهل توهم كل هؤلاء؟!

[179] المرجع السابق، ص.210–211.

الفصل الثاني: مس الجن الإنسان

بعد أن أبطلنا إمكانية نكاح الجن للإنسان نعرض لأهم مسألة تُطرح حولها التساؤلات دوماً، وهي مس الجن الإنسان أو دخول الجن في الإنسان!

نتوقف معها لننظر هل المس الذي ذكره القرآن له نفس الدلالة الموجودة في رؤوسنا، وهل يمكن دخول الجن بدن الإنسان والسيطرة عليه، وإذا كان، فهل يمكن أن يكون القرآن علاجاً له وعاملاً على إخراج الجني!

وهذه النقطة ليست مما يعتقد به العرب المسلمون فقط، وإنما هي موجودة صراحة في أديان أخرى، مثل المسيحية، والتي جاء فيها نصوص صريحة تتكلم عن دخول الأرواح الشريرة والشياطين في بدن الإنسان وقيام المسيح وتلاميذه بإخراجهم من الإنسان، ومن ثم نتساءل: هل مسألة دخول الجن في بدن الإنسان –تبعاً للمنظور الإسلامي– من المسائل التي أتت في نصوص ثابتة، صريحة الدلالة على هذا الأمر؟!

وتأتي الإجابة بأنه لا نصوص ثابتة صريحة الدلالة على هذا الأمر، فعمدة المُمَسّكين بهذا القول هو بعض الروايات الضعيفة المنسوبة إلى النبي الكريم وبعض الصحابة! كما أنهم يظنون أن لهم مستند في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة, ٢٧٥]

فيرون أنها دليلٌ صريح على أن الشيطان يدخل بدن الإنسان –يتلبسه– ويتحكم فيه، ويصيبه بالأمراض والأسقام، وأظهرها الصرع، والذي يسمونه صرع الجن! على الرغم من أن الآية لم تزد عن أن تكلمت عن "تخبط من مس"، ولم تقل بأيٍ مما قالوا.

لذا نتوقف مع هذه الآية لنبين للقارئ الكريم كيف أن الآية لا علاقة لها البتة بما يقولون، ونظهر له مثالاً طيباً لفعل المفسرين حيال بعض الآيات التي لا يستطيعون تصورها، ومن ثم يُفسرها!! أحدهم بأي شكلٍ كان، فيتابعه الباقون على قوله، لأنهم لا يجدون كذلك تصوراً لها، ثم يصبح هذا القول الذي لا ينطبق مع الآية هو التفسير المعتمد لها، والذي عليه إجماع العلماء!!

ونقدم للقارئ الكريم أولاً بعضاً مما قاله الإمام الرازي في تفسيره، حول التخبط، لينشأ لديه تصورٌ حول معنى التخبط، وحول أقوال المفسرين فيها، والجدل الدائر حول فهمها، قبل أن نقدم ما عندنا فيها. قال الإمام الرازي: "التخبط معناه الضرب على غير استواء، ويقال للرجل الذي يتصرف في أمرٍ ولا يهتدي فيه: إنه يخبط خبط عشواء، وخبط البعير للأرض بأخفافه، (جمع خُف –عمرو–) وتخبطه الشيطان: إذا مسّه بخبل أو جنون، لأنه كالضرب على غير الاستواء في الإدهاش، (...) فالتخبط بالرجل والمس باليد، ثم فيه سؤالان: السؤال الأول: التخبط تفعل، فكيف يكون متعدياً؟ الجواب: تفعل بمعنى فعل كثير، نحو تقسمه بمعنى قسمه، وتقطعه بمعنى قطعه. (...) قال الجبائي: الناس يقولون المصروع إنما حدثت به تلك الحالة لأن الشيطان يمسه ويصرعه، وهذا باطل، لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس وقتلهم ويدل عليه وجوه: أحدها: قوله تعالى حكاية عن الشيطان " ... كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ... ﴿٢٢﴾] سورة إبراهيم ,٢٢[، وهذا صريح في أنه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والإيذاء (...) لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع ويقتل لصح أن يفعل مثل معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك يجر إلى الطعن في النبوّة. الرابع: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يصرع جميع المؤمنين، ولم لا يخبطهم مع شدة عداوته لأهل الإيمان، ولم لا يغصب أموالهم، ويفسد أحوالهم، ويفشي أسرارهم، ويزيل عقولهم؟ وكل ذلك ظاهر الفساد. واحتج القائلون بأن الشيطان يقدر على هذه الأشياء بوجهين: الأول: ما رُوي أن الشياطين في زمان سليمان بن داود عليهما السلام كانوا يعملون الأعمال الشاقة، على ما حكى الله

عنهم، أنهم كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات. (...) للمفسرين في الآية أقوال؛ الأول: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا، فعرفه أهل الموقف لتلك العلامة أنه آكل الربا في الدنيا، فعلى هذا معنى الآية: أنهم يقومون مجانين، كمن أصابه الشيطان بجنون. والقول الثاني: قال ابن منبه: يريد إذا بُعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ... ﴿٤٣﴾﴾] سورة المعارج ,٤٣[، إلا آكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا، فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون، ويسقطون، ويريدون الإسراع ، ولا يقدرون. (...) والقول الثالث: أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾] سورة الأعراف ,٢٠١[، وذلك لأن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، فهذا هو المراد من مس الشيطان، ومن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطاً، فتارة الشيطان يجره إلى النفس والهوى، وتارة الملَك يجره إلى الدين والتقوى، فحدثت هناك حركات مضطربة، وأفعال مختلفة، فهذا هو الخبط الحاصل بفعل الشيطان وآكل الربا لا شك أنه يكون مفرطاً في حب الدنيا متهالكاً فيها، فإذا مات على ذلك الحب صار ذلك الحب حجاباً بينه وبين الله تعالى، فالخبط الذي كان حاصلاً في الدنيا بسبب حب المال أورثه الخبط في الآخرة، وأوقعه في ذل الحجاب. وهذا التأويل أقرب عندي من الوجهين اللذين نقلناهما عمن نقلنا.[180]" اهـ

والناظر فيما ذكره الإمام الرازي –وغيره من كتب التفسير– يجد أن هناك ما يشبه الإجماع بين المفسرين على أن المراد من القيام في قوله "لا يقومون" هو القيام في الآخرة، –وذلك لورود رواية عن ابن مسعود، تقول أنه كان يقرأ "لا يقومون من قبورهم"، وكذلك رواية عن ابن عباس تقول أنه يقوم يوم القيامة مجنونا، وكلتا الروايتين ضعيف لا يصح–، والاختلاف دائرٌ حول معنى المس، فهل المراد من المس هو

(180) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء السابع، ص.77–79.

القدرة على تعذيب الإنسان بوسوسة يبثها في صدره، أم المراد من المس هو دخول جسم الإنسان والتحكم فيه!

ونبدأ تناولنا لهذه الآية، –والتي تتحدث عن الذين يأكلون الربا من المؤمنين[181]– بسؤالنا: ما الدليل على أن المراد من القيام في الآية "لا يقومون"، هو قيام في اليوم الآخر؟!

إن سياق الآيات السابقة واللاحقة يقول أنها تتكلم عن قيام في الدنيا وليس في الآخرة، كما أن بنية الآية نفسها تقول ذلك، فالملاحظ أن الله تعالى قال: "لا يقومون إلا كما يقوم" ولم يقل: "لن يقوموا إلا كما يقوم"!

ولست أدري على أي أساس جعلوا القيام الأول –في قوله: لا يقومون– في الآخرة، بينما الثاني –في قوله: يقوم الذي– في الدنيا؟! إنهم لمّا لم يجدوا معمولاً للقيام قالوا أنه في الآخرة، وليس هذا مما يُفهم بداهة، فمن الأرجح أن يكون القيام في الصلاة مثلا، ولقد خطر في بالي هذا الاحتمال ثم رأيت أنه لا إشارة إليه في الآية، لذلك لا يمكن القول به حتى لا نضيف للآية من عند أنفسنا –كما فعل المفسرون!–، ومن ثم فعلينا البحث عن تصورٍ للقيام لا يحتاج إلى معمول، ثم اهتديت إلى أن المراد من القيام هو القيام بالمعنى الشامل له، أي القيام بالأمر والقيام عليه.

ثم وجدت أن الدكتور جمال محمود أبو حسان يقول بنفس ما أقول به بتفصيل كبير، ومما قاله حول هذه الكلمة: "جاء في تفسير الميزان: إن المراد بالقيام هنا هو الاستواء على الحياة والقيام بأمر المعيشة؛ فإنه معنى من معاني القيام يعرفه أهل اللسان في استعمالاتهم، قال تعالى: ﴿... لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ... ٢٥﴾ [سورة الحديد, ٢٥]، وقال تعالى: ﴿... وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ ... ١٢٧﴾ [سورة

---

[181] سياق الآيات يؤكد هذا، فلقد وردت في وسط عدد من الآيات، تخاطب المؤمنين وتأمرهم بالإنفاق والتصدق وإخراج الطيب، وتجنب الخبيث، كما أن الآية تتحدث عن من جاءه موعظة من ربه فانتهى، والكافر لا يستجيب لأي أمر من أوامر الدين أصلا!

النساء ,١٢٧]. وأما كون المراد به المعنى المقابل للقعود فمما لا يناسب المورد، ولا يستقيم عليه معنى الآية. (...) فالذي تخبطته الشياطين هو ذلك الإنسان العاصي بمعصية عظيمة بارزَ اللهَ تعالى بها بالحرب، فتراه يسير لا على هدى، مضطرب الفكر، متقلب المزاج، سريع الغضب، مهووس بالدنيا على نحو بالغ، لا يرى أي عائق أمام تحقيق مصالحه وأهوائه. وهذا لا محالة من أثر الوسوسة الشيطانية التي استولت عليه فقهرته عن إدراك الحقيقة. وبعد فإن الذي يترجح لدي في تفسير هذه الآية بناء على ما سبق بيانه في هذا البحث ما يلي: إن هذه الآية تحكي الحالة النفسية المضطربة لآكلي الربا بعد بيان أنه ما من ذنب قد أعلن الله تعالى الحرب على مرتكبيه إلا هذا الذنب. فالمسلم يدرك عظم الذنب من أكل الربا وحرمته. لكن وساوس الشيطان التي تأتيه من كل باب؛ لتزين له ما في الربا من المنافع، وتزين له التسويف في الابتعاد والتوبة، فتصبح نفس الإنسان من داخلها في تنازع شديد بين أمرين:

الأول: حرمة الربا والوعيد الشديد عليه.

والثاني: ما يُصوّر له من منافع الربا. فتصبح في نفس الإنسان المرتكب لهذه الحماقة حرب نفسية طاحنة. فإما أن يتغلب الشرع الإلهي بما فيه من أوامر ونواهي، وإما أن يغلب على تلك النفس النوازعُ الشيطانية الشديدة. ولذلك ترى كثيرا من متعاطي الربا لا يذوقون للنوم طعما إلا بالعقاقير المهدّئة. هذا إذا جاءوا للنوم، وأما في النهار حيث العمل والنشاط فلعمرك ما أنت راءٍ من الجشع والطمع ما أنت رائيه في تحركات هؤلاء وتصرفاتهم. هذا هو ما تحكيه الآية، وليس فيه للشيطان إلا أنه سوّل لهم هذا المنكر بوسوسته وإيحائه.[182]" اهـ

وهنا نقول للقارئ الكريم: أيهما تتقبل وتتبع: الذي يفهم كتاب الله كما هو، أم الذي يضيف من عند نفسه؟! بل ولا يكتفي بذلك وإنما يفهم كلام الله على غير ما قال، وبغض النظر عن أن المفسرين لم يتوقفوا مع التركيبة "يتخبطه الشيطان من المس–

[182] جمال محمود أبو حسان، دراسة بعنوان: العلاقة بين الإنسان والجان بين اليقين القرآني والموروث الاجتماعي.

بقدر ما تستحق، وفسروها على غير ما تقول، فإن النقطة الرئيس هم فهمهم للمس، والذين يدعون بأن المراد منه دخول الشيطان في جسم الإنسان والتحكم في عقله!

مس الشيطان أيوب

وكما اتخذوا هذه الآية دليلاً بلا بينة ولا مستند في كتاب الله ولا لسان العرب، فهموا آية سورة ص: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة ص, ٤١] فقالوا أن الشيطان مس سيدنا أيوب بنصب وعذاب، ورووا في ذلك رواية من الإسرائيليات تحكي تسلط الشيطان على أيوب وأهله! والآية لم تزد عن قالت أنه مسه بنصب وعذاب، لا أنه دخل فيه وتحكم في عقله، ولو كان كذلك لما أحس به أصلا! والمفسرون مختلفون حول الآية، فمنهم من يقول بما ورد في الإسرائيليات ومنهم من يقول أن النصب والعذاب الذي أصاب أيوب هو من الخواطر التي ألقاها الشيطان في صدره، فأصابه بالهم والغم الشديد بسبب حدوث المكروه وزوال الخيرات.

وأعجبني ما قاله الإمام أبو بكر بن العربي، والذي أورده الإمام القرطبي في تفسيره، تعليقاً على هذه الإسرائيليات –بعد أن أوردها!–، فنذكره هنا رداً على من يقبلون بهذه الخرافات: "وذكروا كلاما طويلا في سبب بلائه ومراجعته لربه وتبرمه من البلاء الذي نزل به، وأن النفر الثلاثة الذين آمنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه، (...) قال ابن العربي: ما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكان في السماء السابعة يوما من العام، فقولٌ باطل؛ لأنه أهبط منها بلعنة وسخط إلى الأرض، فكيف يرقى إلى محل الرضا، ويجول في مقامات الأنبياء ، ويخترق السموات العلى، ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء، فيقف موقف الخليل؟! إن هذا لخطب من الجهالة عظيم. وأما قولهم: إن الله تعالى قال له: هل قدرت من عبدي أيوب على شيء؟ فباطل قطعا؛

لأن الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون؛ فكيف يكلم من تولى إضلالهم؟! وأما قولهم: إن الله قال قد سلطتك على ماله وولده. فذلك ممكن في القدرة، ولكنه بعيد في هذه القصة. وكذلك قولهم : إنه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهو أبعد، والباري سبحانه قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له -لعنة الله عليه- عين، بالتمكن من الأنبياء في أموالهم وأهليهم وأنفسهم. وأما قولهم: إنه قال لزوجته أنا إله الأرض، ولو تركت ذكر الله وسجدت أنت لي لعافيته. فاعلموا وإنكم لتعلمون أنه لو عرض لأحدكم وبه ألم، وقال هذا الكلام ما جاز عنده أن يكون إلها في الأرض، وأنه يسجد له، وأنه يعافي من البلاء، فكيف أن تستريب زوجة نبي؟! ولو كانت زوجة سوادي أو فدم بربري ما ساغ ذلك عندها. وأما تصويره الأموال والأهل في واد للمرأة فذلك ما لا يقدر عليه إبليس بحال، ولا هو في طريق السحر فيقال إنه من جنسه. ولو تصور لعلمت المرأة أنه سحر كما نعلمه نحن وهي فوقنا في المعرفة بذلك؛ فإنه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين الناس وتصويره. قال القاضي: والذي جرأهم على ذلك وتذرعوا به إلى ذكر هذا قوله تعالى: "إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب"، فلما رأوه قد شكا مس الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال. وليس الأمر كما زعموا والأفعال كلها خيرها وشرها، في إيمانها وكفرها، طاعتها وعصيانها، خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكرا، وإن كان موجودا منه خلقاً؛ أدباً أدّبنا به، وتحميداً علمناه. (...) والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات؛ فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً[183]" اهـ

وهذا الكلام الذي أورده الإمام القرطبي عن الإمام أبو بكر بن العربي كلامٌ ثمين، يوضح كيف كان وينبغي التعامل مع هذا الخرافات، وفيه ردٌ على من يفسرون الآية كبرهان على أن الشيطان يُمرض الإنسان! والآية غاية في الوضوح، فسيدنا أيوب

[183] أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الجزء الخامس عشر، ص.208-210.

يشكو مس الشيطان له بنصب وعذاب، فهو يوسوس له ويحاول أن يقنطه من إيمان قومه، أو بأي أفكار أخرى–وغالب الأمراض العضوية أصلها نفسي–، فالنبي كان يتألم لإعراض قومه وأهله حتى مرض، فقال الله له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ولما شفي وهب الله له أهله وآخرين، وليس معنى ذلك أن أهله كانوا قد ماتوا فأحياهم الله له، بل يعني أنهم آمنوا به مع غيرهم رحمة من الله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة مريم ,٥٣]، ولا يعني هذا أن هارون أُحيي لموسى!

ولما كان سيدنا أيوب مؤمناً حق الإيمان، دعا الله أن يذهب ما في صدره، وأن يذهب عنه هذا المرض، لأنه ليس مما يليق بمؤمن أن يكون في مثل هذه الحالة، فاستعاذ بالله فأعاذه، فأين الدليل على التحكم والدخول؟!

تحكيم الروايات

رأينا كيف أن القرآن لم يقل بشيء مما قالوا، وأنه يخالف دعواهم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعتبرون قولهم هو التفسير الصحيح للكلمة، وذلك لورود بعض الروايات عن النبي الكريم تقول بدخول جن في البشر، ومن ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه: "عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلاَتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ. فَقَالَ: ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي. قَالَ: ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ. قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ

مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: الْحَقْ بِعَمَلِكَ. قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ.[184]" اهـ

فيتخذون من هذه الرواية –على الرغم من ضعفها سنداً– متكئاً! ولو نظرنا في صحيح مسلم لوجدنا أن الإمام مسلم يرويها بشكل مختلفٍ تماما، فيقول: "... حدثني عثمان ابن أبي العاص الثقفي أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له: أم قومك. قال قلت يا رسول الله: إني أجد في نفسي شيئا. قال: ادنه. فجلسني بين يديه ثم وضع كفه في صدري بين ثديي ثم قال: تحول، فوضعها في ظهري بين كتفي ثم قال: أم قومك، فمن أم قوما فليخفف فإن فيهم الكبير وإن فيهم المريض وإن فيهم الضعيف وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء.[185]" اهـ

فكما رأينا، فالحديث هنا عن شيء في صدره، كبرٌ أو وسواس، وليس شيطاناً يكمن في داخله يتحكم فيه! بل ونجد الرواية عند مسلم بشكل آخر، فيقول: "عن أبي العلاء: أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا. قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[186]"

والذي يظهر أن الرواة خلطوا بين الروايتين هذه والسابقة فأخرجوا منها شكلاً جديدا، هو ما وجدناه عند ابن ماجة، وبدلاً من أن يكون الرجل يتفل على يساره، أصبح النبي يتفل في فم الرجل!! وبعد أن كان شيطاناً يوسوس أصبح شيطانا في داخله، يأمره النبي بالخروج منه! وحديث ابن ماجة على الرغم من ذلك ليس صريحاً في إثبات دخول الجن في الإنسان والتحكم فيه، لأنه يتحدث عن وسوسة في الصلاة، وهي حاصلة عند كل المصلين، ولم تذكر الرواية أنه خرج منه شيء!

[184] محمد القزويني، سنن ابن ماجة، الجزء الرابع، ص.568.

[185] مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد الأول، ص.341.

[186] المرجع السابق، المجلد الرابع، ص.1728.

لذلك فإن عمدة أدلتهم هو ما رواه الإمام أحمد في مسنده: "... عن بن عباس: أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله، إن به لمما وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا. قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه و سلم صدره ودعا له. فتع تعة فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فشفي[187]" اهـ

فهذه الرواية تتحدث عن شخص مجنون، تأتيه بعض النوبات، ولمّا دعا له الرسول خرج من فمه شيء مثل الجرو الأسود! فهذا دليلٌ صريح على التلبس وعلى تأثير الجن في الإنسان وإصابته بالصرع وخلافه.

إلا أنه يشغب عليهم أنها –وكل الروايات المشابهة– ضعيفة سنداً[188]، مردودة متناً لمخالفتها القرآن والعقل والعلم! والآفة الكبرى أن هناك من يدافع عنها باستماتة! لأنه يعدها من عقائد أهل السنة والجماعة، فإذا أقر بضعف هذه الروايات، يقول أن هناك روايات صحيحة تقول بذلك، ومن ثم يدلل عليها بروايات ليست في موضع الاستدلال، مثل ما ورد أن النبي قال أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم!

وهي مقولة تتحدث عن الشك الموجود عند الإنسان، ليس أكثر، وذلك لأنها قيلت لما قام الرسول الكريم ليقلب زوجه صفية، والتي أتت لزيارته في معتكفه، فلما رآه صحابيان أسرعا، فقال لهما: على رسلكما، إنها صفية، فقالا: سبحان الله! –أي أنهما لا يمكن أن يشكا في النبي– فهنا قال النبي مقولته الشهيرة "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم".

ونجد أن مسلم زاد "وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا أو قال شيئا"، فهذا دليلٌ صريح على أنها في الوساوس والظنون!

وكذلك يستدلون بما رواه البخاري في صحيحه: "عن أَبُي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ

(187) أحمد بن حنبل، المسند، المجلد الأول، ص.239.

(188) انظر "الأسطورة التي هوت، علاقة الإنسان بالجان" لحسان عبد المنان، والذي عرض لكل هذه الروايات وأظهر ضعفها.

الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.[189]" اهـ

وعلى الرغم من أن الرواية تظهر إبليس بشكل أقرب إلى الإله، وعلى الرغم من أن مختلقها نسي أن أم مريم لم تدع هذا الدعاء إلا بعد ولادة مريم، وبعد أن عرفت أنها أنثى، وهذا يعني أن الدعاء تحقق بأثر رجعي!! وعلى الرغم من أنه ليس حكراً على مريم وذريتها، فمن المكن أن يدعو أي إنسان بهذا الدعاء!

على الرغم من هذا كله، فإن هذه الرواية ليست دليلاً على ما يقولون، وإنما هي دليلٌ على أن الشيطان يصيبه بشيء، فمن أجل ذلك يبكي عند ولادته! وهو تفسير خرافي لحدث واقع لا يعرف الناظر له علة، لذلك نُسب إلى الجن كفاعلٍ خفي! كما كان يفعل الجاهليون!!

إن مشكلة أرباب مدرسة الحديث، أنهم يحكمونه في القرآن، بدلاً من أن يجعلونه تابعاً له، وذلك راجع لأنهم أفنوا أعمارهم فيه، أما القرآن فليس لجلهم به علم! والواجب على كل مسلمٍ أن ينظر أولاً في كتاب الله لينظر ماذا يقول بشأن أي مسألة، ثم ينظر بعد ذلك في الروايات، ليخبر هل توافق الكتاب العزيز أم لا، فإن وافقت فبها ونعمت، وإن لم توافق كان من الواجب ردها!

فإذا نظرنا في كتاب الله وجدنا أنه لم يتحدث في آية واحدة عن دخول "جن" في جسم الإنسان، بل إن المشركين الذين حكا القرآن قولهم، وردّ عليهم، لم يقولوا أن النبي الكريم يأتيه جن، يلقي الكلام على لسانه، وإنما كانوا يقولون: "به جنة"

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥﴾ [سورة المؤمنون ,٢٥]
"﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سورة سبإ ,٨]

[189] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجزء الرابع، ص.164.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾ [سورة الأعراف, ١٨٤] وذلك لأن "الجن" كما قلنا هو القوي الفائق، أم "الجنة" فهي كائنات غير بشرية، وحتى قول المشركين أن به جنة، لا يعني أن هناك كائن متلبس بالنبي، وإنما كانوا يقصدون أن هناك كائن يأتي النبي الكريم فيلقي بالقرآن على لسانه، كما كانت شياطين الشعراء المزعومة تلقي القصائد الجيدة على ألسنتهم.

ففي جميع الحالات لا يقصدون أن هناك جان متلبسٌ بالنبي أو بالشاعر، يجعله يتصرف بخبل!

وبما أننا نتكلم عن "به جِنة"، فنلفت انتباه القارئ إلى أن تعبير "به جنة" وكذلك "مجنون" المذكوران في القرآن، لا ينبغي أن نفهمها بالمدلول المعاصر، فهما لا يعنيان أبدا أنه مخبول لا يعقل أويتصرف بطيش، وإنما يعنيان أنه صاحب جِنة، وأن ما يقوله ليس من عنده، وإنما يُلقى على لسانه! فلم يكن أهل قريش بعظيمي الحمق حتى يقولوا أن من يأتي بمثل هذا القرآن مخبول، فإذا كان من يختلق هذا مخبولا، فما هو حال الباقين؟! وإنما كانوا يريدون التعريض به والقول أنه شاعر عظيم أو معلم حسن التعلم، غريب الأطوار والأقوال، يسجع كما يسجع الكهان! إلا أنهم لم يعنوا أبدا ب "مجنون" أو "به جنة" الاستعمال المتأخر الذي أصبحت الكلمة تستعمل به!

وتدبر عزيزي القارئ الآيات القادمة تجد معناها أكثر استقامة على قولنا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [سورة الصّافّات, ٣٦]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤﴾ [سورة الدخان, ١٤]، ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩﴾ [سورة الذاريات, ٣٩]، ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [سورة الـطور, ٢٩].

سلطان الشيطان

على الرغم من أن القائلين بركوب الشيطان الإنسان يقرون بأن الإنسان هو الخليفة في الأرض، إلا أنهم لا يجدون حرجاً في أن يكون لمخلوق طفيلي تابع سلطان عليه، ولا يجدون في هذا تعارضاً مع تكليفه وتشريفه!

والناظر في القرآن يجد أن لا مستند لهم في دعواهم، فالله العليم قد ذكر السلطان الذي مُنح لإبليس –وهو كبيرهم– في اعترافٍ يقدمه إبليس بنفسه في اليوم الآخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ... ﴿٢٢﴾﴾ [سورة إبراهيم, ٢٢] فهو نفسه يقول أنه لم يكن له سلطان علينا إلا أن دعانا فاستجبنا له، وأن علينا أن نلوم أنفسنا وليس هو.

ونلاحظ أن الله تعالى استخدم أسلوب الحصر القصر "ما ... إلا"، فلم يقل: أنا دعوتكم فاستجبتم، وإنما قال أنه سلطانه كان محصورا في دعوتنا، فهل نكذب كلام الله ونقول أن القصر لا يفيد الحصر، وأنه كان له علينا سلطان الدعوة وكذلك التحكم والإمراض!!

كما أن الله تعالى بيّن أن هذا السلطان ليس على كل البشر، وإنما على منيتبعونه فقط، فإذا أنت أطعته كان له سلطان عليك: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر, ٤٢]، "إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل, ٩٩-١٠٠] فليس له سلطان على المتوكلين على الله وإنما فقط على الذين يتولونه، فيجرهم إلى الهلاك، ويجعلهم من أعوانه وجنوده.

والله تبارك وتقدس بيّن لنا في كتابه كيف هو هذا المس الذي يمكن أن يمسه الشيطانُ الإنسان، وأنه لا يزيد عن الوساوس، وعرّفنا كيف يمكن إبطاله، وأن ذلك يكون بالاستعاذة.

وللعلامة الشعراوي –رحمه الله– لطيفة في تناوله للآيات التي تتعلق بحقيقة المس، يقول فيها: "ويجب أن نلاحظ أن الله عز وجل قد فرّق في الحديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته .. فعندما خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام قال: "وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم" .. ولكن عندما خاطب أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾] سورة الأعراف, ٢٠١[إذن فعندما تكلم الحق عن المؤمنين .. انتقل إلى المس، ولكن من رحمته أنه لم ينتقل إلى مرحلة اللمس (الالتحام) .. فالشيطان لا يلتحم بإنسان مؤمن .. وإنما يكون على مسافة قريبة منه .. ماذا يحدث في هذه الحالة؟ .. يتذكر المؤمنون قدرة الله عز وجل على الشيطان .. ويتذكرون أن منهج الله يحميهم من الشيطان.[190]" اهـ

كما أن الرب العليم يقول: ﴿... وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾] سورة النساء, ١٤١[فإذا كان الجن –الكافر طبعا– يركب الإنسان ويسيطر على عقله، فقد سيطر عليه وأسقط عنه التكليف، والله ينفي أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيلا، فهل هناك سبيلٌ أقوى من هذا؟ فكيف ندعي بعد هذا كله أنه –أو أياً من أتباعه– يستطيعون أن يدخلوا في جسد الإنسان ويتحكموا فيه؟!

إن هذا القول مخالفٌ للقرآن أشد المخالفة، لذلك فلا يمكن القبول به بحال، وليست هذه هي الأدلة فقط من القرآن، فهناك أدلة أخرى تؤكد لا عقلانية هذا الأمر، وأنه خرافة في خرافة، وأنه يهدم نفسه بنفسه، وسيعجب القارئ كيف لم ينتبه إلى التناقضات في هذه المسألة.

[190] محمد متولي الشعراوي، الشيطان والإنسان، ص.84.

أسباب المس

إذا نظرنا في الأسباب التي يذكرونها سبباً للمس –تبعا لتصورهم– نجد عجباً، وأموراً لا منطق فيها، فمما ذكره أحدهم في ذلك: "ويمكن تلخيص أسباب مس الجن للإنس فيما يلي:

1- عشق الجني للإنسية، أو عشق الجنية للإنسي.
2- ظلم الإنسي للجني، بصب ماء ساخن عليه، أو بالوقوع عليه من مكان عالٍ وغير ذلك.
3- ظلم الجني للإنسي، كأن يمسه دون سبب، ولا يتسنى له ذلك، إلا في حالة من هذه الحالات الأربع:
   1– الغضب الشديد
   2– الخوف الشديد
   3– الانكباب على الشهوات
   4– الغفلة الشديدة[191]" اهـ

وبغض النظر عن أن هذه الأسباب ظن وتقول ما أنزل الله به من سلطان، فإنها كلها أسباب لا منطقية، فإذا عشق الإنسان القرد فمن الممكن أن يعشق الجن البشر، وإذا كان من الممكن أن يؤذي المادي اللامادي فمن الممكن أن يؤذي الإنسان الجن!!

إن القائلين بالمس حاولوا أن يوجدوا أسباباً يحدث معها المس، حتى لا يُسألوا لماذا لا يركب الجن كل البشر؟! وهي أسباب عقيمة ساذجة، تنبئ عن عقلية المصدقين بها، فإذا كان هناك من يقول أن الجلوس بين الظل والشمس قد يؤدي إلى تلبس الشيطان الإنسان، وهناك من يصدق بهذا الدجل، فماذا ننتظر من هذه العقول!!

[191] وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص.74–75.

إن الخوض في هذه المسائل حديث عن الظن بالظن، فنتركه لمن يقبلونه في دينهم، ونقصد كتاب ربنا اليقيني، نستخرج منه النافع والقطعي.

القرآن شفاء .. أم عذاب؟

الناظر في الكتاب العزيز يجد الرب العليم الخبير يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء, ٨٢] ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة يونس, ٥٧] ويقول: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف, ١٥٤] فالله تعالى يقول أن كتبه كلها هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، والذي لا يتبعها يكون من الخاسرين، فكيف يؤذي القرآن الجن؟

إن المشعوذين والدجالين يدعون أنهم يخرجون الجن بالقرآن، لأنهم يخافون من أن يحرقهم القرآن إذا قرأه الدجال عليهم! فإذا كان القرآن يؤذيهم لدرجة أنه قد يحرقهم أو حتى يسبب لهم الآلام الشديدة!!، فكيف نطالبهم بالإيمان به وبالاستماع إليه حتى يدخلوا في الإسلام؟! وكيف استمع الجن المزعوم إلى القرآن أيام الرسول و لم يحترقوا؟!

نعم، نحن نعلم أن القرآن يقول عن نفسه: ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ... ﴿٤٤﴾﴾ [سورة فصّلت, ٤٤]، ولكن هذا يعني أنه لا يجدي معهم نفعاً، وأنهم لن يستجيبوا له، وسيكرهون سماعه، لأنه يحرك ضمائرهم الميتة، إلا أن هذا لا يعني أنه يحرقهم!!

ولنا أن نتساءل: إن القرآن يُتلى في كل مكان في العالم الإسلامي –على الأقل–، في البيوت وفي المساجد وفي الطرق وفي وسائل المواصلات ... الخ، أفلا يسمع الجن الموجود داخل الإنسان القرآن؟

بداهةً هو يسمعه شاء أم أبى، ولا يؤثر فيه بتاتا، فلماذا يؤذيه إذا كان فقط من الشيخ الذي سيخرجه؟ هل ربما لقبح صوته؟!

وإذا قلنا أنه لا يؤذيه إلا القرآن الذي يتلوه من يظن أنه يعالج بالقرآن، فلنا أن نتساءل: لماذا لا يخرج الجان عند مجيء الشيخ العبقري البركة، ويدعه يضرب المسكين حتى يكاد يهلكه، ثم يعود مرة أخرى بعد انصراف الشيخ، فيدخل فيه؟!

أم أن الله –تعالى وتقدس– أعطى الجان رخصة لدخول الإنسان مرة واحدة فقط، ولا يُسمح له أو لغيره بدخوله بعد ذلك؟!!!

وإذا حدث ومات المضروب تأثراً بضرب الشيخ، هل نطبق على الشيخ حكم القتل العمد، أم نطبقه على أهله أم على كليهما؟! ولست أدري ما الدليل على أن الجن يتأثر بالضرب المادي، الذي ينزل على جسم البشري؟

إن البشري هو الذي يُضرب، وإذا كان أحدٌ يتألم فهو فقط (جسداً ونفساً) فما علاقة الجن بهذا، هل حل الجن محل نفس (روح، تبعاً للتصور غير الصحيح) الإنسان، فأصبح هو نفسه وروحه؟!

وإذا كان الجن يتأثر بالضرب الذي يقع على جسد البشري، فإن هذا يعني أن الجن هو الذي يُفترض أن يموت إذا ما أصاب البشري ما يميته، لأن البشري أصبح كالغلاف له، وأصبح هو المتأثر!!!

وكما رأينا فالمسألة متناقضة، مخالفة لكتاب الله صريح المخالفة، وما قُبلت إلا لبعد الناس عن كتاب ربهم، ولعدم تدبره ومعرفتهم بما فيه.

ولا نود أن نظلم الحديث، فنقول أنه هو الذي ورد فيه هذه الفرية، مخالفا للقرآن، فالأحاديث الواردة بهذا الشأن ضعيفة، والصحيحة تُلوى أعناقها حتى تصبح دليلاً! كما أن هناك في الحديث ما يوافق القرآن، ويقول بأن الشيطان ليس له سلطان على الإنسان إلا الوسوسة فقط.

وفي هذا يقول الدكتور جمال أبو حسان: "وثَمّ أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن تكون في ذات المحل من الاستنباط نذكر منها ما يلي: ورد عن ابن عباس وغيره أن بعض الصحابة شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يجدونه من عنت الشيطان في عباداتهم فقال لهم جوابا ورد بعدة صور هي: "الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة" و"الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة" و"الحمد لله الذي لم يقدر منكم إلا على الوسوسة" و"الحمد لله الذي لم يقدر لكم إلا على الوسوسة"[192]. ولم أقرأ لأحد ممن اعتنى بالحديث أنه ضعف هذا الحديث أو طعن فيه. بل قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند: حديث صحيح على شرط الشيخين[193]. بل لقد وجدت عالماً كبيرا من علماء الحديث يعقد بابا من أبواب كتابه فيسميه: "باب ذكر البيان بأن لا قدرة للشيطان على ابن آدم إلا على الوسوسة فقط". وذلك استنباطا من هذا الحديث[194]. وهذا الحديث بألفاظه المختلفة هو من قبيل القصر الحقيقي بلا ريب، فهو يقصر فعل الشيطان على الوسوسة، ويحصر فعله فيها وحدها[195]." اهـ

[192] ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج1 ص67، وأحمد بن شعيب النسائي، ت(303هـ)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، سنة1991م، ج6 ص171. وأبي داوود، سنن أبي داوود، ج4 ص329. والطبراني، المعجم الكبير، ج10 ص338.

[193] تحقيق المسند، ج2ص87.

[194] ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج1ص67.

[195] جمال محمود أبو حسان، دراسة بعنوان: العلاقة بين الإنسان والجان بين اليقين القرآني والموروث الاجتماعي.

وكما رأينا فالكتاب يؤكد أنه لا سلطان له إلا أن يدعونا[196] إلى فعل المعاصي، وأن كيد الشيطان ضعيف، والصحيح الثابت من قول الرسول يقول بذلك، فهل لمدعٍ أن يدع أن له سلطان غير ذلك؟!

تحضير الأرواح .. والجان!

من البدع التي ظهرت في زماننا المعاصر –والتي لم يكن العرب أو المسلمون يدٌ فيها– بدعة تحضير الأرواح، فعلى الرغم من أنهم قبلوا تسخير الجان، إلا أن الخيال لم يشطح بهم ليقولوا أنهم يستدعون أرواح الموتى، فهم يؤمنون أنها عند خالقها، ومن ثم اكتفى بعضهم بادعاء تسخير الجان!

إلا أن الغربيين، الذين ليس عندهم نفس التصور عن الإله وعن الموتى، لم يكن لديهم ثمة مانع من القول بالاتصال بأرواح الموتى! ويعتبر المنجم السويدي إيمانويل سودنبورج أول من ادعى أنه أجرى اتصالاً مع أرواح الموتى، وقد جاءت "كنيسة أورشليم الجديدة"، التي أسسها سْودِنْبورج، بتعاليمه إلى أميركا في أواخر سنة 1700. وقام جون تشابمان (جوني آبلسيد) بنشر عقيدته عبر أميركا القديمة.

إلا أن البداية الحقيقية لهذا الفن! كانت في منتصف القرن التاسع عشر، وتحديداً في عام 1848، على يد أختين شابتين، وهما كاتي (12 عاماً) ومارجريت فوكس (12 سنة)، وذلك بعدما انتقلتا مع والدهما جون فوكس وأمهما إلى منزل في قرية هايدسفيل، بالقرب من نيويورك، والذي كانت تُثار حوله إشاعات أنه مسكون

[196] يحاول بعض أنصار التفسير العلمي للدين تحديد كيفية وسوسة الشيطان، وذلك من خلال المعطيات العلمية المكتشفة، ومما قاله بعضهم كتوصيفٍ لهذه العملية: "من المعروف علميًا أن الدماغ في الإنسان يمكن أن يتأثر بالموجات الكهرومغناطيسية، وبما أن الجن مخلوق من نار، وهو الرأي الثابت لأهل الديانات السماوية والنار هي عبارة عن طاقة موجية، وبالتالي فإن الموجات عمومًا لها تأثير على عقول البشر، وبالتالي يمكن تفسير الوسوسة الشيطانية بتأثير موجي على العقل" اهـ
إلا أن هذا القول يحتاج إلى تعديل، فوسوسة الجن وتأثيره لا يقعان على الدماغ، وإنما على "النفس" والتي هي الأنا، التي تتخذ القرار وتبلغه الدماغ، التي تقوم بتسليمه لباقي أعضاء الجسد!

بالأشباح! وادعت الفتاتان أنهما سمعتا أصوات قرع غريبة في البيت، بدون ظهور من يصدرها، وأنهما اكتشفتا أن من يصدرها هو روح ميت، عندما سألتاه ماذا يكون، وعندما طرحا هذا الاحتمال عليه، فأجاب بالقرع/النقر موافقا!! ثم ادعتا أنهما اكتشفتا شِفرة تمكنهما من الاتصال بالأرواح! وأدى انتشار خبر هذه الحادثة إلى ولادة الحركة الروحانية المعاصرة في أمريكا وأوروبا والعالم كله، بل وأُلفت كتب عنها، وصارت علماً يُدرس في بعض الجامعات! وكذلك أُنشأت العديد من الجمعيات لتحضير الأرواح، بغرض معرفة حالها في عالم الأرواح، أو كشف بعض الحوادث التي وقعت في الماضي!

وكما رأينا فلقد نشأ هذا "العلم"!! على يد طفلتين! ومن ثم يحق لكل مصدق به أن يشكر لهاتين الطفلتين عظيم صنيعهما، والذي عرّف الناس بهذا الفن العظيم! إلا أنه سيعكر عليه أن الأخت الكبرى مارجريت فوكس، قد اعترفت بعد مضي أربعين سنة من هذا الادعاء، أن كل ما حصل كان احتيالاً! وبيّنت كيف استطاعت هي وأختها إحداث أصوات القرع بفرقعة مفاصل ركبهما وأصابع أرجلهما!

وعلى الرغم من إقرار إحدى مؤسستيه بالاحتيال، فإن "العلم" لم ينهار، وذلك لأن الفكرة كانت قد استهوت الكثيرين، فإذا كانتا هاتان محتالتين، فليس الآخرين كذلك، والمطروح المقدم هو بحوث سليمة!! ووصل الأمر إلى بلادنا العربية، ووجدنا من يتقبله ويدعو إليه، على الرغم من إن تحضير الأرواح أمر لا يمكن حدوثه من المنظور الإسلامي، بل والمسيحي، ولن نعرض أقوال المسلمين في استحالة حدوث هذا الأمر، وإنما نترك البابا شنوده ليرد هو هذه المرة على من يقول بتحضير الأرواح، فيقول: "منذ القديم والناس يحاولون أن يتصلوا بأرواح الذين ماتوا من قبل. وقد نهى الرب عن هذا الأمر، في أول شريعة مكتوبة. وذلك في سفر التثنية لموسى النبي. واعتبر الاتصال بأرواح الموتى رجساً من أرجاس الأمم الوثنيين، وضمه إلى العرافة والسحر وعمل الجن (أي الأرواح الشريرة) (...) وللأسف انتشر تحضير الأرواح في أيامنا، واعتبروه علماً! وصار له أساتذة يدرسونه في أقسام متخصصة في الجامعات.

واحتشم بعض رجال الدين أمامه، وقالوا: "نحن ككنيسة لا نقف في سبيل العلم" عجبٌ هذا الأمر! الله تبارك اسمه، يقول عنه في الكتاب المقدس إنه رجس، ونحن نوافق على أنه علم، وله كرامته التي لا تمس!! (...) ومن جهة تحضير الأرواح، نسأل: أي روحِ يحضرونها؟ هل هي روح بارة أم شريرة؟ والمعروف أن الأرواح البارة تذهب إلى مكان انتظارها في الفردوس، بينما الأرواح الشريرة تذهب إلى مكان انتظارها في الجحيم، (...) فمن الذي يستطيع أن يحضر روح رسول أو نبي وينزله من الفردوس؟! بأي سلطان يفعل هذا؟! وبأيّة قوة؟! (...) ومن ناحية أخرى، من يستطيع أن يُخرج واحداً من ساكني الجحيم، ويرجعه إلى العالم، ليلتقي ببعض أقاربه أو أحبائه على الأرض. (...) وهل نزول الأرواح إلى الأرض يكون بمشيئة الله؟ أي هل يوافق الله على ما يفعله "علماء الأرواح" ويترك باب السماء مفتوحاً يُنزلون منه مَن يشاءون، وباب الجحيم مفتوحاً يُخرجون منه من يشاءون؟! أليست الأرواح كلها في يد الله، وتحت سلطانه؟ إذن ما سلطان "علماء الأرواح" على الأرواح؟![197]" اهـ

ولقد أجاد البابا شنودة في إبطال دعاوى القائلين بتحضير الأرواح، وعلى الرغم من ذلك، وجدنا بعضاً من عبيد الغرب، الذين يتصيدون كل ساقطة ولاقطة، أخذوا هذه الترهات وأعادوا نشرها في بلادنا الإسلامية، مع تقديم بعض المبررات، التي تقول أن الأمر يمكن وقوعه، وليس مستحيلا! فوجدنا من يدعي أنه يمكن الاتصال بالروح عن طريق الوسيط، وذلك بأن تحتل الروح جسد أحد الوسطاء بعد دخوله في غيبوبة وتتكلم الروح بلسان هذا الوسيط وتجيب عن كل ما يوجه لها من أسئلة!!

ولست أدري ما هي مقدرة ذلك البشري، الذي يحضر الروح من عند بارئها، من عالم آخر، له قوانين لم يعلمنا الله بها[198]!!

---

[197] البابا شنودة الثالث، الأرواح بين الدين وعلماء الروح، ص.81-84.

[198] من يصدق بهذه الإدعاءات هو إنسان تملكت الخرافة من عقله، ولا يعرف قليلاً أو كثيرا عن دينه! فإذا كان هناك من يظن أن الأنفس التي يتوفاها الله عند نوم الإنسان تحل في جسد أحد الحيوانات الضالة، ومن ثم لا يجرؤ كثيرون على ضرب القطط أو الكلاب بالليل، لظنهم أنها قد تكون متلبسة بروحٍ من الأرواح! فلا إشكال عنده من تحضير الأرواح!

إن الطرق التي يدعون أنهم يستحضرون الأرواح بها لا تزيد عن كونها لعب أطفال – ربما لأن مخترعيها أمريكيون!– ويستحيل أن تكون حقاً وسائل لمخاطبة واستحضار أرواح من عند مالكها! فمن تلك الطرق طريقة السلة، والتي تعتمد على أن يمسك اثنان سلة بأطراف أصابعهما، ويثبا قلماً في مقدم السلة، وتكون هناك ورقة معلقة على الحائط، والمفترض أن تتحرك السلة لتكتب بالقلم المثبت على الورقة المعلقة!

ومن تلك الطرق –والتي اشتهرت في الأيام الأخيرة، بسبب تناولها سينمائياً– طريقة بلانشيت، وهو لوح عجيب الشكل، محفورة عليه حروف وأرقام، وكلمتا (نعم) و(لا) وثمة مؤشر على هذا اللوح، على شكل قلب يتحرك بطريقة معينة، ويفترض أنّ حركة هذا المؤشر، هي استجابة الروح للمتصل.

ثم قام أحد مخترعي هذه اللعبة بتطويرها، وأسماها اسماً جديدا، وهو: الويجا! وادعى أنها كلمة فرعونية تعني الحظ السعيد!!

والعجب كل العجب فيمن يصدق أن ألعاب الأطفال هذه قد تجلب شيئاً غير الربح الوفير لمخترعيها من أموال آلاف الحمقى الذين يشترونها!

وإذا افترضنا –حمقاً وليس جدلاً– أن روحاً ما تحضر، لتلهو وتلعب! فلنا أن نتساءل: أين تذهب روح الوسيط، عند مجيء الروح الأخرى؟! أم أنه يصبح إنساناً بروحين[199]!! ولست أدري ما الذي يدفع الروح للانصراف مرة أخرى بعد حلولها في هذا الشخص، فها هي قد حلت في جسد، ويمكنها أن تبدأ حياة جديدة، أم أن لهذا الوسيط القدرة على صرفها؟! –لاحظ أنه وسيط وليس حاكماً–!!

ووجدنا من يقول أنه يمكن أن تظهر الروح بدون وسيط، وإنما عن طريق التجسد، والذي يعني أن تظهر الروح مجسدة في صورة مطابقة لصورة صاحبها في الدنيا، ومن ثم فيمكنها أن تتحدث، كما يمكن التقاط صور لها بواسطة الأشعة تحت الحمراء!!

[199] قولنا هذا مجاراة لهم في قولهم أن الروح هي ما تُقبض عند الموت! أما نحن فنرى أن النفس هي ما تُتوفى عند الموت، وتكون عند الله القدير، وتُرد إلى الأجساد مرة أخرى في يوم البعث!

وكما هو متوقع أُظهرت العديد من الصور، التي يقال أنها صور لأرواح متجسدة، لإثبات هذه العملية!! ولكن لم تكن هذه الصور أكثر من لقطات مُختَلقة!

ويكفي لإثبات دجل هذه العمليات، أنه لم يتمكن أي أحدٍ حتى الآن من ثبات صحة اتصاله بالأرواح، كما لم تُقدم أي إثباتات جادة على ظهور شبح حقيقي أو إجراء حوارٍ معه! ولقد أعلنت مجلة "ساينتفيك أميريكان" –وهي مجلة علمية لها وزنها– عن جائزة مالية ضخمة لمن يؤكد صدق هذه الإدعاءات! ولكنها لا تزال تنتظر، ولم يحدث أن فاز أحد بالجائزة،... ولن يحدث!

إن القول بإمكانية تحضير الأرواح لا يعني سوى أن هذه الأرواح حرة طليقة في عالم آخر، ترى وتدرك ما يجري حولها، وكل ما ينقصها هو الوسيلة للاتصال مع البشر! وهو ما يوفره الوسيط! وهذا الادعاء يرفضه الدين تماماً!

لهذا وجدنا أن الإسلاميين يرفضون تماماً القول بتحضير الأرواح، لما فيها من مخالفة لعقيدة[200] الإسلام، ولما فيها من دعوة إلى عقائد لأديان ومذاهب أخرى!

وبما أن هذا الدجل قد تم اختلاقه في الغرب، فلا بد أن يحمل أفكاراً، يسعى أصاحبها لنشرها من خلال هذا "العلم"!! وكعادة الناقلين الذين ينقلون بدون تبصر، وجدنا أن المؤمنين –أو المنتفعين– بهذا الأمر، يعملون على نشر هذه الأفكار، ظناً منهم أن هذه الأفكار هي من صلب العلم، وأنه لا يمكن فصل هذا عن ذاك، فقاموا بتقديم السم في القرف!

وانتبه الإسلاميون إلى هذه الأفكار الدخيلة التي يعمل الآخرون –عمداً أو بسذاجة– على نشرها، فأخذوا يحذرون من أن هذا الفن هو وليدٌ للصهيونية، تسعى لنشر أفكارها من خلاله، وفي هذا يقول محمد حسين: "ومن أقوى الأدلة على صلة الروحية بالصهيونية العالمية الهدامة، المطابقة الكاملة بين مزاعم الروحيين وبين عقائد اليهود

[200] استعمال كلمة"عقيدة" في مجال الإيمانيات استعمال غير صحيح، ولقد عرضنا لها في كتابنا: عقائد الإسلاميين! وبيّنا تهافتها، إلا أنها وبكل أسى الكلمة التي يفهم القارئ منها ما نريد!

في تصور الثواب والعقاب خاصة. فكلاهما يعتقد أنهما سيكونان في آخر الزمان على الأرض. وبمثل ما يبشر (شهود يهوفا) بقرب السلام الدائم والنعيم الخالد، حين تحكم إسرائيل وتنتصر على أعدائها، يزعم الروحيون أن التواصل سوف يزداد حتى يتم ويصبح عاماً بين الأحياء والأموات. وعن طريقه سوف يتحقق (السلام والطمأنينة الروحية، وسعادة القلب والنفس) بعد أن تتحطم (الحواجز بين الشعوب وبين العقائد والأديان، ويقذف بعيدا بالجهل ليحل الحق محله)[201]" اهـ

والحق يقال أنه يمكن اعتبار الروحانية دين جديد يبشر بمبادئ جديدة، وعلى الإنسان الإيمان بها، بغض النظر عن توافقها مع دينه أم عدمه، فالروحانية هي دين المستقبل! ويصدق المتبعون ويرون أن إيمانهم بهذه الأفكار لا يتعارض مع إيمانهم بدينهم – الذي ينتسبون إليه فقط ولا يعرفونه–

وعلى الرغم من أن الإسلاميين رفضوا فن تحضير الأرواح واعتبروه مخالفاً للدين، إلا إنهم لم يجزموا بأن ما يحدث في هذه الحلقات هو ضرب من ضروب الدجل والخداع، ووجدنا بعضهم –من الذين لم يجدوا تبريراً لبعض النقاط، مثل كيف يخبر الوسيط عن بعض المعلومات الشخصية عن إنسان يُفترض أنه لا يعرف عنه شيئاً– يقدّم تعليلاً لا يقل خرافة عن هذه الفرية، فقالوا أن الذي يحضر في هذه الجلسات هو جن، والذي هو قرين الإنسان والذي يعلم عنه كل كبيرة وصغيرة! فيحل في الوسيط، من أجل فتنة وخداع الجالسين والاستهزاء بهم!

وفي هذا يقول مجدي الشهاوي: "أوضحت –بعون الله– أن ما يسمى تحضير الأرواح إلا استعانة بالجن والشياطين، وأن الروح التي تحضر وتحل في جسم وسيط أو سلة – أو حتى قُفّة أو جردل!!– ما هي إلا شياطين من الجن[202]" اهـ

---

[201] محمد محمد حسين، الروحية الحديثة دعوة هدامة، ص.71–72.

[202] مجدي محمد الشهاوي، تحضير الأرواح وتسخير الجان بين الحقيقة والخرافة، ص.92.

فإذا نظر المرء في الموطن الذي أوضح فيه ذلك، وجد أنه قد ذكر بعض الروايات التي تتحدث عن تشكل الجن في شكل بشر! وبالتأكيد فإن حلول جن في إنسان يختلف عن تشكله على هيئة إنسان! —وقد أبطلنا الصنفين— وكما رأينا، فلكي يبطلوا خرافة استعانوا بخرافة أخرى وهي الاستعانة بالجن وتسخيرهم، ليحققوا لهم ما يحلوا لهم، فيأتون ويتكلمون كما يريد المشعوذ! وتجدهم يتخذون تسخير الجن لسليمان دليلاً على إمكانية تسخيره لغيره، ويقولون أن تستخيرهم لسليمان، لم يكن بشعوذة وإنما بأمر الله، أما هؤلاء فيسخرونهم بشعوذات وما شابه! إلا أنه يشغب على قولهم أن دعاء سيدنا سليمان كان أن يؤتى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فلماذا أعطى لهؤلاء المشعوذين ما أعطى لسليمان؟! كما أن الله سخرهم لعلة وهي بناء اختراعات سيدنا سليمان العظيمة النافعة، فلماذا يسخرهم لهؤلاء؟!

والعجب كل العجب أنهم يتجاوزون هذه النقطة الفاصلة كأنها غير موجودة، ثم يبدءون في التعريف بكيفية تسخير الجن، وكيف أن هذا من الشرك! وأنه لزامٌ أن يكفر الإنسان حتى يُسخر الجن له، ومما قالوا بهذا الشأن: "الجن لا يساعد الإنسان —أي إنسان— ولا يخضع له إلا إذا كان كل منهما على عقيدة واحدة ودين واحد. فإذا كان الجني كافراً فإنه —ولا بد— أن يكون الساحر كافراً مثله تماماً، وكذا الحال لو كان الجني يهودياً أو نصرانياً. بيان أن الكفر أو الشرك شرط أساسي بين الساحر والجني (...) ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة —قد يكتبون حروف كلام الله عز وجل، إما حروف الفاتحة، وإما حروف "قل هو الله أحد" وإما غيرهما— بنجاسة إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم." اهـ[203]

[203] المرجع السابق، ص.98-99.

وكما رأينا فهذا كلامٌ مرسل، سواء ما قاله المؤلف أو ما نقله عن ابن تيمية، فلا دليل عليه، وربما كان السحرة يفعلون هذا، فنحن لا نجادل في هذه النقطة، وإنما نتساءل: هل هذا الجنون يثمر شيئاً في نهاية المطاف؟!

إن هذا الجنون ما هو إلا تطبيقٌ للظن، بأن إهانة المقدسات هو أسوء ما يستطيع الإنسان فعله، وهذا يُرضي الشيطانَ كثيرا! وأكيد أن هذه الأفعال تُرضى الشيطان كثيراً بالحمق الذي يرتكبه الإنسان، ولكن هل يكفي هذا ليجعل نفسه خادماً له، وهل يستطيع أصلاً أن يتدخل في دنيانا! ولست أدري لماذا نفترض أن يكون الذي يقبل أن يفعل هذه الطوام صادقا، فنصدق دعواه بأنه نجح في تسخير الجان!!

القــرين

من القناعات الخرافية التي انتشرت في زماننا هذا –مع انتشار ثقافة الدجل!– خرافة "القرين"، والتي تُعد نموذجاً مثاليا لتحريف كلام الله، فيُفهم ويُؤول بأقوال ما أنزال الله بها من سلطان! فما هو القرين؟ قيل أن القرين هو جان يولد مع ولادة الإنسان ويحيى معه ويموت بموته! –أو لا يموت وينتقل إلى غيره– وهذا الشيطان ملازم للإنسان طيلة حياته، ولهذا سُمي قرينا، وهو يأمره دوما بالمعصية وينهاه عن فعل الخير! وهناك من يقول أن القرين يتلبس الإنسان، وقد يظهر في الأماكن التي كان الإنسان يتواجد فيها قبل موته! ونعجب ونتساءل: من أين أتوا بهذه التصورات، وما هي علاقتها بالقرآن؟

إن الناظر في القرآن يجد أن لا مستند لهم فيه كليةً، فلقد وردت كلمة "قرين" في ستة مواضع في القرآن بصيغة المفرد، ومرة واحدة بصيغة الجمع "قرناء"، وكلها تتكلم عن القرين بمعنى الصاحب المماثل. واستعمل "القرين" مع الإنسان والجان، فلكلٍ منا قرناء من البشر ومن غير البشر. واستعمالها مع الشيطان تعني أن الإنسان عندما

يعرض عن منهج الرحمن يصبح شيطاناً هو الآخر، فلقد أصبح من أولياء الشيطان، وعندما يتولى الشيطان يصبح فريسة سهلة له، فالشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وإنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون.

فإذا نظرنا في الآيات التي تحدثت عن القرين، وجدنا أول آية تقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النساء, ٣٨] فهنا حديثٌ عن أن الذين ينفقون أموالهم رئاء ولا يؤمنون أصبح الشيطان قريناً لهم، وبئس القرين. وليس في هذه الآية أي إشارة إلى أن الشيطان قرين لهم طيلة أعمارهم، بل يمكن القول أن الشيطان أصبح قريناً لهم بسبب أفعالهم.

فإذا انتقلنا للموضع الثاني وجدناه يقول: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الصّافّات, ٥١-٥٣] فهنا الحديث عن قرين من البشر كان يخاطب قرينه، ويشككه في اليوم الآخر، ثم أصبح مآل المؤمن الجنة والآخر في سواء الجحيم.

فإذا انتقلنا إلى الموضع الثالث والرابع، والواردان في سورة الزخرف، وجدنا الرب العليم يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزخرف, ٣٦-٣٨] فكما رأينا فالشيطان لم يكن ملازما للإنسان، أما بعد أن عشى ذلك الأحمق عن ذكر الرحمن، فقد فتح الباب أمام الشيطان، وهدم بنفسه أقوى حصونه الدفاعية، فتملك الشيطان منه. وتأثير الشيطان لا يزيد عن الصد عن سبيل الله، فليس هناك تأثير آخر، وفي اليوم الآخر يتبرأ من قرينه لأنه أضله!

فإذا انتقلنا إلى الموطنين الأخيرين وجدنا الرب العليم يقول: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ق, ٢١-٢٨] فالقرين هنا هو الشيطان المصاحب للإنسان، والذي لم يزد فعله عن أنه وجد الإنسان في ضلال بعيد فزاده ضلالا! فهذا هو فعل الشياطين!

فإذا انتقلنا إلى الآية الواحدة التي جاء فيه القرين بصيغة الجمع، وجدنا الرب يقول: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة فصّلت, ٢٥] وفعل القرناء هنا لم يزد عن فعل القرين، وهو تزيين الضلالة التي عليها الإنسان! وهو متوافق مع ما قاله القرآن عن الشياطين، أنها تضل الناس وتستهويهم، فمن أين أتوا بهذه التصورات؟!

يفهم الناس الكتاب تبعاً لأهواءهم وخيالاتهم ثم يقولون هذا من عند الله! ثم يوصم كتاب الله بالخرافة!

الفصل الثالث: السحــر .. والجان

بعد أن بيّنا أن الشيطان ليس له سلطان على الإنسان، إلا أن يدعوه إلى فعل المعاصي والذنوب، ننتقل لنناقش مسألة أخرى متعلقة بالجن! وهي السحر، تلك الكلمة البراقة الرنانة، التي لها تصور مبهم عند البشر، فلكلٍ تصوره عن هذه الكلمة، التي لها وقع عجيب في نفوس البشر، يتأرجح بين الخوف والرهبة والغموض والجمال .. فلها وقع السحر!!

تلك الكلمة التي نسمي بها كل ما يأتي مخالفاً لمألوفنا ولا نجد له تفسيراً، فنسميه سحرا[204]! نعرض للسحر لأننا نجد كثيراً من العوام يؤمنون بأن الساحر يستطيع أن يأتي بالعجائب، وإذا سُئل عن الكيفية، علل ذلك بأن له اتصال بكائنات فوق بشرية، فهو يستطيع مثلا أن يُسخر الجن، فإذا كانت الجن قد سُخرت لسليمان عليه السلام، فما المانع أن تُسخر لغيره، أو أن يفعل الساحر لهم ما يريدون ليخدموه؟!

ومن النقاط التي يطعن بها غير المؤمنين في الأديان عامة قولهم بأنه خرافة صريحة، نشأت مرتبطة بالسحر، والذي كان ركناً ركيناً من الدين، وكان من اختصاص رجال الدين، يستمدون به سلطانهم على الأتباع، حتى أننا لا نجد فارقا بين الساحر والكاهن في أديان القبائل البدائية. ثم حدث بعد ذلك التمايز بين الدين والسحر، وإن ظل الدين يعترف بالسحر أو يقف منه موقفاً محايداً، لاتحاد الأصول والمنشأ!

وعلى الرغم من أن جل المسلمين يرفضون هذا التصور، إلا أننا نجد أن أكثرهم يصدقون بحقيقةٍ للسحر، وأنه قادر على التأثير في الإنسان نفسياً وجسدياً، بل وتغيير طبائع الأشياء، فيحول الشيء إلى آخر!

---

[204] هناك من يقول أن البداية الفعلية للسحر كانت على يد ساحر فارسي، كان يُدعى (زوروستر) والذي كان يعيش قبل المسيح بحوالي خمسة آلاف عام. ويقال أنه هو من وضع أسس السحر وطرقه. وأنا أتساءل: هل زوروستر هذا هو شخص آخر غير النبي زوروستر —والمعروف بزرادشت– أم أنه مجرد تشابه أسماء؟!

ومما يثير الأسى أن أكثر المصدقين بالسحر من المسلمين يتكئون على الدين في مقولتهم هذه، فيقولون أن الله تعالى ذكر السحر في كتابه، كما أن الرسول الكريم نفسه قد سُحر، فهذا برهان أكيدٌ على أن السحر حقيقة وليس مجرد خداع، ومن ثم فعلى الإنسان اتخاذ ما يلزم ليتجنب أذى السحرة وضرهم!

لذا نتوقف مع هذه المقولة، لنبين أنه لا مستند لهم في القرآن في دعواهم، وأن القرآن لم يقف موقفاً محايداً من السحر، وإنما عرّف الناس به وأبطله، ونبيّن كيف أن الجن ليس له أي دورٌ في هذه الخدعة الكبرى.

تعريف السحر

لما كانت معظم مشاكل العالم بسبب عدم تحديد المفاهيم، نبدأ كعادتنا بتحديد المدلولات حتى لا تؤدي إلى الاختلاط والاضطراب ونبدأ بتعريف السحر في اللغة، فنقول: السحر كما جاء في معجم مقاييس اللغة: "سحر: السين والحاء والراء أصولٌ ثلاثة متباينة؛ أحدها عضْوٌ من الأعضاء، والآخر خَدْعٌ وشِبهُهُ، والثالث وقتٌ من الأوقات. فالعُضْو السَّحْر، وهو ما لَصِقَ بالحُلقوم والمَرِيء من أعلى البطن. ويقال بل هي الرِّئة. ويقال منه للجبان: انتفَخَ سَحْرُه. ويقال له السُّحْر والسَّحْر والسَّحَر. وأمّا الثّاني فالسِّحْر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقِّ، ويقال هو الخديعة. واحتجُّوا بقول القائل:

فإِنْ تسألِينا فيمَ نحنُ فإننا عصافيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ

كأنَّه أراد المخدوع، الذي خدعَتْه الدُّنيا وغرَّتْه. ويقال المُسَحَّر الذي جُعِلَ له سَحْر، ومن كان ذا سَحْر لم يجد بُدّاً من مَطعَم ومشرب. وأمَّا الوقت فالسَّحَر، والسُّحْرة،

وهو قَبْل الصُّبْح ، وجمع السَّحَر أسحار. ويقولون: أتيتُك سَحَرَ، إذا كان ليومٍ بعينه. فإن أراد بكرةً وسَحَراً من الأسحار قال: أتيتك سَحَراً.[205]" اهـ

وكما رأينا فمدلول السحر –لساناً– يدل بشكل عام على التداخل والالتباس، فالعضو المسمى بالسحر ملتقى أجزاء في الجسم، وعندما عرض لما نعرفه بالسحر لم يقل أنه تغيير أو تأثير، وإنما قال أنه خدع وشبهه، أي أنه عملية تلبيس وتخليط على المتلقي، ليس أكثر!! وهذا المدلول اللساني للكلمة هو ما قدمه الإمام الفخر الرازي كتعريف شرعي للكلمة، فقال: "اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله[206]" اهـ

فإذا أردنا أن نقدم تعريفا اصطلاحيا للسحر وجدنا المسألة مشكلة، لأنه "من الصعب حصر تعريف السحر بكلمات وجمل قليلة محدودة، وذلك لأن كلمة السحر في حد ذاتها تطلق على علوم وفنون كثيرة، يلفها الغموض والإبهام، وتتخللها الشعوذات والأوهام والصدق والكذب.[207]" اهـ

ولن نتوقف طويلاً مع عدم وجود تعريف جامع مانع فإن السحر متصور عند الناس، وإنما ننتقل إلى النقطة الحاسمة الفاصلة في هذا النقاش وهي: حقيقة السحر، فهل للسحر حقيقة، أي هل للسحر وللساحر القدرة على تغيير الأشياء أم أنه مجرد خداع وتمويه؟ اختلفت الإجابات حول هذه المسألة منذ قديم الزمان، وفي هذا يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: "واختُلف في السحر، فقيل: هو تخييل ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الأستراباذي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة، قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة انتهى.

---

[205] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، ص.138.

[206] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الثالث، ص.187.

[207] إبراهيم كمال أدهم، السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة، ص.27.

لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال إن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه، ونقل الخطابي أن قوما أنكروا السحر مطلقا وكأنه عني القائلين بأنه تخييل فقط وإلا فهي مكابرة.[208]" اهـ

ويمكننا تلخيص ما ذكره الإمام ابن حجر في أن الخلاف دائرٌ حول هل أن السحر تخييل فقط، أم أنه له القدرة على التأثير في المزاج فيصل إلى الإمراض، أمّا مسألة تحويل طبائع الأشياء فلم يقل بها إلا قليل وهو لا يوافقهم فيما يقولون!

وقبل أن ندلي بدلونا في هذا الباب نُقر أنه من العسير إقناع الفريق، القائل بأن للسحر حقيقة وتأثير، ببطلان مذهبهم، وذلك لأنهم لا يتبعون اللسان في هذه الكلمة، ويفهمونها تبعاً لأفهامهم!

فالناظر في كتبهم يجد أنهم يبدءون بذكر الأقوال التي تقول أن السحر تخييل وتمويه، –والتي مرجعها اللسان– ثم يردونها بلا بيّنة! فنجد مثلا أن الإمام القرطبي بعد أن يعرض الأقوال في السحر يقول: "السحر، قيل: السحر أصله التمويه والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثا، يُخيّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه. وقيل: هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته، وكذلك إذا عللته ، (...) وعندنا أنه حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء،

[208] أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، الجزء العاشر، ص.222.

(...) ومنه ما يكون كلاما يُحفظ، ورقى من أسماء الله تعالى. وقد يكون من عهود الشياطين (!!!!)[209]" اهـ

فكما رأينا فالإمام القرطبي يرد مدلول اللسان، ويرى أن مدلول الكلمة مما جاء في الشرع بمعنى جديد، ولنا أن نتساءل: إذا كان العرب يفهمون السحر على أنه تخييل وتمويه، فأين أبطل القرآن اعتقادهم هذا؟! وإذا كانوا يفهمونه بشكل أعم، يندرج تحته كل ما نسميه سحرا، فأين أكّد القرآن العظيم هذا؟!

الناظر في استدلالات المصدقين بحقيقة للسحر يجد أنها استدلالات عامة، لا تخدم دعواهم، فمما يستدلون به قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ... ﴿٨٠﴾﴾ [سورة يونس, ٨٠]، وقوله: ﴿... وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأعراف, ١١٦]، وغيرها من الآيات، ثم يوحون بأن الآخر ينكر ويرفض وجود السحر الذي قال به القرآن!

ولا يوجد مسلمٌ واحد يقول أنه لا وجود للسحر! فهو خداع وتمويه، وبه سُمي السحرة سحرة، وهو ما يقوم به السحرة حتى زماننا هذا، فأين قال القرآن بالزيادة التي أضفتموها إلى المعنى الأصلي للكلمة؟!

إن الرب الكريم قال: ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة طه, ٦٩] فالله تعالى قدّم حكما قاطعاً وهو أن الساحر لا يفلح حيث أتى، لأن صنعته لا تزيد عن الكيد، فإذا كان الساحر قادراً على التأثير في الناس وإمراضهم والتحكم فيهم، فليس هناك فلاحٌ أكثر من هذا!

وأكد هذا المعنى النبي الكريم موسى، -كما ذكر الرب قوله في كتابه-: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة يونس, ٧٧]

[209] محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الجزء الثاني، ص.43-44.

إن الله عز وجل عندما تكلم عن سحرة موسى قال: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأعراف, ١١٦] فالسحر العظيم الذي أتوا به هو أنهم جعلوا الناس –بما فيهم موسى– يظنون أن الحبال والعصي تسعى، كما قال: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه, ٦٦]، ونلاحظ أنهم لم يجعلوا الناس يظنون أن الحبال والعصي ثعابين، وإنما خيّلوا لهم أنها تسعى، –والعجيب أن أغلب المسلمين يظنون أن السحرة أتوا بثعابين وموسى كذلك، إلا أن ثعبان موسى أكل ثعابين السحرة! والقرآن لم يقل بهذا!– فإذا كان هذا الفعل البسيط يُسمى بالسحر العظيم، فهذا يعطينا إشارة صريحة إلى حقيقة السحر، وأنه من ضروب الخداع والتمويه، ولا يمكن بحال أن يصل إلى ما يختلقه الأفاكون!

والعجب كل العجب فيمن ينسب السحر إلى الله، فيقول أن الساحر يقول كلمات فيحول الله كذا إلى كذا أو ينزل الله المرض أو الأذى بكذا! وهذا القول فيه من الجرأة على الله ما فيها، بجعله خالقاً الشر وتابعاً للأشرار –حاشا الجليل–

هاروت وماروت .. ومحمد!

بعد أن أظهرنا أن القرآن يستعمل السحر بمعناه اللساني، نعرض في عنصر مستقل لعمدة أدلة القائلين بحقيقةٍ للسحر في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

﴿١٠٢﴾] سورة البقرة,١٠٢[والذي يقولون فيها أنها تتحدث صراحة عن حقيقة للسحر، فإذا كانت الآيات الأخرى لم تفصل، أو تحدثت عن تخييل، فهنا حديث عن تأثير يصل إلى التفريق بين المرء وزوجه، بإذن الله!!! نقول: على الرغم من أن الآية في إبطال السحر وتبرئة الرسول الكريم، إلا أنها جُعلت بفضل! هؤلاء الأفاضل الدليل الأكبر على إثباته!!

وقبل أن نقدم للقارئ الكريم تصورنا لهذه الآية، وهو التصور الوحيد الذي يعرضها بدون تقديم أو تأخير أو تغيير، نعرض له كيف فهم السابقون هذه الآية. لأن الآية من الآيات التي تحتاج فعلاً إلى تدبر، ولأنها تتحدث عن اليهود والسحر، أُوجد لها تفسيرات إسرائيلية منقولة نصاً من كتبهم!!

ولله الحمد فإن هذه الروايات ليست بالصحيحة، كما أنها ليست مرفوعة إلى النبي، وإنما موقوفة على بعض الصحابة، وأصبحت الآن من النماذج المشهورة للإسرائيليات، فلم يعد هناك من يقول بها أو يدافع عنها.

ورد بشأن الآية روايات كثيرة، ذات مضمون واحد، وملخص هذه الروايات أنه: لمّا كثر الفساد من بني آدم –وذلك في زمن إدريس عليه السلام– قالت الملائكة لله أنهم قالوا مسبقاً عند بدء الخليقة أننا مفسدون. فقال لهم الله عز وجل: أما أنكم لو كنتم مكانهم وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك. فقال الله: فاختاروا ملكين من خياركم! فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما إلى الأرض وركب فيهما الشهوة. فما مر عليهما شهر –وفي روايات أقل– حتى فُتنا بامرأة اسمها بالنبطية "بيدخت" وبالعربية "الزهرة"، كانت قد اختصمت إليهما، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يدخلا في دينها أو يشربا الخمر أو يقتلا النفس التي حرم الله، فرفضا أولاً ثم أجاباها وشربا الخمر ووقعا بها، فرآهما رجل فقتلاه. وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء، فأعلماها إياه، فتكلمت به فعرجت في السماء فمسخت كوكبا !! ورُوي أن هاروت وماروت كانا يعلمان السحر

في بابل وكانا يقولان لمن جاءهما "إنما نحن فتنة فلا تكفر" فإن أبى أن يرجع قالا له: ائت هذا الرماد فبل فيه. فإذا بال فيه خرج منه نور يسطع إلى السماء وهو الإيمان، ثم يخرج منه دخان أسود يدخل في أذنه وهو الكفر. فإذا أخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق به بين المرء وزوجه، ولما دنا أجل هاروت وماروت خُيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذبان في بابل في سرب في الأرض.

هذا هو مختصر العديد من الروايات المختلقة المختلفة، المتعارضة في أكثر الأحيان، والتي ذُكرت في معرض تفسير الآية! وبغض النظر عن الاختلافات الكثيرة بين الروايات، وبغض النظر عن أن لبها منقول عن التلمود بالحرف[210]، مع بعض الزيادات، التي أضافها الرواة من عند أنفسهم من أجل التشويق والإثارة، فإن لنا أن نتساءل: ما علاقة هذه القصة بالآية؟!

إن الآية –تبعاً لزعمهم– تقول أن الملكين أُنزلا ليعلما السحر، وهذه الرواية وأمثالها تقول أنهما أُنزلا ليثبتا أن الملائكة أفضل من البشر –وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى إثبات!!، فأين تعليم الناس السحر، وأين تعليل ذلك النزول؟! ولقد انتبه بعض القاصين لهذه الإشكالية فأضاف في آخرها أنهما علقا في بابل، فأصبحا يعلمان الناس السحر!! وسواءٌ ذكرت الرواية تعليم السحر أم لم تذكر فإنه لا ارتباط بين الرواية والآية.

ولن نتوقف طويلا مع هذه الرواية، لأنها لم تعد التفسير! المقبول عند أكثر المسلمين، فلقد أصبح طرحٌ آخر هو التفسير المعتمد، وهو أن اليهود أو الشياطين، لما قالت أن سليمان لم يكن نبياً وإنما كان ساحراً، وبسحره وبتسخيره الشياطين استطاع التحصل على هذا الملك العظيم. فأنزل الله الملكين هاروت وماروت ليعلما الناس السحر،

---

[210] يوجد في التلمود، فى مدراش شمهازي وعزازيل Midrash of Shemhazai and Azazel قصة عن هبوط ملاكين إلى الأرض أحدهما يدعى عزازيل والآخر شمهازي، وذلك ليثبتا للخالق تفوق الملائكة على الإنسان في الأخلاق وفي طاعة الله، وأن الإنسان غير جدير بالدور الذي رسمه الله له. ولكن شمهازي ما لبث أن وقع في حب امرأة تدعى الزُهرة وطلب وصالها، ولكنها تمنعت واشترطت عليه أن يطلعها على اسم الله الأعظم الخفي، ففعل ذلك. وما أن حازت على الاسم حتى استخدمت قوته في الصعود إلى السماء قبل أن تفي بوعدها لشمهازي، ولكن الله أوقفها بين أفلاك الأجرام السماوية السيارة، وحوّلها إلى الجرم المعروف بكوكب الزُهرة أو كوكب فينوس.

حتى يظهر لهم الفرق بين السحر وبين الآيات التي كانت مع سليمان، وأنهما كانا يعلمان الناس السحر ويقولان لهما: لا تكفروا! وهكذا أصبح حالهم مثل الذي يُدخل رجلاً على امرأة ويقول: لا تزن!

إلا أنه يعكر على هذا القول أنه لا حرج في تعليم الناس ما أُنزل على الملكين –تبعاً لزعمهم– بل إن هذا أمر مطلوب، فلقد أُنزلا ليعلما الناس الفرق بين السحر وآيات الأنبياء، فمن الأفضل أن يعرف الناس هذا.

أمّا أن نقول أنهم كانوا يعلمون الناس السحر، فليس السحر هو ما أُنزل الملكين به ومن أجله، وإنما التفرقة بين السحر والآيات، فكيف نجعل هذا ذاك؟! ثم ما وجه الاختلاف، الذي من أجله عطف الله السحر عليه، فقال: "يعلمون الناس السحر وما أنزل"، ولو كان هذا سحراً لكان عطفا للشيء على نفسه!! ولنا أن نتساءل: هل قالت الآية أنه أُنزل على الملكين ببابل السحر؟!

إن الآية لم تقل بهذا، وإنما قالت أن الشياطين يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين، وأنهما ما كانا يعلمان من أحدٍ حتى يقولا كذا، فما المانع أن يكون هذا الشيء المُتعلَم هو الخداع والحيل؟! وأنهما كان يعلمان اليهود هذا ليستخدموه ضد أعدائهم، الذين يعذبونهم ويضطهدونه –لاحظ أن هذا كان في مرحلة الأسر البابلي– وكانوا ينهونهم عن الكفر باستخدامه في غير موضعه؟!

لذلك لم تقل الآية مثلاً: "فيتعلمون منهما ما يطيرون به أو يُمرضون به"، وإنما قالت:
﴿... فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ... ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة, ١٠٢]
وهذا لا يحتاج إلى أكثر من الخداع بدهاء!

وعلى الرغم من أن هذا القول أكثر منطقية من الآراء التي ذكروها، وأكثر توافقاً مع الآية من الأقوال التي ذكروها، إلا أننا لا نأخذ به، وذلك لأنه لا علاقة له بالآية ولا بسياقها، فالآية تقول شيئاً آخر.

الآية من منظور آخر

الناظر في هذه الآية يجد أنها وردت في سياق الحديث عن عدم إيمان اليهود بالرسول على الرغم من أنه مذكور في كتبهم، وعن عدم التزامهم بالعهود واختلاق المبررات لعدم الإيمان، وإتباعهم ما لم ينزله الله العليم بدلاً من أن يتبعوا كتبه، ونقدم هنا السياق العام الذي وردت فيه الآية، الذي يبيّن وجهتها، والذي فيه إلغاء لجميع الإشكاليات، التي أوجدها المفسرون بعدم التزامهم بمنطوق الآية!

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة البقرة ,٩٨-١٠٣]

إن الله العليم يقول للرسول أن من كان عدواً لجبريل وميكال –من بني إسرائيل– فإن الله عدوٌ له، وأن الله أنزل آيات بيّنات، وأن هناك في اليهود فريق ينبذ العهود دوما، وأن هذا ما حدث لمّا جاءهم الرسول، فلقد نبذوا كتاب الله، الذي يبشر بمحمد ويعرف به، نبذوه وراء ظهورهم، واتبعوا ما تقوّلته أحبارهم –كما فعلوا سابقاً بإتباعهم

أقوال شياطينهم على ملك سليمان- والذين نسبوا الكفر إليه، ولم يكفر سليمان، وإنما هم الذين كفروا وأخذوا يعلمون الناس السحر.

ولم يُنزل على الملكين –جبريل وميكال، الذين يعاديهم اليهود- في بابل "الكتب" المسماة هاروت وماروت، وما كانا يعلمان أحداً حتى يقولا كذا وكذا، ومن ثم فلم يتعلموا منهم أي شيء، وإنما هي افتراءات على الملكين جبريل وميكال، بنسبة هذه الكتب إليهما، وهم لا يضرون أحد بهذه الكتب إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، –لأن الكتب المختلقة المفتراة على الله لا نفع فيها بل هي ضرٌ خالص- ولقد علموا أن من قبل وأخذ بغير ما أنزل الله ما له في الآخرة من خلاق، فلبئس ما باعوا به أنفسهم، ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير.

ونعرض للآية بتفصيل، حتى نبين للقارئ أين انحرف المفسرون عنها، مما أدى بهم إلى القول بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان، ولماذا قلنا بهذا القول: "(واتبعوا) أي واتبع بنو إسرائيل. (ما) اسم موصول عام قريبٌ من معنى: الذي. (تتلوا) التلاوة هي القراءة المتتابعة أمام آخرين، سواء كان من نص مكتوب أو من الذاكرة. (الشياطين) اختلف المفسرون في المراد بالشياطين في هذه الآية، إلا أن كثيرٌ منهم على أن المراد من الشياطين الكائنات غير البشرية.

ونحن نرجح القول الآخر وهو أن المراد منها في هذه الآية هو شياطين الإنس، لأن الله تعالى يتحدث عن إعراض بني إسرائيل عن كتاب الله وإتباعهم ما "تتلوا" الشياطين، ومن ثم فإنهم قد تركوا كتاب الله من أجل لهو الحديث!

وشياطين الجان لن تأتي للإنسان وتقرأ عليه بعضاً من مؤلفاتها، أو قطعاً من كتاب الجان السحري!! وإنما التلاوة تكون من الإنسان على الإنسان، كما أن شياطين الجان كافرة ابتداءً، ومن ثم فلن يكون نعتهم بالكفر إضافة لمعنى، فتكون "الشياطين" في الآية هم شياطين الإنس.

ويرجح أن يكون المراد منهم علماء بني إسرائيل لأنهم ألفوا لأقوامهم كتباً شغلوهم بها عن التوراة مثل التلمود وخلافه، وحرّفوا في كتاب الله ذاته من حذف وإضافة، فأصبحت هذه الكتب هي المتبعة، وهُجر كتاب الله.

﴿... وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ... ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة, ١٠٢]، "ما" هنا نافية بلا خلاف، فسليمان عليه السلام لم يكفر، ولكن أحبار اليهود –أو من فعل ذلك من غيرهم– هم الذين كفروا وعلموا الناس السحر. وليس كفرهم هو تعليمهم السحر أو بسبب تعليمهم السحر، وإنما هذا مما حدث في كفرهم، فإذا قلت مثلاً: جاء عمرو يقول...! فلا يعني هذا أن المجيء هو القول، أو أن علة المجيء كانت القول، وإنما أن حاله في المجيء كان أنه يقول كذا وكذا! وذُكر تعليم السحر بعد الكفر، لأن هذا السحر تقوّل على نبي كريم، فلقد كفّر هؤلاء نبياً! وأصبحت كتبهم شغلاً شاغلاً عن الدين .. باسم الدين!

ونصل إلى الجملة المحورية في هذه الآية، والتي ابتعد فيها المفسرون عن النص، وهي قوله تعالى: ﴿... وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ... ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة, ١٠٢] و"ما" تلعب الدور الحاسم في فهم هذه الآية، ويكاد يجمع المفسرون على أن "ما" هنا موصولة بمعنى "الذي"، ويكون المراد من الآية على قولهم: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان والذي أنزل على الملكين هاروت وماروت ببابل. وتكون جملة (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) جملة اعتراضية.

ولنا هنا وقفة، فإذا قلنا أن "ما" هنا موصولة –كما يقول السادة المفسرون– فعلاما عُطفت؟ يقول المفسرون أنها عُطفت على ما في قوله: "ما تتلوا". ونحن نتساءل: لماذا لم تُعطف على "ما" السابقة في "وما كفر سليمان"، فتكون نافية، أي: وما كفر سليمان وما أُنزل على الملكين؟ والمفسرون يرون أن "وما كفر سليمان" جملة اعتراضية، ونحن نقول أن الجملة الاعتراضية هي التي إذا حُذفت لا تؤثر في المعنى، فهل يمكن حذف "وما كفر سليمان" هنا؟!

إذا قلنا أنه يمكن، فهذا يعني أن الآية لم تذكر الغرض الأساسي وهو نفي السحر والكفر عن سليمان، وهذا ما لا يقول به أحد، فيكون المعنى كما روي عن ابن عباس، أنه لم ينزل الله السحر وكما روي عن الربيع ابن أنس: ما أنزل الله عليهما السحر.

ولأنه مشكل أن تُنزل الملائكة من أجل السحر، قال بعض المفسرين أن المراد من "ملكين" بشريين، استناداً إلى قراءة قرأت بكسر اللام، فجعلتهما ملِكين! والمشكلة أن كل المفسرين والمتناولين للآية[211] فهموا الجملة هكذا: "وما أنزل على الملكين هاروت وماروت في بابل"، على الرغم من أن الله العليم قال: "وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"، فقالوا أن الملكين هما هاروت وماروت، و"ببابل" اعتراضية!

أما نحن فنهم الآية كما هي، ونقول أن الله يقول: ما أنزل على الملكين ب–شأن– بابل هاروت وماروت. فالملاكان هما الملاكان سابقا الذكر –جبريل وميكال–، والله تعالى ينفي فريتهم على جبريل وميكال –كما نفى فرية بني إسرائيل على سليمان–، ويقول أنه لم يُنزل عليهم بشأن أو بسبب بابل ذلك الشيء المسمى بهاروت وماروت.

ونلاحظ أن كلمة "هاروت" أو"ماروت" مشابهة تماماً لكلمة تاروت، والتي هي أوراق اللعب الشهيرة، والتي يستخدمها السحرة والكهان، كما أن كلمة هاروت هي معكوس كلمة توراه! فيكون هذا مؤكدٌ أن هاروت وماروت كتب أو طرق لتعليم السحر، نُسبت إلى جبريل وميكال.

وقد يستغرب القارئ الفهم الطبيعي للآية، لأنه اعتاد أن يفهمها على غير ما قالها الله، لذا نسأله: هل هناك دليلٌ على أن هاروت وماروت أسماء ملائكة وليست أسماء كتب؟! ثم نسأله مجددا: أي التفسيرين للمثال القادم هو الأقرب للسياق: "ما أعطيت الزميلين في الفصل س و ص" فإذا كان "س و ص" غير معروفين، فهل ستميل

[211] حتى الدكتور أحمد حجازي السقا، والذي أخذنا عنه القول بأن "ما" في "وما أنزل على الملكين" نافية، وقدّم على طبقٍ من ذهب في كتابه: "علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب" حلاً لهذه الإشكالية. ويمكن للقارئ الاستزادة حول الآية بقراءة ما خطه الدكتور حولها في كتابه المذكور، حيث عرض الشيخ الدكتور لأقوال المفسرين في الآية بتفصيل كبير ورد عليهم.

إلى أن س وص هما الشيء المعطَى أم أنهما هما الزميلين؟! فإذا كان سيميل لا محالة إلى أنهما هما الشيء المعطَى، فلماذا يتمسك بالعكس مع الآية؟!

وعلى الرغم من أن القول بأن "ما" في قوله تعالى: "وما أنزل على الملكين" نافية وليست موصولة، يظهر انسجام وتناسق الآية، -فبهذا القول تُعطف "ما" في الجملة (وما أنزل على الملكين) على سابقتها، ثم تُعطف لاحقتاها النافيتان في قوله "وما يعلمان من أحد" و"ما هم بضارين" عليها، بدون اضطرار إلى القول بجملة اعتراضية مرة أخرى- على الرغم من هذا قد يرفض القارئ هذا الفهم، استناداً إلى الاعتراض الذي أضعف حجة القائلين بأن الجملة نافية، ويقول: إذا كان الله تعالى ينفي أن يكون أُنزل على الملكين ببابل شيء، فكيف كانا يعلمان البشر؟! نقول: إن الله تعالى لم يقل أنهما علما أحد، وإنما قال: "وما يعلمان من أحد" ولم يقل "وما علما من أحد" فعلى فهمنا يستقيم المعنى، أي أنه ما أنزل عليهم شيء وما يعلمان من أحد حتى يقولا "إنما نحن فتنة".

أما على قولهم: فهو أنزل عليهم وهما لا يزالان يعلمان الناس السحر حتى الآن، وقبل أن يعلما أي أحدا السحر يقولان له: "إنما نحن فتنة فلا تكفر"! وحتى لا يقول قائل: أن هذا على سبيل استحضار الصورة، فاستعمل الله المضارع ليشير إلى تكرار وقوع ذلك في الماضي. نقول: لاحظ أن الله تعالى قال: "من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون ما يفرقون" ولم يقل: فيتعلم ما يفرق به، ولم يقل: فتعلموا به، وهذا يعني أن هذا الأمر لا يزال يحدث. أما على قولنا فلم ينزل عليهم، وما علما أحداً حتى يقولا وحتى يتعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه!

وقد لا يفهم بعض القراء هذا التوجيه للآية، وقد يرفضه آخرون ويرون أنه بعيد ويظهر فيه التعسف، فنقول: لا تعسف في التأويل بل هو أسلوب معروف وغير معقد، ومستخدم في اللسان حتى الآن، ونستعمله في كلامنا، ولكن لما شُرح في التأويل ربما ظهر ذلك وسأضرب مثالاً يبين أن هذا التأويل هو الأقرب إلى الصواب: عندما

أقول: ما أمارس الرياضة حتى أقول إني قوي البدن، فتطلب مني حمل المائدة. فهذا مثال واضح لما ذُكر في الآية، فنفي الأول مترتب عليه نفي ما بعده، فعندما أقول أني ما أمارس الرياضة، فلا يحق لي أن أقول أني قوي البدن، فكيف يُطلب مني الحمل؟! وكذلك في الآية: لم ينزل عليهما شيء ليقولا إنما نحن فتنة، وبالتالي فلم يتعلموا منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه! إذا، لا وجه للاستدلال بالآية في إثبات السحر، بل الآية نزلت كما رأينا من أجل نفي كفر سليمان ونفي أن يكون السحر مأخوذ من الملائكة، ولبيان أنه مما اختلقه اليهود وأضلوا به الناس، وأنهم كما تركوا كتاب الله واتبعوا أقوال أحبارهم، فكذلك أعرضوا عن الرسول بتركهم كتاب الله وإتباعهم أقوال البشر.

وفي ختام الحديث عن السحر نقول: إن كذب الساحر مكشوف واضح، وعلى الرغم من ذلك فالناس في عماء! فبالله عليكم لو كنت أستطيع أن أحول طبائع الأشياء أو أوذي هذا وأضر ذاك، فلم أكتسب من هذه المهنة؟!

إذا كنت استطيع أن أسخر الجان لأذى الناس، فلماذا لا أغني نفسي عن طلب جنيهات أو دراهم معدودات من هذا ومن ذاك، لماذا لا أجعل نفسي غنيا وأتحكم في الناس بمالي؟!

النفاثات في العقد

بعد أن بيّنا أن آية هاروت وماروت هي في تبرئة الملائكة وسليمان من السحر، ننتقل إلى آخر أدلتهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [سورة الفلق, ٤]

فيقولون أن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة من أمورٍ عدة، ومن بينها النفاثات في العقد، ولو لم يكن هؤلاء مؤثرات، ولهم ضرر حقيقي لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منهم. فهذا دليلٌ صريح على تأثير السحر. ونقول لمن يقول بهذا: أثبت العرش أولاً ثم أنقش،

فالآية لا تقول بما يقولون، وننظر لنر: "العقد هو نقيض الحل كما جاء في لسان العرب، فما هو المراد من النفاثات في العقد، هل المراد منها الساحرات كما ورد في كتب التفسير؟

إذا نحن نظرنا في كتب التفسير –كما جاء في تفسير الفخر الرازي– وجدناه يقول:" وإنما أنث النفاثات لوجوه؛ أحدها: أن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر وإحكام الهمة والوهم فيه، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن، (!!!) فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى. قال أبو عبيدة: النفاثات هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي، سحرن النبي صلى الله عليه وسلم. وثانيها: أن المراد من النفاثات: النفوس. وثالثها: المراد منها الجماعات، وذلك لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد. القول الثاني –وهو اختيار أبي مسلم–: {مِن شَرّ النفاثات} أي النساء في العقد، أي في عزائم الرجال وآرائهم وهو مستعار من عقد الحبال، والنفث وهو تليين العقدة من الحبل بريق (!!!) يقذفه عليه ليصير حله سهلاً، فمعنى الآية أن النساء لأجل كثرة حبهن في قلوب الرجال يتصرفن في الرجال يحولنهم من رأي إلى رأي، ومن عزيمة إلى عزيمة، فأمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن كقوله: ﴿... إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ... ﴿١٤﴾﴾] سورة التغابن ,١٤[، فلذلك عظم الله كيدهن، فقال: ﴿... إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾] سورة يوسف ,٢٨[. واعلم أن هذا القول حسن، لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين.[212]" اهـ

إذا فالسادة المفسرون يكادون يجمعون على أن المراد من النفاثات: النساء! سواء كُنّ من الساحرات أو النساء، اللاتي تنفث في عزائم الرجال! فهل هذه الأقوال فعلاً مقبولة وهي ما تقول به الآية؟

[212] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الثاني والثلاثون، ص.179.

نبدأ في تحليل الآية لنر ماذا تقول: أول ما يلحظه المتدبر أنها تأمر بالاستعاذة من شر النفاثات وليس من شر النفث نفسه! فإذا كان المراد من الآية إثبات تأثير السحر لكان من الأولى أن يقال "ومن شر النفث في العقد" فالضرر يقع منه سواءً كان نافثه رجل أم امرأة، فالشر يقع من النفث، وسواءً كان التأثير من المرأة أكثر –كما يدعون– أم أقل، فالشر يقع في النفث، وليس من نافثه! إذا فالآية تستعيذ من النفاثات وليس النفث، فلا يحق لنا أن نجعلها تستعيذ من النفث!

إذا فالآية تستعيذ من شر النفاثات أي أن الشر يقع في النفاثات، وإن الناظر في حال المفسرين يجد عجبا، فنجدهم جعلوا الآية في النساء، فكأن الله تعالى يأمرنا بالاستعاذة من النفاثات أما إذا كان النافثون رجالا فلا نستعيذ منهم، ودعك من التمحكات التي من نماذجها "هذا من باب التغليب"! فهي لا تساوي شيئا!

فنخرج من هذا بأن النفث نفسه في هذه الآية غير ضار وإنما الضرر والشر في نافثه، فهل المراد من النفاثات فعلا الساحرات أو النساء؟ "نفّاثات" كما هو واضح لكل ذي عينين صيغة مبالغة من "نفث" فهي على وزن فعّال، فالحديث في الآية عن شخص كثير النفث، حتى أنه أصبح عادته وطبعه، ويستوي في هذا الأمر كون الشخص رجلا أو امرأة ، لأن نفاثات جمع نفاثة وهي مما تطلق على الرجل والمرأة، كما يقال: علامة وفهامة، ولو كان المراد النساء لقيل نافثات. فإذا كانت صيغة "نفاثات" صيغة مبالغة تنطبق على الرجل والمرأة في عين الوقت لأنها صيغة مبالغة، فما المراد منها؟

نقول –والله أعلم–: إن المراد من ذلك على عكس ما قاله أبو مسلم تماما، وكذلك ما قاله المفسرون، فالمراد من النفاثات في العقد تلك النفوس التي تعمل على النفخ في العقد من أجل تضخيمها وزيادة تعقيدها وليس من أجل حلها أو توهينها، فالعُقْدَةُ كما جاء في اللسان حَجْمُ العَقْد، والجمع عُقَد، ومن ينفخ في العقدة يعمل على زيادتها وشدتها لا على توهينها. فنستعيذ بالله من شر تلك النفوس التي تعمل على زيادة التعقيد في التعاقدات والعلاقات بين الناس مما يؤدي في نهاية الأمر إلى

الانقسام والشقاق والتباين، ونلاحظ أن العقد نفسه لا شر فيه، ولكن المشكلة هي في النفث في هذا العقد حتى يزيد ويتعقد ويشتد!

وحتى لا يقول القارئ أن هذا تأويل بعيد، نقدم الدليل على أن النفث يأتي بمعنى بث الأفكار (والذي لا يكون إلا عن طريق الكلام الذي يخرج من الفم!) وليس مختصا بما ينفثه الإنسان من ريقه فقط، فهو أن هذا اللفظ عام ولم يستعمل فقط هكذا في اللغة، ويكفيك شاهدٌ على ذلك جعل صاحب اللسان النفث بمعنى الإسراع! وأن صاحب المقاييس جعله بمعنى خروج من فم أو غيره! والنفث على قولنا يخرج كذلك من الفم، كما أن هذا الاستعمال ورد في الحديث الشريف، فقد جاء عن النبي الكريم:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إِنَّ رُوحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي أن ..." وكذلك قوله في الحديث في افتتاح الصلاة: "اللهمَّ إِني أَعوذ بك من الشيطان الرجيم من هَمْزِهِ ونَفْثِهِ ونَفْخِهِ ..."

إذا فنحن نستعيذ من شر المضخمين والمشددين للعلاقات والتعاملات بين الناس والذين يؤدون بها في نهاية المطاف إلى الشقاق والتنازع، وهنا نلحظ أن الله تعالى استعمل صيغة جمع المبالغة المطلق لأن هذا الصنف من البشر كثير، ويتصرف هذا التصرف بدون تخطيط أو إعداد وإنما هو سجيته! فهو متشدد متنطع لا يشعر أنه يؤذي أو يفعل شيئا ضارا بنفثه هذا فينفث وينفث وينفث.[213]" اهـ

وكما رأينا فليست الآية كما يفهمها العوام، وإنما هي بمعنى مختلف تماماً، متعلق بالجانب الاجتماعي للإنسان.

وبهذا نكون قد بيّنا أنه لا توجد آية في كتاب الله العظيم تتحدث عن السحر طبقا للتصور المتداول، وإنما هي للنفي وللإبطال.

---

[213] عمرو الشاعر، قراءة لسور الطعن، ص.199–202.

سُحر الرسول .. فقط!

رأينا من خلال تناولنا لآي الذكر الحكيم أنه بيّن تهافت السحر وهوانه، وأنه أبطل أن تكون هناك علاقة بين السحر والدين، وقد يتقبل بعض القارئين ما قلناه، إلا أن آخرين سيتمسكون بما يؤمنون به من وجود حقيقةٍ للسحر، وذلك لأنه وردت روايات –مصححة!– تقول أن الرسول الكريم قد سُحر، ومن ثم فإن للسحر حقيقة، ومن ثم فإن كل ما قلناه غير صحيح!

وقبل أن نبدأ حديثنا حول هذه الرواية الجائرة، ننصح كل من يؤمن بأن كل ما في البخاري ومسلم صحيح، ألا يقرأ ما سنورده هنا، لأنه سيحاول بشتى الطرق الالتفاف حوله.

وحتى لا يتهمنا القارئ بالتجني على الرواية بنعتها بالجائرة، نقول: على فرض حدوث هذا الشيء للنبي الكريم فعلا، ألا يعتبر روايتها غيبة للنبي الكريم؟! ألا تعد هذه المسألة من أدق خصوصيات الإنسان؟! هل هناك إنسان يحب أن يعرف الناس أنه سُحر، وأنه كان لا يعرف ما يفعل؟!

فإذا كان الأمر كذلك، أفلا يُعد نقل وقول هذا الكلام عن النبي الكريم نوعٌ من الغيبة له؟! ولست أدري من الذي أباح للرواة جناب النبي الكريم، أم أن سحر النبي كان من الدين، الواجب على كل مسلم معرفته؟!!

بادئ ذي بدء نقول: لو كانت هذه الروايات، التي تتحدث عن سحر النبي الكريم، في غير البخاري ومسلم، لوجدنا كثيراً من علماء الحديث يضعفونها، ولكنها لمّا ذُكرت في البخاري اكتسبت حصانة خاصة، وأصبحت من الحقائق التي لا يمكن التشكيك فيها، بل ووجدنا من يستخرج من الرواية الدلائل على علو قدر النبي وعلى حكمته، في التعامل في جميع المواقف.

والروايات الواردة بشأن سحر الرسول الكريم كثيرة، إلا أنها ذات محتوى واحدٍ تقريبا، ونذكر نموذجا مما رواه البخاري بهذا الشأن: "حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ. حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟! أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟! قَالَ: قَدْ عَافَانِي اللَّهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا. فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[214]" اهـ

والغريب أنه لو تأت هذه الرواية وأمثالها لانهارت خرافة السحر، فالناظر يجد أنه لم تذكر أي رواية أخرى أن أحداً من الصحابة سُحر! وهكذا فإن هؤلاء السحرة الجبابرة لم يفلحوا إلا في سحر النبي الكريم! وهذا يعني واحدة من اثنتين: إما أنهم أرادوا إظهار قوتهم وأنهم أقوى من النبي فسحروه، واكتفوا بذلك، فلم يسحروا آخر، أو أنهم لم يجدوا من هو أضعف من النبي الكريم، فسحروه، ثم لم يفلح سحرهم مع غيره! وكلا القولين طامة كبرى!

وبغض النظر عن التناقضات بين روايات الحديث، وعن إساءة الأدب مع الرسول بالتعبير عنه "بالرجل"، فإن أول ما يلحظه المرء أن هذه الروايات وردت عن السيدة عائشة فقط، على الرغم من المفترض أن الرسول ذهب مع رهط من أصحابه إلى البئر

[214] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجزء السابع، ص.136.

ليستخرجوا "العمل"، فلماذا سكت الصحابة، مثل سيدنا علي، الذي قيل أنه استخرج "العمل"، وتكلمت الزوجة؟!

إن أي زوجة محبة لزوجها لا تذكر له بعد موته إلا محاسنه وتترحم عليه وتواري عيوبه، فما بال السيدة عائشة هي التي أظهرت عيوب النبي؟! ألم تتعظ من نهي النبي الكريم لها، عندما زجرها عندما نعتت صفية بالقصيرة؟! —ونحن ننزه السيدة عائشة عن هذا البهتان، ونرى أنها لم تقل شيئاً من هذا، وإنما وُضع على لسانها!—

كما نلاحظ أن الإمام مالك لم يرو هذه الروايات[215]، —وكذلك الإمام الترمذي وأبو داود والدارمي— فإذا كان الإمام مالك الذي عاش في المدينة لم يعلم بها، أو علم ولكنها لم تصح عنده، فإن هذا مرجح كبيرٌ على ضعف هذه الروايات.

وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات وتعددها فإن مدارها على رجلين اثنين ليس أكثر، فهي ليست من المتواتر في شيء!

وأعجب من الذين يتمسكون بهذه الرواية على الرغم من أنها لم تحقق شرط الصحة وهو السلامة من الشذوذ، وهي لم تسلم منه، فلقد خالفت كتاب الله العزيز مخالفة صريحة، ومن ثم تصبح من الروايات الواجبة الرد.

فالله تعالى ذكر طعن المشركين في النبي وأنهم قالوا زوراً وبهتانا أنه مسحور: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ [سورة الإسراء, ٤٧]، ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الفرقان, ٨] فلو كان النبي الكريم سُحر طرفة عين لصدق قول هؤلاء، ولما كانوا ظالمين ومن ثم يصبح قول الله غير صحيح!!

[215] يردد السلفيون مقولتهم الشهيرة: "صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله"، وبغض النظر عن أنها مقولة باطلة، لأن كتاب الله لا يقارن به كتاب، إلا أنني أرى أن موطأ مالك أصح من صحيح البخاري، ويمكن بشكلٍ عام الرجوع إلى موطأ مالك وإلى أقواله لمقارنتها بالروايات المتأخرة التدوين، لمعرفة الأمور المحدثة والتي نُسبت إلى الرسول!

لو كان هذا قد حدث لكان هذا باعثاً كبيرا للشك عند الصحابة، فإذا كان الذي يأتيه الوحي من السماء غير معصوم، وأصبح مصاباً في عقله، فهل يمكن أن يأخذوا منه الدين في هذه الأشهر الستة –كما ورد في رواية أحمد!– فلربما كان ما يقول من الهلاوس، ولربما كان ما يأتي به طيلة الوقت كان هلاوس وليس وحياً!!

ولن يقتصر الأمر على شك الصحابة –المنطقي– وإنما يمتد لمخالفة قول الرب العليم، الذي قد قال للنبي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة المائدة, ٦٧] فإن كان الله قد ترك عقل النبي ليهودي يتلاعب به، فأين العصمة؟! لذا نسأل القارئ الكريم: هل تصدق قول الرب أم تأخذ بغيبة البشر للرسول؟!

نقد روايات سحر الرسول

حتى لا يظل في نفس القارئ بقايا تصديق بروايات سحر الرسول، نبين له أن هذه الرواية لم تسلم من الانتقادات، وإنما انتُقدت انتقادات عدة، وردها كثيرون.–مثل فرقة الشيعة كاملة، وبعضٌ من أهل السنة– ونذكر هنا أجزاءً منتقاة من دراسة طويلة[216]، أعدها الباحث ظافر سعيد نحاس، ينقد فيها روايات سحر الرسول سنداً ومتنا، يظهر مواطن ضعفها، واستحالة وقوعها في ذلك الزمان.

وكنا قد كتبنا في نقد هذه الرواية، إلا أننا رأينا أنه أجاد وأطال، وتناولها بتفصيلٍ كبير يستحق معه أن يُقدم ما قال، فأثبتناه هنا.

[216] الدراسة كاملة موجودة على صفحات موقعنا: www.amrallah.com لمن يرغب في الاستزادة.

يقول الباحث أنه أحصى كافة أحاديث سحر الرسول فوجدها قد ذُكرت في ستة عشر كتاباً، من هذه الروايات الموصول والمنقطع، ثم عرض للرواة الذين رووا هذه الروايات، وبعد أن عرض لكل الطرق والرواة، خلص إلى أن الروايات الموصولة كلها تدور على رجلين اثنين فقط، فقال: "ليس هناك غير الأعمش وهشام، أبدا من يروي موصولاً حديث سحر يهود للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو حديث آحاد، معنعن، وقد وَجَدتُ صُوى مشتركة بين الرجلين: -فالأعمش كوفي ولد سنة 61هـ ومات سنة 147هـ وهو من أم أعجمية طبرستانية. - وهشام مدني تعرقن، (سكن العراق) ولد سنة 61هـ ومات سنة 145هـ وهو من أم أعجمية خراسانية. وكلاهما قد افتقد المروءة، المُعَرَّفَةُ لدى رجال الحديث-. وكان لقاؤهما في الكوفة، (...) وكان للأعمش أساتذة كثر،ربما بلغوا مائة أو أكثر، وكان لهشام أساتذة كثر ربما بلغوا ثلاثين أو أكثر -فإذا أنت ذهبت تقاطع هؤلاء مع هؤلاء لم تجد سوى شيخا مشتركا واحداً بينهما هو :محمد بن مسلم بن تدرس -أبو الزبير الأسدي- مرو 126هـ ونريد أن نمنح بعض الاهتمام لهذا الرجل إذ قد يكون المختبئ وراء أوراق الغرقد؟! (...) لم نجد لإبن تدرس من منبت، ولا أين ولد، ولا متى ولد، ولا من أينٌ سبي، وكيف كانت بداية حياته، بل إن كل شيء يتعلق في بدايات حياته كان أبكماً، بل قد يكون مريباً أيضاً - اللهم إلا أنه كان مولى لحكيم بن حزام في مكة المكرمة." اهـ

وبعد أن عرضَ لأقوال علماء الحديث فيهما، وكيف أنهما من المدلسين، جزم بأن الرواية لواحد منهما، فقال: "إن الأعمش وهشام من جيل واحد -ويبدو أنهما من عمر واحد وكل منهما من أم أعجمية- فالأول ولد بطبرستان (القريبة من خراسان) من أب وأم طبريين والثاني ولد في المدينة من أم خراسانية، أم ولد -وُلدا في نفس العام، والتقيا في الكوفة وكلاهما مدلس وماتا متقاربين ...! فهل أوحى الأعمش لهشام بفكرة سحر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟!... أم أن ابن تدرس أوحى لهما بها...- إن حديث (اليهود سحروا نبي المسلمين) في الظاهر برقبة اثنين من المدلسين، الأول هشام بن عروة بن الزبير، والثاني سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد الأعمش."اهـ

ولأن أكثر القراء ليست عندهم الدراية الكافية بعلم مصطلح الحديث لم نعرض الأقوال التي ذكرها في هؤلاء، واكتفينا بالتعريف بمن تدور الروايات عليهم، وبالحكم النهائي، حتى نُيسر الأمر على من يريد البحث في أسانيد هذه الروايات الكثيرة.

وبعد هذا التناول للسند، انتقل لمناقشة المتن فأظهر فيه كثيراً من النقاط، التي تهدم هذه الفرية، فمما قال: "الزمن الذي زُعم فيه سحر الرسول صلى الله عليه وسلم: قالوا: حين عودته من الحديبية في ذي الحجة، ودخل المحرم من سنة سبع من الهجرة، إذ جاء رؤساء اليهود لبيد بن الأعصم فجعلوا له ثلاثة دنانير. (الطبقات الكبرى) وزعموا أنه سرى مفعول هذا السحر أربعين يوماً . وفي رواية ستة أشهر . كما في (فتح الباري6/125)، 10/226. (مجمع الزوائد).

أما غزوة الحديبية فكانت في ذي القعدة سنة /6/ بلا خلاف (...). قالوا سحرت اليهود نبي المسلمين، حين عودته من الحديبية ودخل المحرم، وكان يتخيل أنه يأتي زوجاته ولا يأتيهن! أو أنه يفعل الشيء ولا يفعله، من بداية محرم وحتى أربعين يوماً . وفي نفس هذا الوقت، وفي نفس هذه الساعات كان نبي الإسلام يغزو يهود خيبر، بعد أن طهّر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة من كافة اليهود الذين كانوا فيها في 15/ ذي الحجة سنة 5هـ، فكيف يستقيم النقيضان؟"

وبعد أن عرض لبعض النقاط الأخرى مثل، عدم وجود أي ذكر للبيد بن الأعصم في عشرات المئات من كتب الحديث، فلم يوجد إلا في هذه الرواية، وكيف أن النبي كره أن يثور عليه الناس فيه شراً، وأن هذا مخالف لفعله في مواقف كثيرة، انتقل إلى مسألة أخرى، وهي: بنو زُرَيْق من الخزرج —لم يمتهنوا السحر. زعموا أن الساحر يهودي من بني زريق يقال له لبيد بن أعصم (أو الأعصم) وذلك في كثير من طرق الحديث. والحقيقة أن بني زريق عَرَبٌ من الخزرج، وكانت الخزرج قبل الهجرة محالفة ليهود ضد الأوس، فلما أسلموا وتآخى الأوس والخزرج انفك حلفهما من اليهود، فقد وجد من بني زريق (الخزرج) نقباء في بيعة العقبة الأولى، كما أن أول مسجد قُرِء فيه القرآن

بالمدينة كان في ربوع بني زريق (مسجد بني زريق)– وهذا أرقم بن أبي أرقم في داره التي قطعها له الرسول صلى الله عليه وسلم في بني زريق، إذ آخى بينه وبين زيد بن سهل الخزرجي من بني النجار، وفي غزوة ذي قرد لمع اسم عبيد بن زيد بن صامت أخي بني زريق" اهـ

كما عرض لنقطة أخرى جد خطيرة، وهي مكية المعوذتين، فالمشهور أن المعوذتين نزلتا بعد سحر النبي، ليُفك بهما سحر النبي، إلا أن الناظر في كتب أسباب النزول وعلوم القرآن، يجد أنها تقول أن السورتين مكيتان، –كما أن صياغة السورتين تقول أنهما من المكي وليس المدني– وهذا يعني أنهما نزلا قبل وقوع الحادثة بزمان طويل، فيكون هذا معول هدم جديد للرواية.

ثم ختم الباحث أدلته بلطيفة، وهي قوله: "ورد في سنن النسائي الحديث الشريف الصحيح برقم 3898 التالي: أخبرنا قتيبة قال –حدثنا الليث– عن يحيى –هو ابن سعيد الأنصاري– عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت –أن عائشة قالت: التمست رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلت يدي في شعره فقال: قد جاءك شيطانك؟ فقلت: أمالك شيطان؟ فقال: بلى، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم.

فإذا كان الله قد أعان رسول الله على شيطانه، فكيف ترك الله هذا الإنسان يسحر نبيه؟! وإذا كانوا يقولون أن الساحر إنما يتمكن من الإنسان بتسخير الجن، وهو ليس له سلطان على النبي، فكيف سحر النبي؟!

كان هذا طرفاً مما ذكره بخصوص نقد متن الحديث، ويحق لنا أن نتساءل: أين كان الصحابة رضوان الله عليهم بعد وقوع الحادثة؟ لماذا لم يُنقل أنهم أتوا لعيادة النبي(ص) ما دامت الحادثة قد عُرفت؟! ثم لماذا لم يتحرك عمر كعادته ويذهب ليضرب عنق هذا الرجل؟! لقد كان رضي الله عنه يغضب للنبي(ص) لأقل شيء، أفما كان هذا الموقف يستحق أن يتحرك له؟! إن هذه العجائب كلها –مضافة إلى معارضة

الروايات لكتاب الله– كافية لرد هذه الروايات، التي تغتاب النبي الأعظم، وتوجد مطعناً للطاعنين، الذين لن تقنعهم تبريرات السلفيين!

فمن رأى بعد ذلك أن من ينكرها هو من الزنادقة –كما قال بعض العلماء– فهو ممن ينطلقون من يقين واحد ثابت عنده، ولا يريد أن يتزحزح عنه، وهو أن كل ما في البخاري صحيح، و لو لم يكن عنده هذا اليقين لقال بما قلنا به.

ولكنه –تبعا لمشائخه– لا يمكنه أن يقر بورود الضعف في البخاري، لأنهم لو أقروا بوجود حديث ضعيف واحد في البخاري، فسيضطرون غداً للإقرار بغيره وهكذا حتى تزول هذه الهيبة التي أسقطوها على البخاري[217].

إن ما يثير العجب والحنق، هو أن المثبتين للحديث يطعنون في الذين يردونه، مع أن كلا الفريقين يعملون في جانب واحد، فالذي يرد الحديث يرى أنه ينقص من قدر النبي(ص) ويتعارض مع آيات في القرآن ويطعن في ثبوت الرسالة وكمالها، فلم الطعن في أصحاب هذا القول، ما دام المنطلق سليم؟!

وفي الختام نقول: لقد اعتبر الله تحويل عصا موسى من آياته الكبرى، وذلك لأن مادة العصا قد تغيرت من حال إلى حال، ونحن نعدها "معجزة" كبرى، وعلى الرغم من ذلك يصدق بعضنا بأن الساحر قادر على تحويل الأشياء والتأثير فيها!

وهذا يعني أنه صار أفضل من موسى، فسيدنا موسى لم يكن يعتقد أن معه عصا سحرية يفعل بها ما يحلو له، وإنما كان يوحى إليه في كل مرة، أن اضرب بالعصا أو ألقها، فتكون سبباً لنفاذ قضاء الله.

---

[217] يمكن للقارئ قراءة نقد تحليلي لمتون أحاديث بالبخاري في صفحة الدكتور محمد عمراني: www.alhiwar.org/ar حيث يقوم بمناقشة وتحليل المتون، بعد أن يعرض للسند طبعا، تحليلاً أكثر من دقيق. وللدكتور عمراني تأصيل جديد لعلم مصطلح الحديث، قضى به على العلل التي أصابت هذا العلم عن طريق التساهل في الشروط التي وضعها المحدثون، ولقد عرضت هذا المنهج باختصار في كتابي: القرآنيون مصلحون أم هادمون، فيمكن الرجع إليه هناك، أو على صفحات موقعه الشخصي.

أما هذا الساحر فعنده القدرة من تلقاء نفسه أن يحول هذا ويؤثر في ذاك، بغير السنن التي جعلها الله لكل البشر! فيُمرض إنساناً أو يمنعه من ممارسة الجنس "الربط"، أو يقتل آخر! بكلماتٍ يقولها أو بدمية يصنعها له، ثم يحرقها أو يخرقها! والعجب كل العجب فيمن لا يزال يصدق أن هناك كلمات إذا قالها الإنسان حدث كذا وكذا، فهذا الإنسان يجعل الله العزيز العظيم –وحاشاه– تابعاً للساحر، مثل جني المصباح!

وإني أسأل الذين يؤمنون بأن من أتى ساحراً أو عرافاً أو كاهناً فقد كفر، –تبعاً للأحاديث– كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد: "... عن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم.[218]" اهـ

والذين يؤمنون أن من علق تميمة فقد أشرك، كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد: "... عن عقبة بن عامر الجهني: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل إليه رهط فبايع تسعة وامسك عن واحد. فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: إن عليه تميمة. فادخل يده فقطعها، فبايعه. وقال: من علق تميمة فقد أشرك[219]" اهـ

لقد اعتُبر المصدق للكاهن والعراف كافراً لأنه كفر بأن الغيب لله –كما قال في كتابه– وصدق أن هذا الإنسان يعلم الغيب، وكذلك اعتُبر من علق تميمة مشركاً لأنه ظن أن هذا الشيء يجلب النفع ويدفع الضر، أفلا يكون المصدق بالسحر كذلك؟!

العجيب أننا رفضنا أن يعلم الكاهن والعراف الغيب، وقبلنا أن يتحكم الساحر في الطبيعة والبشر كما يحلو له! واعتبرنا من يصدق الكاهن كافر، بينما التصديق بالساحر من الإيمان، فعلينا أن نصدق به! إلا أن علينا ألا نذهب إليه!

وأنا أقول أن من يصدق بقدرة للساحر –غير الخداع والتخييل– فهو مشرك!

---

[218] أحمد بن حنبل، المسند، الجزء الثاني، ص.429.

[219] المرجع السابق، الجزء الرابع، ص.156.

الخاتمة

وهنا ندعو القارئ لالتقاط أنفاسه مجددا، فالرحلة التي دعوناه لاصطحابنا فيها في عوالم الغموض والخرافة قد انتهت، وها نحن قد وصلنا إلى النهاية!

ونظن –وبعض الظن ليس إثما– أننا أفلحنا في تقويض الخرافات المعروضة بشأن الكائنات السماعية، والمنسوبة إلى الإسلام، وبيّنا كيف سيطرت التصورات الخرافية الموجودة قبل القرآن على فهم آياته، فأصبح كأن الإسلام جاء مؤيداً للخرافات الموجودة عند العرب الجاهليين، ولغيرهم من الأمم الوثنية الأخرى!

بيّنا كيف حدثت عملية "الانزياح الدلالي" للكلمة المحورية لهذا الموضوع "الجن"، لأن العرب لم يجعلوا القرآن معياراً لكلامهم، والذي نفى نفيا قطعيا وجود خلق كهذا، أو على أقل تقدير لم يتحدث عنه، فساد التصور الجاهلي وانتشر، بسبب تقبل المسلمين الجدد لما نُقل عن العرب، وكان من بين ما نُقل عن العرب وجود كائن اسمه جن، له عالم عجيب! ولمّا وجدوا أن القرآن قد تكلم عن الجن، فقالوا أن هذا هو ذاك. وبهذا أصبحت الكلمة تُفهم بشكل آخر مطابق للتصورات الخرافية، بعد أن كانت تُستعمل بشكل صحيح مطابق لبنائها.

كما بيّنا كيف حدث –بسبب هذا الإزاحة الدلالية المقيِّدة– لبسٌ كبير بين الشياطين والجن والملائكة والإنسان، فأصبحنا نجد كثيرا –في أقوال العلماء– تداخلاً بين الجن والشياطين، ولا يستطيعون أن يفرقوا بينهما!

كما رأينا كيف أصبح من المستغرب إطلاق كلمة "الجن" أو "الجنة" على الملائكة، وأكثر استغرابا ورفضا أن تُطلق على البشر! على الرغم من أنها استُعملت بهذا المدلول، ولا نزال نستعملها، فنقول: فلان جن!

وبيّنا كيف أن النقطة الفاصلة هي تسمية هذه الكلمة، فهم يرون أنها اسم ونحن نرى أنها نعت، يصدق على ما يوافق مدلوله، فالشياطين تُنعت بأنها جن، والملائكة كذلك تُنعت بأنها جن، والبشر فيهم جن وشياطين. وبسبب عمومية الكلمة حدث تداخل بين هذا الأصناف، ولم يميز –من ضاعت سليقتهم العربية– بينها، فنتج عن ذلك وجود صنف زائد و هو الجن المكلف، أو ما يتعارف عليه المسلمون ب"العفاريت".

وكما بيّنا أن التصور العبثي الجاهلي للجن، والذي نُسب إلى الإسلام لاحقاً لا يتناسب مع جلال الله، وأن القول به إساءة إلى الله تعالى وانتقاص من قدره، وتكذيب بكتابه، الذي تصرح آياته أن الإنسان هو الكائن الوحيد المكلف في الأرض، والملائكة تساعده وتهديه بأمر الله، والشياطين –الذين كانوا في الأصل ملائكة ثم تشيطنوا– تغويه وتضله، وأن لكلٍ عالمه، وليس هناك أي تداخل مادي بين هذه العوالم، إلا في حدود ما يريد الله ويأذن به! ولم يحدث إلا مرة واحدة –وكانوا مسخرين لنبي عظيم.

كما بيّنا كيف أن المسلمين جعلوا الجن المكلف! الذي يُفترض أنه يعيش في عالمنا، يقوم ببعض الأعمال، التي جعلها الله من آياته البيّنات، جعلوها من الأفعال العادية للجن، فجعلوه يخلق ويخلق ثم يخلق! ولم يروا في قولهم هذا شائبة شرك! وهكذا ساد الفكر الخرافي وتحكم في المسلمين، وأبعدهم عن الفكر العلمي ومنهجه والذي جاء به القرآن.

كما عرضنا لعدد من الخرافات التي زُعم أن الجن تفعلها، وبيّنا أنها أقوال متهافتة، يظهر عورها لكل ذي عينين، وأنها لا تحتاج إلا إلى قليلٍ من التفكر، وأنها ما كُتب لها البقاء إلا لأن البشر يميلون إلى تصديق الغوامض والغرائب، وأنها لكثرتها ساندت بعضها بعضاً، فأصبحت الخرافة تقوي وتؤكد خرافات أخرى، وأصبح عدد البشر الكثير، المصدقين لهذه الخرافة، دليلاً على صدقها! فالعبرة عند أكثر الناس بكثرة المصدقين! على الرغم من أن ربنا العليم قد علّمنا أن العبرة ليست بالكثرة، وأنها قد تكون من أكبر وسائل الإضلال!!

كما أظهرنا العدو الحقيقي لنا، والذي أصبح أكثر البشر –مسلمون وغير مسلمين– يعبدونه من دون الله، وهو: الجن (المترفون/كبار رجال الدين/السياسيون)! فهؤلاء أصبحوا معبودات هذا العصر، الذين يتقرب الناس إليهم زلفى، ويفنون عمرهم من أجل إرضائهم، والحصول على الفتات الذي يلقونه لهم! فأصبح أكثر الناس عبّاداً للجن، أولياء للشياطين، وهم لا يدرون ولا يشعرون، ويظنون أنهم يعبدون الله وحده، وما عبدوه وما سألوه!!

ولمّا عُبد الجن من دون الله، سيطروا على مجتمعاتنا، وأصبحوا يتحكمون فيها كما يحلو لهم، يشرعون على خلاف شرع الله، ويسنون القوانين التي تخدم مصالحهم، وأصبح العوام عبيداً لهم، يعبدونهم ويدعونهم ويتوسلون إليهم ويرجون منهم الرزق! ونسوا أن الله هو الذي يرزق، وأنه يرزقهم كما يرزق أسيادهم، فهو الرزاق ذو القوة المتين!

لذا فإننا ندعو المسلمين المؤمنين بربهم وبكلمته إلى ألا يصبحوا عابدين للسادة والكبراء، فسيتبرءون منهم في اليوم الآخر ولن يخففوا عنهم يوماً من العذاب. ندعوهم أن يعبدوا الله حق العبادة، وأن يتخذوا إلها، ويرجون إليه الوسيلة، فبيده وحده الخلق والأمر! فإذا فعلنا ذلك لم يكن لهؤلاء ولا للشياطين علينا أي سلطان، ونكون من عباد الله المستحقين أن يُمَكِّن لنا في الأرض.

وفي الختام أدعو كل إخواني المؤمنين بكتاب الله، الذين يقدمونه على كلام الناس على الخرافات وعلى قيل وقال، أدعوهم إلى أن يفيقوا وينتبهوا من غفلتهم، وألا يخشوا الجن الخرافي، فليس له وجود ولا تأثير في حياتهم، وإنما كل الأثر من المترفين، الذين يفسدون في الأرض! فمع هؤلاء يجب أن تكون المعركة الحقيقة!

ندعوهم إلى أن يدركوا العالم حولهم، ودورهم فيه! فلقد خلقهم الله بشراً، وجعلهم خلفاء الأرض، وأمدهم بوحيه ليعرفهم طريقه، وجعل لهم منزلة عظمى، وجعل الملائكة

قائمين علينا! وعلى الإنسان أن يشق طريقه معتمداً على نفسه، متبعا لنور الله، فلقد جعله سيد هذا الكون، وليس عبداً لجن مزعوم!!

أنا أعلم أن هذا الرأي سيسبب صدمة كبيرة للقارئ، وفي الغالب لن يتقبله.. بسهولة!، ولكنني أدعوه إلى أن يقارن بين ما قلنا به وبين ما قاله الآخرون بمنطق العقل! ندعوه أن لا يحمله إلف القديم على رفض الجديد، فليس القديم دوماً هو الصواب! ونحن لسنا بالعجولين، فما سيرفضه القارئ اليوم سيسلم به غدا بإذن الله.

لقد آن الوقت ليكون عندنا الجرأة والشجاعة لنبذ الخرافة، وإعلان تبرأنا منها، ولفهم معركتنا الحقيقة والاستعداد لها ... وأول خطواتها أن نبرأ من كل شرك ونخلص عبادتنا لله... فلا نعبد... الجن!

كان الفراغ من هذا الكتاب –بفضل الله وعونه– في يوم الاثنين، لست وعشرين خلون من شهر جمادى الأولى، في عام واحد وثلاثين وأربعمائة وألف بعد الهجرة النبوية، الموافق للعاشر من شهر مايو في عام عشر وألفين بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

للتواصل مع الكاتب يرجى زيارة موقعه الشخصي:

www.amrallah.com

سرد لأهم المراجع

* القرآن الكريم.

* الكتاب المقدس.

* الكتاب المقدس، ترجمة ألمانية، شتوتجارت 1985، طبعة: Deutsche Bibelgesellschaft تبعاً لترجمة مارتن لوتر.

كتب التفسير:

* أبو عبد الله محمد القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض 2003.

* فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى 2000، دار الكتب العلمية– بيروت.

* محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى 2000، مؤسسة الرسالة.

* محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.

* محمد البهي، تفسير سورة الكهف، الطبعة الأولى 1977، مكتبة وهبة– القاهرة.

* محمد البهي، تفسير سورة النمل، الطبعة الأولى 1978، مكتبة وهبة– القاهرة.

كتب الحديث:

* أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز –مكة– 1994.

* أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى 1405 هـ، دار الكتب العلمية– بيروت.

* أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى 1991، دار الكتب العلمية– بيروت.

* سليمان بن أحمد الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى 1405، مؤسسة الرسالة– بيروت.

* محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى 1422 هـ، دار طوق النجاة– السعودية.

* مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت. (بدون تاريخ)

معاجم لغوية:

* أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1999.

* جمال الدين بن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف– القاهرة 1979.

مراجع عامة:

* إبراهيم كمال أدهم، السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة، الطبعة الأولى 1991، دار الندوة الإسلامية– بيروت.

* أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، الطبعة الثالثة 2005، دار الوفاء.

* البابا شنودة الثالث، الأرواح بين الدين وعلماء الروح، الطبعة الثانية 2006، الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية الكبرى بالعباسية.

* بدر الدين الشبلي، آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن- القاهرة (بدون تاريخ)

* جلال الدين السيوطي، لقط المرجان في أحكام الجان، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن- القاهرة. (بدون تاريخ).

* جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الثانية 1993.

* جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، من إصدارات مكتبة الأسرة 1996.

* جمال الدين القاسمي، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، مؤسسة قرطبة- الجيزة.

* خزعل الماجدي، الدين المصري، الطبعة الأولى 1999، دار الشروق- الأردن.

* خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، الطبعة الأولى 2001، دار الشروق- الأردن.

* خزعل الماجدي، متون سومر: الكتاب الأول، الطبعة الأولى 1998، الأهلية للنشر والتوزيع- الأردن.

* حسين عبد الواحد، عبدة الشيطان على ضفاف النيل، الطبعة الأولى 1998، مركز الحضارة العربية، القاهرة.

* حليمة خالد رشيد، الجن في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين، 2005.

* زكريا بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، الطبعة الأولى 2000، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت.

* عباس العقاد، إبليس، دار نهضة مصر– القاهرة، 1985.

* عبد الرزاق نوفل، عالم الجن والملائكة، دار الشعب– القاهرة، 1968.

* عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية 1980، القاهرة.

* عبد الله كمال، تجربة شخصية مع عبدة الشيطان، الطبعة الأولى 1997، دار الخيال – القاهرة.

* عبد العزيز بن صالح العبيد السلمي، تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (رسالة دكتوراة) كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1411 هـ.

* عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، (سلسلة عالم المعرفة: العدد الخامس عشر 1979)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت.

* عمرو الشاعر، نشأة الإنسان بين التوراة والقرآن ونظرية دارون، الطبعة الأولى 2010، مكتبة النافذة– الجيزة.

* عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الطبعة الأولى 1411 هـ، دار الجيل– بيروت.

* عمرو الشاعر، قراءة لسور الطعن، الطبعة الأولى 2009، مكتبة النافذة– الجيزة.

* عمرو الشاعر، عقائد الإسلاميين بين وحدة المنهج وتباين الأحكام، الطبعة الأولى 2008، مكتبة النافذة– الجيزة.

* عمرو الشاعر، السوبرمان بين نيتشه والقرآن، الطبعة الأولى 2009، مكتبة النافذة– الجيزة.

* عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل– بيروت 1996.

* فارس خضر، العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة (كتاب مجلة الإذاعة والتليفزيون)، يناير 2008.

* فراس السواح، الرحمن والشيطان، الطبعة الأولى 2000، دار علاء الدين–دمشق.

* كمال الدين محمد الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، الطبعة الثانية 2003، دار الكتب العلمية، بيروت.

* مجدي صادق، عبادة الشيطان (ضد المسيح) الطبعة الأولى 1998.

* مجدي محمد الشهاوي، تحضير الأرواح وتسخير الجان بين الحقيقة والخرافة، مكتبة القرآن– القاهرة (بدون تاريخ).

* محمد سيد أحمد المسير، عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني، الطبعة الأولى 1998، المنصورة.

* محمد بن عبد الوهاب العقيل، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، الطبعة الأولى 2002، أضواء السلف– الرياض.

* محمد عيسى داود، الخيوط الخفية بين المسيخ الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة، دار البشير– القاهرة.

* محمد متولي الشعراوي، الشيطان والإنسان، قطاع الثقافة– دار أخبار اليوم.

* محمد محمد حسين، الروحية الحديثة دعوى هدامة، تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية، مؤسسة الرسالة (بدون تاريخ).

* مروة عماد الدين، الرحلات المفقودة عند مثلث برمودا جزر الشيطان المخيفة، دار الطلائع– القاهرة.

* وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، الطبعة العاشرة 1997، مكتبة التابعين– القاهرة.

مؤلفات عمرو الشاعر

* لماذا فسروا القرآن؟ القرآن بين التقييد والهجران
* عقائد الإسلاميين بين وحدة المنهج وتباين الأحكام
* القرآنيون مصلحوم أم هادمون؟
* السوبرمان بين نيتشه والقرآن
* نشأة الإنسان بين القرآن والتوراة ونظرية دارون
* قراءة لسور الطعن
* السيدة عائشة والتاريخ المشوه
* قصص القرآن القرآني
* الجن .. الأرباب المختلَقة
* القرآن سورة واحدة جزء عمّ نموذجاً
* السلفية .. منهج إسلامي؟
* فقه الإنسان محاولة تأصيلية تأسيسة
* رواية خواطرٌ شواذ
* القنطرة I في قواعد اللغة الألمانية
* القنطرة II تكلم العامية الألمانية

الفهرست

المقدمة..4

الباب الأول: تصور الجِنة قبل الإسلام....................................10

الفصل الأول: في الحضارات القديمة....................................11

سمعيات..11

كائنات بشرية حيوانية...13

أرباب وشياطين..15

في الحضارة المصرية القديمة...16

عند الكنعانيين...19

عند السومريين..21

عند الإغريق...22

في الحضارة الهندية القديمة..25

في اليهودية...27

في المسيحية...32

عبادة الشيطان..35

الفصل الثاني: الجن في الجاهلية...42

أصناف الجن..43

الغول...46

مجتمعات الجن...48

شياطين الشعر...52

الباب الثاني: الجِنة في الإسلام...55

الفصل الأول: تعريفات وتصورات..56

تقديم...56

تصور الملائكة...59

هل الملائكة مسيرون؟..65

الشيطان...69

إبليس...74

الجن...81

أقوال الفلاسفة في الجن..86

الجان .. والجِنة...90

"كان من الجن"..93

إشكاليات وحلول..97

الإنسان والإنس...104

الفصل الثاني: الله والجن...108

هل خلق الله الجن؟..108
الجن والشريعة..112
هل يمكن وجود جن كافر؟..113
القرآن والجن..114
الجن والجزاء..117
الفصل الثالث: الجن في القرآن..120
سورة الجن..120
التصور العام لسورة الجن..121
الشيء وما يتضمنه..123
جن .. مسيحي!..125
ما هي السورة التي استمعوا إليها؟..126
رجال الجن..128
لمس السماء..129
مُلك سليمان في الكتب القديمة..140
شياطين أم نجارون؟..144
الجن في سبأ .. وأعماله..146
تفسير الدكتور محمد البهي..151

الجن في سورة الأنعام..153

الجن في سورة الأعراف..157

الجن في سورة سبأ..159

الجن في سورة فصلت..161

الجن في سورة الأحقاف..162

الجن في سورة الذاريات..164

الجن في سورة الرحمن..165

هل الشيطان ليس إبليس؟..167

الفصل الرابع: الجن في الروايات..171

روايات عن سورة الجن..172

روايات جن البشر..179

روايات من الجاهلية!..188

الباب الثالث: أقاويل..197

الفصل الأول: غرام .. واختطاف..198

خرافة .. واختطافه..199

نكاح الجن للإنسان..203

مثلث برمودا .. والشيطان..206

هدم الأكذوبة..211

الفصل الثاني: مس الجن الإنسان...216

مس الشيطان أيوب..221

تحكيم الروايات..223

سلطان الشيطان..228

أسباب المس..230

القرآن شفاء أم عذاب؟..231

تحضير الأرواح .. والجان..234

القرين..241

الفصل الثالث: السحر .. والجان 244

تعريف السحر..245

هاروت وماروت .. ومحمد..249

الآية من منظور آخر...253

النفاثات في العقد...258

سُحر الرسول .. فقط...262

نقد روايات سحر الرسول..265

الخاتمة..271

سردٌ لأهم المراجع..275

مؤلفات عمرو الشاعر...281